الشارع المغاربي
أسبوعية مستقلّة تحترم القارئ

العدد 384 - من الثلاثاء 28 نوفمبر إلى الاثنين 4 ديسمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com- البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

افتتاحية

محاكمة إسرائيل على جرائمها

بقلم : د. زهير بن يوسف

المفكّر عبد المجيد الشرفي
لـ«الشارع المغاربي» :

الوضع في تونس يتميّز بحكم فردي قد يؤدي الى انفجار

كارثة في شركة نقل تونس :

أمّيون لمراقبة قطع الغبار ومخرّبون يتفنّنون في النهب

محافظ البنك المركزي يستعد للمغادرة ؟

محمد التليلي المنصري الناطق باسم
هيئة الانتخابات لـ «الشارع المغاربي» :

سنطلب تخصيص مساعد لوكيل الجمهورية على ذمّتنا خلال الحملة الانتخابية

محاكمة إسرائيل على جرائمها

بقلم : د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

حوالي 14.854 شهيدا، من بينهم أكثر من 6150 طفلا، و4000 إمرأة، فيما لا يقلّ عن 1400 مجزرة، 69 % من ضحاياها أطفال ونساء، زيادة على نحو 7000 مفقود بينهم 4700 من الأطفال والنساء إمّا تحت الرّكام وإمّا جثثا ملقاة في الشوارع، وعدد إصابات زاد على 36.000 أكثر من 75% منهم أطفال ونساء، و1.7 مليون نازح/ مهجّر نصفهم من الأطفال، فضلا عن 207 من الإطار الطبي وشبه الطبي، و26 من طواقم الدفاع المدني، و65 صحفيّا وصحفيّة، استشهدوا، وتدمير 75% من المستشفيات، و266 مدرسة، و103 من المقرّات الحكومية، وما بين 45 إلى 55% من المربعات والأبراج السكنية، تلك هي الحصيلة الأولية لـ 50 يوما من العدوان على قطاع غزّة واستخدام إسرائيل المفرط لكمّ ونوع من الأسلحة لم يتم استخدامه في أي مكان من العالم منذ الحرب العالمية الثانية وحرب فيتنام بما جعل وتيرة سقوط الضحايا تتسارع على نحو غير مسبوق تخطى عدد قتلى حرب أوكرانيا مثلا في سنتين.

السرديّة الكاذبة وانقلاب السحر على الساحر

محرقة بأتمّ معنى الكلمة أمطرت قطاع غزة المحاصر جوّا وبحرا ثم برّا نارا أوقعت موتا ودمارا في كل مكان، ولئن نجحت إسرائيل في البداية في التغطية الإعلامية على جرائمها بالأكاذيب والبروباغندا المضللة، يدعمها في ذلك ما يسمى اصطلاحا بالديمقراطيات الغربية، تحت مزاعم ثبت زيفها، ومنها قصف مواطنيها في مستوطنة بئيري بأوامر عليا لمنع أسرهم، ثم عرض مشاهد القصف على الإعلام الغربي كضحايا لما سوّقت له أنّه "همجية حماس"، لتحويل الجاني إلى ضحية، وتجريد الضحية الحقيقي من صفات الإنسانية لتشديد الخناق عليه وعزله دوليا وتسهيل الانقضاض عليه، فإنّ تهافت سردية الكذب وتهاوي صدقيتها جعلا الرأي العام الدولي يردّ الفعل بقوة عبر مراكمة أشكال من التضامن مع ضحايا العدوان عابرة للقارات والثقافات بحيث باتت القضية الفلسطينية التي أريد مسحها نهائيا من ذاكرة الأجيال قضيّة العالم بأسره، وبات حق الشعب الفلسطيني في الحماية، وحقّه في احترام أساسيات القانون الدولي والقانون الإنساني بشأنه مسؤولية دولية، وهذا ما يجعلنا مطالبين بالتفاعل مع هذا الحراك التضامني الدولي واستثماره إيجابا لمواجهة " قانون القوّة" بـ "قوّة القانون" وتوسيع دائرة التشبيك مع أحرار العالم وديمقراطييه المبدئيين للضغط على الحكومات الداعمة للعدوان أو المتواطئة معه ولتعديل بوصلة آليات المؤسسات الدولية ذات العلاقة،وبالتالي تغيير المعادلات الخاطئة والكيل بمكيالين التي آن الأوان للخروج من دوّامتها لاسيما أن ما يقترفه الكيان الغاصب بحق الإنسانية في فلسطين المحتلة يرتقي إلى مستوى ما يجب من أجله مقاضاته أمام المحاكم الدولية أو المحلية الجديرة بالتسمية.

إسرائيل أو انتهاك "اتفاقيات القانون الدولي الإنساني"

بالرجوع إلى"اتفاقيات القانون الدولي الإنساني" نجد أن إسرائيل قامت بانتهاك القانون الدولي وقانون حقوق الإنسان وكل القوانين والمعاهدات والاتفاقيات الدولية وفي مقدمتها " اتفاقية جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب"، و" الاتفاقية الخاصة باحترام قوانين وأعراف الحرب البرّية"، و" اتفاقية لاهاي المتعلقة بالتسوية السلمية للنزاعات الدولية"، و" اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها"، و" لاتفاقية حماية حقوق الطفل"،، بحيث لم ترتكب فقط جرائم ضدّ السلام، على غرار حربها العدوانية الدائمة على مدن الضفّة الغربية ومخيماتها وخرقها للهدنة المؤقتة بشأنها اجتياحا، وتجريفا، وقتلا واعتقالا ومحاكمة للأطفال أمام القضاء العسكري وهي البدعة التي تتفرد بها دونا عن كل دول العالم، وإنّما ارتكبت أيضا جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية باقترافها لجرائم القتل العمد للمدنيين والأطفال ومنع الوقود عنهم والماء والغذاء والدواء، والتدمير القصدي الذي لا تبرره ضرورات الحرب للأبراج السكنية والمنازل، واستهداف المستشفيات والطواقم الطبية وإتلاف التجهيزات التي يتوقف على وجودها حق المصابين بالأمراض المزمنة والأطفال الخدّج والجرحى في الحياة، واستخدام الأسلحة المحرّمة دوليا والقنابل الفوسفورية،،، حتى أنه لم يوجد قرار دولي لم تنتهكه إسرائيل.

لائحة الاتهام

من هنا يتعيّن السعي إلى محاكمة إسرائيل، وقياداتها السياسية والعسكرية، وضباط جيشها (تسفا هجاناه ليسرائيل: تساهال) وجنوده بسبب ما اقترفوا في غزّة، ومنه وفقا لنظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية على معنى المادة 6 منه وتخص الجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة، جريمة "إخضاع جماعة عمدا لأحوال معيشية يقصد بها تدميرها المادي" بمقتضى الحصار المضروب على قطاع غزّة وحرمان سكانه من المتطلبات الدنيا للحياة، ومنه طبقا لمقتضيات المادة 8 منه الخاصة بجرائم الحرب " إدانتهم لجهة التعذيب والمعاملة اللاإنسانية والحاطة بالكرامة التي تعرض الشعب الفلسطيني إلى معاناة نفسية شديدة على مدار الساعة وخشيتهم باستمرار على حياتهم مع تواصل القصف، علاوة على الممارسات " التي لا توصف" التي تتعرض لها الفتيات الفلسطينيات الصغيرات في سجون الاحتلال،،، ومنه التسبب عمدا في معاناة شديدة وإلحاق أضرار جسيمة بالجسم وبالصحة ، زيادة على التدمير والاستيلاء على الممتلكات على نطاق واسع لا تبرره الضرورة العسكرية، ويتمّ تنفيذه بشكل تعسفي وغير قانوني، وتعمد تجويع المدنيين كوسيلة من وسائل الحرب بحرمانهم من الأشياء التي لا غنى لهم عنها لبقائهم على قيد الحياة .

دعوات عالمية لمحاكمة إسرائيل

والدعوة إلى محاكمة إسرائيل ليست بدعا، إذ ليست هذه هي المرة الأولى التي تتمّ فيها الدعوة إلى محاكمة الكيان المارق أمام محكمة الجنايات الدولية. فمنذ 13 جوان 2014 تجري المحكمة الجنائية الدولية بالفعل تحقيقا مستمرا حول جرائم حرب ارتكبها جيش الاحتلال في عموم الأراضي العربية المحتلة. ودعت منظمة التحالف الدولي لمكافحة الإفلات من العقاب بقيادة الناشطة الحقوقية الدولية المحامية مي صبحي الخنساء منذ 8 أكتوبر الماضي إلى محاكمة دولة إسرائيل وتقدمت إلى المحكمة الجنائية الدولية بشكايات بالمتهمين بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء، وهرتز هاليفي، رئيس الأركان، ويواف جالانت، وزير الحرب والضباط والجنود والقادة في الجيش الإسرائيلي من أجل ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضدّ الإنسانية، كما أطلق المحامي الفرنسي جول ديفيرGilles Devers مبادرة دولية قوامها ما سمّاه جيش من المحامين، 300 محام من مختلف الجنسيات، لتقديم التماس يتهم إسرائيل بارتكاب جرائم ترتقي إلى الإبادة الجماعية بحق الفلسطينيين، وقد تلقى المدّعي العام للمحكمة الجنائية الدولية كريم خان من دول جنوب إفريقيا، وبنغلاديش، وبوليفيا، وجزر القمر، وجيبوتي في السياق نفسه مؤخرا طلبا للتحقيق في الأوضاع في الضفة والقطاع والجرائم التي ترتكبها إسرائيل.

هل تتم محاكمة إسرائيل وحدها؟

تجرم المادة 25 من الباب 3: المبادئ العامة للقانون الجنائي من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية كل من قدم العون أو التحريض أو المساعدة لغرض تيسير ارتكاب هذه الجريمة او الشروع في ارتكابها بما في ذلك توفير الوسائل اللازمة لارتكابها، وإذا كان التحريض المباشر والعلني على ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية صريحا في تصريح وزير دفاع دولة الاحتلال حرفيا:" نحن نحارب الحيوانات البشرية، ونتصرّف على هذا الأساس"، وفي مناداة وزير التراث الإسرائيلي المزعزم إلى ضرب غزّة بالسلاح النووي، فإنّ هذه الجرائم ما كانت لتتمّ على الوجه الهمجي والوحشي الذي تمت به لولا حماية فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة وعدد آخر من الدول الأروبية مثل ألمانيا وإيطاليا، ممّا يجعل بايدن وماكرون وبلينكن ووزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا مع آخرين قد يكون من بينهم عرب، بدورهم مطلوبين للتحقيق بتهمة ارتكاب هذه الجرائم.

إن المحكمة الجنائية الدولية محكمة جنائية دائمة، يتمثل الهدف من إنشائها في منحها اختصاصا بشأن الجرائم الخطيرة التي تهم المجتمع الدولي باعتبارها مكملة للمحاكم الجنائية الوطنية، ولكن هل تستطيع هذه المحكمة التي ترفض إسرائيل، بدعم من أمريكا، أي تعاون معها والتشكيك بالمقابل في اختصاصها في هذه الحالة، التصدي لهذه الجرائم؟ وهل تملك آليات بإمكانها أن تفرض من خلالها ولايتها على الدول غير الأعضاء ومعاقبة إسرائيل، وهي ليست عضوا فيها؟

وحيث أنّ هذه المحكمة ترتبط باتفاقية وصل مع الأمم المتحدة، وإسرائيل عضو في هذه المنظمة التي غالبا ما تتحلى بمواقف جيدة نسبية بشأن الصراع العربي الصهيوني وإن كانت غير ذات فعالية، أليس بإمكان الجمعية العامة فيها إنشاء محكمة خاصة بجرائم إسرائيل؟ أليس بإمكانها تخفيض مكانة هذا الكيان الذي يضع نفسه فوق القانون الدولي الإنساني وفوق المحاسبة من دولة عضو في الأمم المتحدة إلى مراقب؟ وبعد كل هذا وذاك أليس بإمكاننا نحن كمواطنين وكنشطاء حقوق إنسان إنشاء محكمة ضمير على غرار محكمة بروكسال ومحكمة القاهرة بخصوص جرائم إسرائيل؟ الصمت على جرائم إسرائيل وصمة عار على جبين الإنسانية والمجتمع الدولي.

منهم مستشار سابق لرئيس الجمهورية قيس سعيد ومدير ديوان الجرندي:

رفت دبلوماسيين ساميين رفتا مؤقتا وتوجه نحو عزلهم في سابقة بتاريخ وزارة الخارجية

تميم أولاد سعد

اكد المحامي والناشط بالمجتمع المدني احمد صواب رفت عدد من الديبلوماسيين الساميين بوزارة الشؤون الخارجية رفتا مؤقتا معتبرا ذلك أمرا نادر الحدوث وسابقة في تاريخ الديبلوماسية التونسية. وقال صواب ان من بين الدبلوماسيين الذين شملهم القرار مستشارا سابقا لرئيس الجمهورية قيس سعيد اكد انه ينوبه في قضية رفعها في علاقة بقرار رفته.

تصريح صواب يأتي ضمن ردود الفعل على مداخلة وزير الخارجية نبيل عمار تحت قبة البرلمان خلال مناقشة مهمة الوزارة في ميزانية الدولة لسنة 2024. عمار انتقد أداء الوزارة خلال الثلاث سنوات الأخيرة بنبرة حادة وقال انه الأسوأ في تاريخ الوزارة واتهم 4 اشخاص بالتحكم في دواليبها. تلك الفترة تعود الى فترة اشراف الوزير السابق عثمان الجرندي .

وفي تعليقه على هذه المداخلة قال صواب انها «سابقة في تاريخ الديبلوماسية التونسية» معتبرا ان عمار يعيش حالة من التخبط وانه موجوع من عدم نيل شرف لقاء رئيس الجمهورية منذ قرابة الشهر.

وقال صواب اليوم الثلاثاء في تصريح لأسبوعية «الشارع المغاربي»: من باب الشفافية سأذكر اني محامي مصطفى عون النابلي المستشار السابق لرئيس الجمهورية المكلف بالشؤون الاوروبية والذي كان مستشارا ثم عاد الى وزارة الخارجية وهو من الديبلوماسيين الشبان والاكفّاء وعمل على ما اظن مع نبيل عمار او قبله في بروكسيل مختصا في الشؤون الاوروبية وهو نفس اختصاص الوزير الحالي نبيل عمار ... تمت احالة عون على مجلس التأديب في الصيف الماضي وتم رفته مؤقتا لمدة 6 اشهر ولم يُدل بأية تصريحات اعلامية وتم خلال فترة العقوبة الاولى استدعاؤه ثانية وبالتحديد في بداية شهر نوفمبر واحالته على مجلس التأديب وبالتالي هناك مخاطر من تسليط عقوبة الرفت المؤقت للمرة الثانية يعنى امكانية رفته ثانية خلال فترة الرفت الاولى ومن ثم عزله ... لم اسمع بهذا طوال حياتي».

كما أشار الى ان « الوزير تحدث عن 3 سنوات من الخراب داخل الوزارة وخلال الثلاث سنوات الأخيرة كانت الوزارة تحت إمرة رئيس الجمهورية قيس سعيّد وخاصة السنتين الاخيرتين فقد كانت الوزارة تابعة كليا لرئيس الجمهورية اذا لا يمكن لاي محلل عادي وموضوعي الا يرى في تصريحات الوزير ضربا لتمشي وخيارات رئيس الجمهورية قيس سعيّد».

وتابع صواب « في كلام الوزير نظرية المؤامرة .. الوزير اتهم 4 اشخاص بالتحكم في الوزارة ولو كانت له الشجاعة لذكر اسماءهم نظرا لان لنا الحق في المعلومة باعتبارنا من دافعي الضرائب... من هم هؤلاء الاشخاص ؟ لدي نوعا ما الاجابة .. هناك مجموعة من الاشخاص المحسوبين على الوزير السابق عثمان الجرندي والذين تمت احالتهم مؤخرا على مجلس التأديب وتم رفتهم مؤقتا وهذا الامر نادر الحدوث واحالة ديبلوماسيين ساميين على مجلس التأديب ورفتهم رفتا مؤقتا ومن بينهم شخص معروف تمثل سابقة في تاريخ الديبلوماسية التونسية. ويمكن لي ذكر صفته وهو مدير ديوان عثمان الجرندي الذي نُكّل به».

زووم

نقيب الصحافيين زياد الدبّار في لقاء حواري بمعهد تونس للسياسة :

الصحافي أصبح يلجأ إلى «الصنصرة الذاتية» تخوفا من الإيقافات أو الهرسلة

المنصف عويساوي

نظم مركز الدراسات المتوسطية والدولية في إطار برنامجه معهد تونس للسياسة يوم الأربعاء 22 نوفمبر 2023 لقاء حواريا حول " الإعلام التونسي بين التشريع وضمانات ممارسة المهنة " بمقر المركز بالعاصمة بمشاركة رئيس النقابة الوطنية للصحفيين التونسيين زياد الدبّار وحضور قدماء معهد تونس للسياسية وعدد من الصحافيين و ممثلي المجتمع المدني.

ومثّلت التشريعات ذات العلاقة بقطاع الإعلام المحور الأبرز للقاء الحواري والإشكالات التي تعرقل عمل الصحافي في تونس وتهدد سلامته وتجعله عرضة للعقوبات الزجرية خاصة في حالة إحالة الصحفيين خارج المرسوم 115 المنظم لقطاع الإعلام.

رئيس النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين زياد دبّار استعرض في مستهل مداخلته مختلف التشريعات التي تتداخل في قطاع الإعلام أو في علاقة بالممارسة الصحفية على غرار المرسوم 115 والذي من المفترض أن يكون الإطار القانوني وأساسا لإحالة الصحافيين على القضاء مشيرا أن مثل هذه الاحالات مازالت متواصلة وفق المجلة الجزائية ومجلة الاتصالات وقانون مكافحة الإرهاب وغسل الأموال وهو ما يتناقض والتشريع الجاري به العمل وخصوصية العمل الصحفي.

كما أبرز نقيب الصحافيين أن إحالات الصحافيين على القضاء خارج الإطار التشريعي المنظم للقطاع أضر بجودة العمل الصحفي وتنوعه وأن الصحافي أصبح يلجأ إلى " الصنصرة الذاتية " تخوفا من الإيقافات أو الهرسلة أو من صنصرة رؤسائه مبرزا أن ذلك يخلق مناخا مهنيا متوترا ومشحونا ويضرب حق المواطن في النفاذ إلى المعلومة ويحد من قدرات الصحافي على الإبداع والتطوير والارتقاء بجودة العمل الصحفي تناغما مع الدور المحوري والهام للإعلام وفي رسالته النبيلة ومسؤوليته المجتمعية التي تتمحور حول ضمان إيصال المعلومة إلى المواطن وخدمة الصالح العام بعيدا عن التجاذبات الحزبية والسياسية والدفاع عن حرية التعبير والصحافة والحريات الفردية والعامة وغيرها من الحقوق والملفات الجوهرية التي تشغل الرأي العام.

وأوضح الدبّار أن إصلاح التشريعات المتعلقة بقطاع الإعلام في اتجاه ضمان أحسن الممارسات الصحفية والمهنية وتطوير المضمون الصحفي وضمان مناخ ايجابي وظروف لائقة للعمل وفق ما هو معمول به دوليا وتكريس إعلام في خدمة المواطن والصالح العام والمواطن لا يمكن أن يتحقق في غياب سياسات عمومية بقطاع الإعلام وفي دفع من مختلف مكونات المجتمع المدني التي تدافع عن الحريات الفردية والعامة وحرية الصحافة والتعبير وعن التعددية الإعلامية وتؤمن بالدور المحوري والهام للإعلام في الدولة.

وأكد على أن الصحافيين طالما أثبتوا دورهم الوطني والمحوري في مراحل مفصلية من تاريخ البلاد من الثورة وبعدها وصولا إلى مختلف المتغيّرات السياسية في البلاد والأزمة الاجتماعية والاقتصادية التي مرت ومازالت بعيدا عن التجاذبات السياسية. وأشار الى أنّ الصحافيين يقومون بدورهم باستقلالية ومسؤولية وينقلون الوقائع ويحاولون الوصول إلى الحقيقة رغم الكلفة الباهظة خاصة على المستوى الاجتماعي باعتبار الصحافة القطاع الوحيد الذي غلّب المصلحة الوطنية مراعيا بذلك الأزمة التي تمر بها البلاد على جميع المستويات وفي كل المجالات ولم يطالب بزيادة خصوصية كبقية منظوري القطاعات الأخرى. وخلص الى أن تداعيات ذلك كانت موجعة ومؤلمة وتمظهرت في غلق العشرات من المؤسسات الإعلامية وفقدان مئات من موارد رزق الصحافيين. وذكّر بأن التهديدات المباشرة وغير المباشرة لسلامة الصحافيين وإحالتهم على القضاء خارج المرسوم 115 تتالت وبأن حالات الاعتداءات عليهم وهرسلتهم تزايدت لافتا الى أن العديد من التقارير الصادرة عن وحدة الرصد بنقابة الصحفيين أو عدد من المنظمات الأخرى الوطنية والاقليمية تثبت ذلك.

وأكد أن الوضع الراهن المتأزم الذي تمر به البلاد يستدعي التعاون المشترك بين السلطة والإعلام ومختلف هياكله خدمة للصالح العام وتعزيزا للدور المحوري للإعلام في الشأن الوطني وتسهيلا لأداء الصحفي عمله وفق أخلاقيات المهنة والموضوعية والمسؤولية وبالجودة والسرعة المطلوبتين مشيرا إلى أن النقابة الوطنية للصحافيين التونسيين منفتحة على الحوار وعلى جل الاقتراحات العملية في إطار احترام أخلاقيات المهنة واستقلالية القطاع وحرية الصحافة والتعبير وضمان أفضل الظروف لممارسة العمل الصحفي سواء داخل المؤسسات أو خلال العمل الميداني.

وقد تمحورت أغلب مداخلات المشاركين في هذا اللقاء الحواري حول آليات الدفع نحو اعتماد سياسات عمومية في قطاع الإعلام تضمن لعب الإعلام الدور الوطني المناط بعهدته والحفاظ على ديمومة المؤسسات الإعلامية وعلى التعددية في القطاع وكيفية تعزيز المفاوضات الاجتماعية لتحسين أوضاع الصحافيين وظروف عملهم وتسوية الوضعيات الهشة والرفع من قدراتهم الشرائية ، فضلا عن الحلول أو التوّجهات الممكنة لتحسين الترسانة التشريعية لقطاع الإعلام ضمانا لأفضل الممارسات الصحفية المهنية وسلامة الصحافيين بعيدا عن منطق وأساليب الترويع والتخويف.

محافظ البنك المركزي يستعد للمغادرة ؟

دستور 2022 لا يحدد اجراءات الإعفاء والتعيين

كوثر زنطور

تنتهي بعد شهرين تقريبا عهدة محافظ البنك المركزي مروان العباسي على رأس مؤسسة الاصدار التي يشرف على دواليبها منذ يوم 16 فيفري 2018. عهدة المحافظ تمتد لـ6 سنوات لم يستكملها أي من المحافظين بعد الثورة. البداية كانت مع توفيق بكار الذي صمد 6 أيام فقط بعد هروب الرئيس الأسبق بن علي فخلفه مصطفى كمال النابلي قبل ان يغادر المنصب سريعا دون ان يتم العامين حتى بسبب تمسك الرئيس المؤقت المنصف المرزوقي بإقالته ثم تم تعيين المرحوم الشادلي العياري وأقيل من المنصب قبل 5 اشهر من انقضاء العهدة فاسحا المجال أمام مروان العباسي حتى يكون المحافظ رقم 13 في تاريخ مؤسسة البنك المركزي التونسي منذ تأسيسها .

تطرح فرضية مغادرة مروان العباسي منصبه في سياق عام احتدت فيه الانتقادات الموجهة الى البنك المركزي خاصة من قبل رئيس الجمهورية قيس سعيد نفسه. وقد كان اخرها منذ ايام قليلة وتحديدا خلال لقاء جمع سعيّد بكل من رئيس الحكومة أحمد الحرشاني ووزيرتي العدل والمالية. ففي حديثه عن ملف التمويلات التي تتلقاها جمعيات من الخارج انتقد سعيد غياب الرقابة الكافية من قبل الاجهزة الراجعة بالنظر الى مؤسسة الاصدار. واللافت هذه المرة ان سعيّد سحب صفة المحافظ عن المحافظ واكتفى بالقول بـ" البنك المركزي ومن يقوم عليه".

سعيّد تحدث بنبرة توعد عما اعتبره قصورا في الاداء الرقابي للبنك المركزي وجاء في حديثه حرفيا: " لجنة التحيّل.. التحيّل (في اشارة الى لجنة التحاليل المالية) .. المفروض ان تقوم بدورها .. ان تتعهد بصفة آلية .. قالوا لا... يجب ان تأتي الإشارة من النيابة العمومية للتثبت في مصدر الاموال.. المفروض ان يتم التثبت في المصدر من قبل البنك المركزي.. ولا ينسى البنك المركزي ومن يقوم عليه انه مؤسسة عمومية وليس مستقلا عن الدولة.. يتمتع بالاستقلالية في المجال المتصل بالسياسة النقدية.. قانون 58 افضل بكثير من هذا القانون (القانون الاساسي للبنك المركزي بعد تعديله عام 2016) الذي تم وضعه باسم الشعب التونسي ويفترض لو كانت لهم الصراحة الكافية والجرأة الكافية ان يقولوا انه تم وضعه من عواصم غربية. فلماذا يكتب باسم الشعب التونسي؟".

دستور 2014 ودستور 2022

تتداول الكواليس المالية معطيات تشير الى وجود اتفاق بين محافظ البنك المركزي والسلطات القائمة على "استكمال عهدة الـ6 سنوات" التي تنتهي خلال شهر فيفري 2024. والارجح ان التجديد غير مطروح بالنسبة لرئيس الجمهورية كما أن مشروع عهدة ثانية ليس من طموحات العباسي الذي لم تخف تصريحاته الناقدة منذ اقل من شهر في رحاب مجلس نواب الشعب أنه يستعد للمغادرة.

للتذكير يمنح القانون الاساسي للبنك المركزي للمحافظ ولاية بست سنوات قابلة للتجديد مرّة واحدة. كما ينص على إعفائه وفقا لمقتضيات الفصل 78 من الدستور (2014). وعكس دستور الجمهورية الثانية، لم ينص دستور 2022 لا على الجهة التي تعين محافظ البنك المركزي ولا على اجراءات الاعفاء.

وعاشت البلاد خلال العشرية الاخيرة تجربتين الاولى مع

مصطفى كمال النابلي عندما تمت إقالته من قبل الرئيس المؤقت انذاك المنصف المرزوقي. النابلي رفض الاقالة وانتهى الامر بالتوجه الى المجلس التأسيسي الذي صوت بالاغلبية باقالته يوم 18 جويلية 2012. وكاد الامر ان يتكرر مع المحافظ السابق الراحل الشادلي العياري الذي أقاله ثم نجحت وساطات في تحويل الاقالة الى استقالة عشية انعقاد جلسة عامة .

تم تعيين العباسي استنادا الى الفصل 78 من دستور 2014 الذي يقول نصه ان "رئيس الجمهورية يتولى بأوامر رئاسية تعيين محافظ البنك المركزي باقتراح من رئيس الحكومة، وبعد مصادقة الأغلبية المطلقة لأعضاء مجلس نواب الشعب. ويتمّ إعفاؤه بنفس الطريقة أو بطلب من ثلث أعضاء مجلس نواب الشعب ومصادقة الأغلبية المطلقة من الأعضاء".

اصبح العباسي محافظا للبنك المركزي استنادا الى الفصل 78 وتمت المصادقة عل تعيينه من قبل مجلس نواب الشعب يوم 16 فيفري 2018 بموافقة 134 نائبا. اقالة العباسي، المطروحة في الدوائر القريبة من رئاسة الجمهورية تبدو صعبة ومعقدة اذ ان المرور الى تفعيل اجراءات الاعفاء معدوم في غياب أي نص في دستور 2022 يحددها. كما سيطرح التعيين الجديد بعد استكمال عهدة العباسي اشكاليات في غياب نص محدد وصريح تماما كحال الاعفاء .

اهانة ؟

كاد مروان العباسي ان يصبح رئيسا للحكومة خلال الفترة الاولى من بداية مسار 25 جويلية. للمحافظ حظوة لدى رئيس الجمهورية لأسباب موضوعية وذاتية. ترتبط الأسباب الموضوعية بالتأكيد بالقيمة الاكاديمية المرموقة للعباسي ولشبكة علاقاته في الخارج. اما الاسباب الذاتية فقد يكون مردها الخلافات والتوتر والصدام التي ميّزت علاقته بحكومة هشام المشيشي ووزير المالية علي الكعلي والاحزاب الداعمة لها .

المعلوم ان العباسي رفض بقوة القبول بالتمويل المباشر للميزانية والذي تم فعلا بعد رضوخ السلطة السياسية لاشتراط العباسي مصادقة البرلمان. ذلك شكّل التقاء موضوعيا بين الرئيس والعباسي في مرحلة ثانية.

كان العباسي احد اكثر الشخصيات التي يلتقيها سعيد ويستشيرها في عدد من الملفات. وتلقى المحافظ حسب رواية تم تداولها بقوة اقتراحا لتولي رئاسة الحكومة. ووفق المعطيات الرائجة، تم اعلام اعضاء مجلس ادارة البنك المركزي بهذا الاقتراح. كما ينقل مقربون عن المحافظ قوله في تعليق على هذا الاقتراح ان "الافضل بقاؤه على رأس البنك المركزي". وهو موقف تدعمه الاوساط المالية وما يسمى بمجموعات الضغط التي ترى ان الانسب في مرحلة انتقالية جديدة المحافظة على استقرار مؤسسة الاصدار .

يُلقّب العباسي بصديق البنوك وراعي" امتيازاتها" بما مكنه مما يشبه " القداسة" وجعله شخصية فوق النقد. ولا تكاد تمر مناسبة دون ان يثبت فيها العباسي طبعه الحاد سواء في اجتماعات تنسيقيه أو داخلية. شهادات عدة تُروى عن العباسي في تعاطيه مع اقتراحات او استفسارات او تشكيات تقابل بتجاهل او باستهزاء وحتى بصدام وحدّة.

خسر العباسي في الاثناء ترحيب البدايات لاسيما مع التقييم السلبي لاداء البنك المركزي من جهة والسياسة العقابية التي يتهم بتوخيها في وجه منتقدي السياسة النقدية واثرها على الاقتصاد الوطني من جهة اخرى (سيخصص "الشارع المغاربي" مقالات مختصين لتقييم السياسة النقدية للبنك المركزي خلال فترة مروان العباسي). كان ذلك جليا مثلا خلال اشغال يوم المؤسسة منذ عام وردود فعل المحافظ المتشنجة على تساؤلات المشاركين وانتقاداتهم لتأخر صدور مجلة الصرف مثلا او تعثّر المفاوضات مع صندوق النقد أو التدحرج المتواصل للترقيم السيادي للدولة التونسية.

مع ذلك ، فان سيل الانتقادات اللاذعة التي تطال العباسي وما يعتبرها البعض اهانات للمؤسسة العريقة وللمحافظ في التصريحات الاخيرة لرئيس الجمهورية اثار استغراب البعض من عدم اقدام العباسي على خطوة في اتجاه الاستقالة على الاقل في 3 مناسبات، الاولى عند فشل تحويل الاتفاق على مستوى الخبراء مع صندوق النقد الى اتفاق نهائي والثانية مع طرح رئيس الجمهورية التوجه نحو تعديل القانون الاساسي للبنك المركزي والثالثة بعد الاتهامات الخطيرة الموجهة للبنك المركزي ولجنة التحاليل المالية والتي نعتها سعيّد بلجنة التحيّل.

للتذكير يطرح ضعف الدور الرقابي للبنك المركزي في علاقة بالتدفقات المالية الموجهة للجمعيات خاصة منذ عام 2012. وكانت محكمة المحاسبات قد اشارت بوضوح الى هذا الضعف وحتى القصور في اداء البنك المركزي في تقريرها عن انتخابات 2014 و2019.

كما ذكر تقرير المحكمة وجود عدة نقائص قال ان البنك المركزي يشكو منها في جانبه الرقابي من ذلك عدم نشره قرارات العقوبات التي تم تسليطها على البنوك وكشف ان البنك فوت في مبلغ عقوبات غير مسلّطة قارب 123 مليون دينار في مجال الحوكمة و47.8 مليون دينار في مجال مكافحة غسل الاموال وانه لم يفعّل لجنة العقوبات التي تعد لجنة مستقلة من صلاحياتها تسليط العقوبات.

لا يبدو العباسي معنيا بالبقاء في المنصب بعد انتهاء عهدة الـ6 سنوات واستنادا الى التعديلات المرتقب إدخالها على القانون الاساسي للبنك المركزي التي جدد الرئيس قيس سعيّد التلميح إليها بالتشديد على ان قانون 58 افضل بكثير من القانون الحالي الذي اعتبره قانونا غير تونسي واملاءات من الخارج .

التعويل على السعودية والجزائر على المحكّ

صالح مصباح

رئيس الجمهورية ونظيره الجزائري عبد المجيد تبون

لقاء بين رئيس الدولة وولي عهد السعودية محمد بن سلمان

بات اليوم جليا أنّ صاحبَ "مسار 25 جويلية 2021" مسكون بِمَحو كل ما تقدّم من تاريخ الدولة التونسية وثوابتها وتقاليدها، دون الفرز بين المحمود منها والمذموم. وصار شبه مؤكد لديه أن الدولة التونسية لم تلد قبله ولم تولد وأن ولادتها إنما هي على يديه، وأنه وليدها الوحيد الذي منه يبدأ تاريخُها. وقد يكون هذا الطموح، على عدميته، ممكنا وإن على مَضض لو كانت لصاحبه فذاذة استثنائية بها يضع خطة بناء على أنقاض ما تقدم. لكن هذا الإحتمال لا تظهر له أسبابٌ ولا أمارات. وقد شَمِل هذا المَحو، من جُملة ما شمل، السياسة الخارجية وملامحها الدبلوماسية.

فلهذه السياسة في بلادنا تقاليد راسخة وثوابت عتيدة أرستها دولة الاستقلال وسارت عليها تونس عقودا. وليس أبلغ من أنّ الدول الإفريقية كانت في مرحلة من عهد الزعيم بورقيبة تهتدي في مواقفها داخل المنتظم الأممي بالموقف التونسي.

1/من تقاليد الدبلوماسية التونسية

في بداية الستينات وَتَّرَ العلاقةَ التونسية الفرنسية حدثان: حرب بنزرت والجلاء الزراعي. وعلى حرص الزعيم بورقيبة على توطيد هذه العلاقة، فإنه لم يُقّدم لفرنسا تنازلات استرضاء. وفي الآن نفسه لم يُشهِر عليها العداء .

لكنّه قام بجملة من الخطى الفَطِنة. فقد اتجه، كما يقول "أندري ويلمو" في كتابه المُحكَم (De Bourguiba à Ben Ali) إلى الدول الإسكندنافية. و قد عقَد بينه وبينها علاقات متينة وصداقات استفادت منها تونس استفادة أكيدة. من ذلك أنّ النواة الأولى للبنية التحتية السياحية ولبعض المنشآت الصناعية كانت من حصاد تلك العلاقات.

وزاد الزعيم على ذلك بتلك الزيارة الشهيرة لأمريكا.

أدركت حينئذ فرنسا أن دبلوماسية بورقيبة قد تذهب بتونس بعيدا عنها، فكان أنْ مدّت الجسور بينها وبينه، فردّ بالتي هي أحسن في غير مذلّة ولا كِبَر أجوف. وقد ترتب على ذلك تعاون في شتى المجالات، لعل أهمها، خاصة من منظور الزعيم، هو التعليم . كان مِن أساتذة المعاهد والكليات فرنسيون على وجه الخصوص. كان ذلك طورا سرعان ما حلّ محلهم التونسيون. فقد كوّن أساتذة الطب الفرنسيون مَن عوضهم من التونسيين. وكذا شأن كليّة الصيدلة التي كان إنشاؤها هو الأول إفريقيا. وكان المستشرق "أندري ميكال، مدرسا في كلية 8 أفريل، يأتي من باريس من أجل محاضرة. وكان الفيلسوف "ميشال فوكو" يدرّس في دار المعلمين العليا.

لكن الزعيم لا يضع البيض في سلة تعليم واحدة. فمثلما كانت البعثات التعليمية إلى فرنسا، كان مثلها إلى بولونيا "الشيوعية"وكان من المدرسين في مدرسة المهندسين بولونيون وروس. وكانت الدفعات الأولى من مهندسي تونس وأطبائها خريجي الخارج من جامعات فرنسا ورومانيا و"يوغسلافيا تيتو" وبلغاريا وروسيا وبولونيا.

وفي مجال الدفاع والأمن كانت الأسلحة الخفيفة وذخيرتها من النمسا التي كوّنت مختصين في المجال من جيشنا الوطني، وكان التعاون في سلك الحرس الوطني مع بلجيكا، والتعاون في التكوين العسكري مع فرنسا وأمريكا وفي السلاح الثقيل مع أمريكا. وفي الأزياء العسكرية مع كوريا الشمالية.

وفي المجال الإجتماعي كانت الوجهة أمريكا ويوغسلافيا ودول أوروبا. وقد ظهرت في الأوقات الصعبة، كالكوارث الطبيعية، منافع تلك الصداقات.

وفي مجال النقل، أو ما يسميه الزعيم "جهاز البلاد العصبي"، كانت الوجهةُ فرنسا وألمانيا والسويد بَرّيا، وكانت حديديا ألمانيا الشرقية "الشيوعية". ولو استحضرنا كل مجالات التعاون المترتبة على الصداقات بين تونس والخارج لوجدنا هذا النهج نفسه من النفعية والتوازن سائدا. وليس أبلغ من أن بورقيبة المحسوب على الغرب، كان من أعمدة ما سمي وقتئذ "دول عدم الإنحياز" التي كان مؤسسوها، على غرار "عبد الناصر" و"تيتو" وغيرهما، من المناهضين للغرب. وكان بورقيبة في كل ذلك يوجه الشأن الدبلوماسي وفق بوصلة المصالح القومية والشرعية الدولية وتنويع الأصدقاء واحترام خيارات الدول. وكان عند الاقتضاء يتخلى عن عقلانيته ونفعيته ويظهر الجرأة التي تفاجئ أصدقاء تونس أنفسهم. وإنّ له في ذلك مآثر معلومة لم تُؤذِ قط شبكة علاقات تونس الخارجية وصداقاتها ، لأنها كانت جرأة رشيدة متينة البنيان قابلة للتفهم والإحترام . فأين نحن اليوم من هذه التقاليد؟.

2/دبلوماسية الإنغلاق

لعل الإنغلاق الذي تعيشه السلطة اليوم على الصعيد الداخلي إنما تشهد مثله على الصعيد الخارجي الدبلوماسي الذي يسود فيه الفراغ التمثيلي عواصم عديدة هامة مهما اخترنا من المقاييس. وقد يبدو مُلِحا ها هنا السؤال المحدد التالي: ما هي الدول الصديقة لتونس اليوم والتي يمكن عند الاقتضاء أن تشد أزرنا وفق المراسم المعلومة في علاقات التعاون بين الدول؟ إننا حيثما ولينا الوجه لا نجد بلدا يمُدنا بالجواب المُمتَلِئ. فضمن دول المغرب العربي برود بيننا وبين الجزائر بعد طور من الدفء. وبيننا وبين المغرب

جفاء أكيد. وبيننا وبين ليبيا عنوانه علاقة بيننا وبين "اللادولة" هناك . وبيننا وبين موريتانيا لا أثر. وبيننا وبين دول الساحل والعديد من الدول الإفريقية الأخرى توتر آت من قضية مواطنيهم الوافدين على تونس بشتى الطرق، والذين صار وجودهم المكثف وغير المراقب وغير المنظم مجلبة لمشاكل شتّى اجتماعيا وإنسانيا و"أمنيا" لم يسلم منها الأمنيون أنفسهم سواء من جهة سلامتهم الجسدية أو من جهة حماية أسلحتهم النظامية.

وفي الشرق والخليج بُهُوت وبرود وغموض من جهتهم وانغلاق من جهة تونس. وبعد اندلاع أحداث غزة صار الجفاء جليا بعد أن زايد رأس الحكم في تونس على حكامهم، وجَعَلهم ضمنيا من "المطبعين الخونة"، وفق شعاره الرائج الذي لم يمض فيه، أو من المتقاعسين أو المطالبين بما لا يرقى إلى سلم مطالب " تونس العظمى": مطالبها التي تتعدى مطالب عُتاة التّحرُّريين من أهل فلسطين أنفسهم.

"فتونس العظمى"، بمنصات صواريخها الكلامية، مَلكَية أكثر من كل الملوك وفلسطينية أكثر من كل الفلسطينيين، ذوي الحق المسلوب والمؤهلين لاتخاذ المواقف التي يرتضون لأنفسهم وللقضية التي هي قضيتهم قبل غيرهم.

في ميزانية تونس للسنة القادمة انبنى قسم منها مُهم على فرضية الإقتراض. وليس صندوق النقد الدولي هو موضوع الفرضية المعلوم من حجم القروض الخارجية المضمنة أنها من مصادر محدودة منها الجزائر والسعودية. وفي هذا مجازفة. فالدبلوماسية التونسية لم تتحرك وفق هذه الفرضية كما هو مستوجب. فأما الجزائر فإن البرود الذي يبدو بينها وبين السلطة التونسية غير مطمئن، فضلا عن أن مزايدة تونس في شأن غزة لا تستثني الجزائر التي أظهرت موقفا محترما متزنا، والتي تملك الثّقل الذي به قد تتمايز عن الآخرين لا سيما أنها قد اختارت فلكها العالمي الذي هو من تقاليدها ومن تاريخها.

وأما السعودية فأمرها أعقد. فقد اتخذت موقفا من أحداث غزة مشتقا من لعبة التوازنات التي صارت تنتهجها والتي منها علاقة بأمريكا راسخة، وتوجه أكيد نحو روسيا والصين على غير ما ترتضي أمريكا، فضلا عن خطى التطبيع "المخوّن" تونسيا والتي سارت فيه الرياض أشواطا قبل تعليق المسار بسبب العدوان على غزة. وفوق ذلك تنظر السعودية إلى ما يجري في غزة من منظور خاص بها، إذ قد تعتبره خطة ضدها . ولعلها تضمر بذلك إيران المتهمة من قوى غربية بالوقوف وراء ما يجري وإن أنكرت ومارست التقية ولعبة الظاهر والباطن بإتقان ومهارة. وترى أصوات قريبة من الرياض أن أحداث غزة خطة لإحراج نزوعها إلى التطبيع، ولإرباك مشروع الطريق التجارية المخطط لها من الهند فإسرائيل مرورا بالسعودية التي سيكون لها، حسب ما راج، دور مهم تمويلا وانتفاعا في خطط الجغرافيا السياسية والتجارية.

وبصرف النظر عن الرأي في موقف السعودية، فإنه موقفها الذي تتحمل تبعاته الداخلية والإقليمية والدولية. وليس في مصادمة الموقف التونسي لموقفها، وإن في غير تعمد، ما يبشّر بأنها ستتحمس لإقراض تونس. وفوق ذلك غاب رأس حكمنا عن قمة السعودية الأخيرة غيابا لا وجاهة له، ولو بمعيار فرضية الاقتراض. ذلك أن البلد المنظم لقمة ما، إنما يقيس نجاحها بحضور رؤوس الدول فضلا على أنه كان لتلك القمة أن تكون مناسبة لمد تونس مزيدا من جسور الصداقة نحوها، أو تقويتها أو رفع ما قد يكون راسبا فيها من أو سوء فهم لدى هذا الطرف أو ذاك من الآخر.

ومن جهة الغرب يبدو احتمال الإقراض أو تمتين العلاقات بدفعة جديدة في حكم المستبعد. وما يجري اليوم بيننا وبين الغرب هو مجرد إدارة لمسالك علاقات قديمة يراها الغرب علاقات دنيا بالدولة التونسية لا مصلحة له في محوها، لأنه يعرف أن الدول باقية والحكام زائلون.

ولا يخفى أن لذلك سببين اثنين: أما السبب الأول فهو"المسألة الديمقراطية" في تونس والتي يراها الغرب اليوم في مأزق. وإذا كان ذلك لدى الغرب حقا يراد به باطل أو حق، لأننا نعرف متى يدافعون عن الديمقراطية وقيمها ومتى يصمتون فإن النتيجة واحدة. وهذه النتيجة هي اتهام لرأس الحكم بالإستبداد، سواء في بعض مجتمعهم السياسي أو في وسائل إعلامهم. وليس أوضح من حملة العلاقات العامة التي نفذتها رئيسة حكومة إيطاليا "ميلوني" لصالح حاكم تونس والتي بلغت حدَّ التدخل لفائدته لدى رئيس أمريكا "بايدن" وحدَّ طمأنة الغرب بأنّ ما يقول الحاكم سعيد موجّه " إلى رأيه العام الداخلي"، والقول لها، وأنه ضمنيا لا يكن للغرب ما تعبّر عنه أقواله. وإن "لميلوني" مآرب لعل أغلبها ثنائيا، لصالح بلادها وليس لصالح بلادنا التي يبدو أنها رضخت لدور الحارس لحدود إيطاليا وأوروبا.

وأما السبب الثاني فهو ما صرح به رأس السلطة في تونس من مواقف مغالية إزاء موضوع غزة. وهي مواقف ليست ضد الغرب فحسب، وإنما هي، من زاوية ما، ضد العالم أيضا. ولا يفيد ذلك مهادنة الغرب في شأن الحق الفلسطيني وإنما الإحتكام لمقتضياته التي أقرها الغرب نفسه في المنتظم الأممي والتي يطمح إليها اليوم الفلسطينيون، وهي قيام دولتهم المستقلة على حدود ما قبل حرب 1967 وعاصمتها القدس الشرقية.

لعل سياسة الإنغلاق التي وضعت الدبلوماسية التونسية نفسها فيها يرافقها في المقابل تذبذب فادح، فلا هو اختيار لجهة في العالم اختيارا واضحا، ولا هو إتقان للعبة التوازنات. ذلك أن هذا الخيار أو ذاك إنما تُحكّم فيه الدول عناصر شتى معقدة وهذا ما قد نعود إليه بقدر من التفصيل في مناسبة قادمة.

الشارع المغاربي
تصدر عن شركة «كوثر العالمية للاتصال»
شركة محدودة المسؤولية

المؤسسة والمديرة المسؤولة
كوثر زنطور

مستشاران لدى إدارة التحرير
برتبة رئيس تحرير :
معز زيّود - الحبيب القيزاني

كتّاب افتتاحيات :
الصادق بلعيد - حمادي بن جاءبالله - عز الدين سعيدان - نائلة السليني - ألفة يوسف - خالد عبيد - جمال الدين العويديدي- عبد الواحد المكني - رفيق بوجدارية - أحمد بن مصطفى - فوزي البدوي - زهير بن يوسف - مولدي الاحمر

مستشارو التحرير :
صالح مصباح - صلاح بوزيان - أنس الشابي - نهلة عنان - مسعود رمضاني - أسعد جمعة - عامر الجريدي

الملحق الثقافي :
منير الفلاّح - عواطف البلدي

الفريق الثقافي :
زهير بن يوسف - عبد الوهاب البراهمي - فوزية ضيف الله - محمد الكحلاوي - أنور الشعافي- رضا القلال - الطيب الطويلي - هيام الفرشيشي - شفيع بالزين - علاء الدين السعيدي - خليل قويعة - الحبيب بيدة - محمد رضا البقلوطي - صالح السويسي - بهيجة بالربيع بنرقية

الريبورتاجات :
محمد الجلالي

مراسل قار بأوروبا :
جمال بن جميع

التحرير :
منى المساكني - خالد النوري - تميم أولاد سعد - كريمة السعداوي - ياسين بيّوض

الشارع القضائي :
لطفي واجه

المدير الفنّي :
فيصل بن البشير

مكلفة بمهمة لدى إدارة التحرير:
هيفاء بن محمد

العنوان :
45 شارع آلان سافاري - 1002 تونس
الهاتف : 034 063 36 الفاكس : 065 890 71
www.acharaa.com
contact@acharaa.com

المطبعة: BETA i@beta.com.tn

محمد التليلي المنصري الناطق باسم هيئة الانتخابات لـ «الشارع المغاربي» :

سنطلب من النيابة العمومية تخصيص مساعد لوكيل الجمهورية على ذمّتنا خلال الحملة الانتخابية

• تحقيق نسبة مشاركة بـ 30 بالمائة في الانتخابات المحلية يعتبر مشاركة معقولة وطيبة
• مؤشرات ايجابية لتحقيق نسبة مشاركة معقولة في انتخابات 24 ديسمبر
• هذه تفاصيل تمويل الحملة الانتخابية
للأداء السياسي والجوانب الاقتصادية والاجتماعية تأثير على ارتفاع نسبة العزوف

نقل : منى المساكني

أكد محمد التليلي المنصري الناطق باسم الهيئة العليا المستقلة للانتخابات أن كل المؤشرات توحي بأن نسبة المشاركة في الانتخابات المحلية ستكون طيبة ملاحظا ان عديد الاسباب الموضوعية والعلمية تقف وراء العزوف عن المشاركة وانها تتطلب دراسة كبيرة.

المنصري اكد في الحوار الذي ادلى به لأسبوعية «الشارع المغاربي» ان تحقيق مشاركة بنسبة 30 بالمائة يعتبر معقولا وطيبا باعتبار ان العادة جرت أن يكون ثلث الجسم الانتخابي التونسي هو المعني بالحياة الانتخابية.

وقال ان مسار الانتخابات المحلية تميز بصعوبته اللوجستية وبكثرة الدوائر الانتخابية باعتبار انه سيتم للمرة الاولى تنظيم انتخابات في 2153 دائرة لافتا الى ان الهيئة ستؤمن تكوينا لمختلف مكونات النيابة العمومية ومأمورية الضابطة العدلية في خصائص الجرائم الانتخابية وتوضح بعض المسائل للبت سريعا في القضايا المتصلة بالانتخابات.

ما هي آخر استعدادات الهيئة للانتخابات المحلية؟

لم يعد يفصلنا عن موعد الانتخاب إلا 27 يوما واستعداداتنا له حثيثة.. اليوم الثلاثاء نكون قد صادقنا على القائمة النهائية للمترشحين المقبولين وأعلنا عنها وهي تضم 7216 مترشحا. كما سنكشف عن برنامج الهيئة في ما يتعلق بالحملة الانتخابية خلال المراحل القادمة مع العلم اننا انتدبنا الأعوان الذين سيراقبون الحملة وهم بصدد الخضوع لتكوين في مختلف الهيئات الفرعية. التكوين سيشمل أيضا أعضاء هيئاتنا الفرعية يومي 28 و29 نوفمبر الجاري بخصوص قواعد الحملة وتمويلها والتغطية الإعلامية على مستوى مختلف وسائل الاتصال إضافة إلى الفضاء المفتوح. كما سنعمل على تجميع أعوان الضابطة العدلية بما فيها من شرطة وحرس ونيابة عمومية بكل من تونس وسوسة وصفاقس وقفصة للتحدث عن الجرائم الانتخابية وقواعد الحملة وعن العلاقة التي ستجمع الهيئة بالضابطة العدلية والنيابة العمومية خلال 21 يوما من الحملة الانتخابية وعن كيفية التدخل في صورة وجود جرائم انتخابية من أجل التنسيق بيننا لمراقبة الخطابات والأنشطة والتظاهرات وتمويل الحملة ونفقاتها وفي كيفية تدخل النيابة العمومية حتى لا يكون هناك بطء في التدخل. وهذا يحدث للمرة الأولى خلال موعد انتخابي.

ولماذا قرّرتم إجراء هذا التكوين؟

شعرنا بأن هناك نقصا في التكوين.. كما لمسنا أن القانون الانتخابي لم يتطرق إلى مسألة تكوين النيابة العمومية ومأمورية الضابطة العدلية في خصائص الجرائم الانتخابية وفي إجراءات التتبع. وقد لاحظنا ان النيابة لا تعتمد محاضر أعوان رقابة الحملات الانتخابية رغم أنهم محلفون أمام حكّام الناحية ولديهم صفة الضابطة العدلية وإنما تفتح بحثا جديدا وتجري أبحاثا تكميلية مع العلم أن القانون ينص على أن محضر الهيئة كاف لاعتماده كوسيلة اثبات. لهذا سنعمل على توضيح بعض المسائل مع النيابة العمومية في احالات الجرائم وفي التتبع مع التأكيد عليها على تخصيص مساعد لوكيل جمهورية في كل محكمة حتى يكون على ذمتنا خلال فترة الحملة ولا يتم النظر في الجرائم الانتخابية مع جرائم الحق العام مع تخصيص دوائر خاصة للتسريع في الفصل. كما لدينا عمل لوجستي باعتبار ان القائمة النهائية للمترشحين المقبولين باتت جاهزة لطباعتها في المطبعة الرسمية.

بالحديث عن المسائل اللوجستية، هل اتلاف الحبر الذي تم مؤخرا هو عملية متداولة ؟

هذه ليست المرة الأولى التي يتم فيها إتلاف حبر انتخابي خاصة اذا انتهت اجال استعماله. وقد تم ذلك بالتنسيق مع وزارة الصحة التي اجرت تحاليل على الحبر. فكلما ثبت ان الحبر الذي يتضمن مواد كيميائية بات مضرا بالصحة وجب اتلافه.

ولماذا اقتنيتم كميات اكثر مما تم استعماله في الانتخابات السابقة خاصة بعد مراكمة تجارب عديدة في تنظيم الانتخابات والوقوف على الكميات الكافية من الحبر في كل موعد انتخابي؟

اقتنينا ما يكفي من الحبر انطلاقا من العدد الجملي الموجود في السجل الانتخابي اي اعتمادا على ان كل المسجلين سيشاركون في التصويت. ومع توجه 11 بالمائة فقط من المسجلين الى صناديق الاقتراع حدث هذا الاضطراب وبقيت لدينا كميات كبيرة من الحبر فكان مآلها الاتلاف مع انتهاء صلوحيتها.

ومتى يصدر الامر المنظم للتمويل؟

صحيح اننا نشرنا القرار المنظم للتمويل ولكن هذا يبقى مرتبطا باصدار امر يحدد سقف التمويل. وينتظر ان يصدر اليوم او غدا بعد عرضه على مجلس الوزراء. وقد تم عرضه علينا كهيئة ووافقنا عليه. ويتمثل التمشي في ان يكون سقف التمويل بالنسبة للعمادات التي تتضمن 2000 ناخب في حدود 1000 دينار عن كل 1000 ناخب. وبالنسبة للعمادات التي تضم بين 2000 و 5000 ناخب يتم اعتماد سقف تمويل في حدود 800 دينار عن كل 1000 ناخب فيما سيكون سقف التمويل بالنسبة للعمادات التي تضم اكثر من 5000 ناخب في حدود 600 دينار عن كل 1000 ناخب. والاكيد ان التمويل سيكون إما خاصا أو ذاتيا على ألا يتجاوز التمويل الخاص اربعة أخماس سقف التمويل. كما سيتم الزام المترشح بفتح حساب بنكي او بريدي وحيد وتقديم حسابات مالية مضبوطة لنفقاته الانتخابية. وقد انتهينا خلال الاسبوع الفارط من عقد اجتماعات مع المترشحين في كل الولايات وفسرنا لهم فيها قواعد التمويل وكيفية مسك حساباتهم وأوضحنا لهم حقوقهم وواجباتهم خاصة اننا لاحظنا ان هناك نوعا من عدم المعرفة بهذه الشكليات التي تترتب عليها عديد العقوبات من طرف محكمة المحاسبات.

ما الذي يميّز الانتخابات القادمة عن المواعيد الانتخابية السابقة؟

صعوبتها اللوجستية وكثرة الدوائر الانتخابية باعتبار انه للمرة الاولى يتم تنظيم انتخابات في 2153 دائرة انتخابية مع العلم ان اكثر انتخابات شهدت في السابق فتح دوائر انتخابية كانت الانتخابات البلدية بـ 350 دائرة. كما تطلبت الاحكام الجديدة جهدا كبيرا من الهيئة خاصة في تقسيم الدوائر الانتخابية انطلاقا من تثبيت التقسيم الاداري واعطائه الصيغة الرسمية ثم التقسيم الانتخابي اضافة الى الجانب التشريعي القائم على الاقتراع على الافراد بما فرض اعادة صياغة عديد القرارات مع الجهد الكبير في تكوين المترشحين واعضاء الهيئات الفرعية واعوان الرقابة وأعوان الضابطة العدلية والنيابة العمومية وقبول الترشحات.

كيف تفاعلتم مع الدعوات الحاثة على مقاطعة الانتخابات؟

لقد تعودنا على هذه الدعوات التي انطلقت منذ الاستفتاء على الدستور وبعد ذلك خلال الانتخابات التشريعية الفارطة. يبقى ذلك موقفا وحقا.. هذا مسار انتخابي مفتوح للعموم ومن اراد المشاركة فذلك متاح له بالقانون وفق الشروط القانونية والقضائية ومدونات السلوك ومن اراد المقاطعة فذاك حق يكفله له القانون.

ألن تؤثر هذه المقاطعة على نسبة المشاركة في الانتخابات؟

من المؤكد انه سيكون لدعوات المقاطعة تأثير على نسب

المشاركة. كان بودنا ان تشهد الانتخابات المحلية مشاركة جماعية وان يكون هناك مناخ سلس وملائم لتنظيم انتخابات. الحياة الديمقراطية تتضمن المشاركين والمقاطعين والمعارضين.

هل ترى ان هيئة الانتخابات تتحمل مسؤولية اي عزوف أو مشاركة عالية في الانتخابات؟

نحن كهيئة نتحمل جزءا من المسؤولية. لقد استعملنا نفس الاستراتيجية في الاستفتاء فانتجت نسبة مشاركة بـ 32 بالمائة ودعمنا تلك الاستراتيجية في الانتخابات التشريعية الفارطة فكانت النتيجة 11 بالمائة. هذا يعني ان السبب المباشر ليس عدم معرفة الناخب بموعد الانتخابات. تأكدي ان لدى كل مواطن تونسي علما بموعد الانتخابات. وقد عملنا على ابلاغه بذلك عبر الارساليات القصيرة والندوات والحملات التحسيسية في الاعلام العمومي والتواصل المباشر وعبر 3000 عون منتشرين في كل تراب الجمهورية. هناك عديد الاسباب الموضوعية والعلمية وراء العزوف عن المشاركة وهي تتطلب دراسة كبيرة.

هل لك أن تحدد لنا الاسباب الموضوعية؟

للاداء السياسي تأثير على ارتفاع نسبة العزوف مثله مثل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية ومن واجبنا كهيئة اعداد كل الجوانب اللوجستية والبشرية وتوفير الاعتمادات لكل من يريد ملاحظة الانتخابات والقيام بالحملات التحسيسية اللازمة واجراء الدورات التكوينية الضرورية والنزول الى الميدان. لدي مؤشرات ايجابية على وجود بوادر نسب مشاركة جيدة.

ماذا تعني بمؤشرات ايجابية؟

المؤشر الايجابي الاول ان 700 الف تونسي غيّروا مراكز اقتراعهم والمؤشر الايجابي الثاني ان مليوني تونسي تثبتوا من اماكن اقتراعهم عبر تطبيقة CIN*195* والمؤشر الايجابي الثالث هو عدد المترشحين الذي كشف ان الترشح كان بنسبة تغطية في حدود 100 بالمائة في كل المجالس. كل هذا المؤشرات توحي بأن نسبة المشاركة ستكون طيبة.

ما النسبة التي ستعتبرها الهيئة محترمة؟

تعودنا على ان يكون الجسم الانتخابي التونسي في حدود 30 بالمائة بما يمثل الفئة المعنية بالحياة السياسية بصفة عامة وبالعملية الانتخابية بصفة خاصة.

يعني انكم تعتبرون ان الانتخابات نجحت اذا تم تحقيق نسبة مشاركة بـ 30 بالمائة؟

بعد مرورنا بـ 13 مسارا انتخابيا تعودنا على ان ثلث الجسم الانتخابي التونسي هو المعني بالحياة الانتخابية وعلى ان تتراوح نسبة المشاركة بين 20 و45 بالمائة. على كل اذا حققنا نسبة مشاركة بـ 30 بالمائة أو تجاوزناها بقليل سنعتبرها مشاركة معقولة.

هل ستعتمدون في الانتخابات المحلية نفس التمشي مع «الهايكا»؟

تم حسم المسألة منذ الانتخابات التشريعية الفارطة بالمحكمة الادارية التي اعتبرت ان هيئة الانتخابات هي المختصة الوحيدة في مراقبة التغطية الاعلامية من خلال الولاية العامة على المجال الانتخابي. وقد جعل المرسوم بصفة صريحة من هيئة الانتخابات الجهة الوحيدة المخولة لرقابة الحملة والتغطية الاعلامية دون المساس بالاختصاص الاصلي للهايكا باعتبار ان مجال تدخلنا يقتصر على 21 يوما فقط.

هل طلبتم توضيحات بخصوص القضية المتعلقة بمحاولة افشال المسار الانتخابي أم أن الامر لا يعنيكم؟

بصراحة لا املك اية معطيات عن الملف وان وجدت فانها تبقى قضية حق عام والسلطات القضائية هي المؤهلة للنظر فيها.

وان كانت تتعلق ببعض التفاصيل التي تهمكم كهيئة معنية بإنجاح المسار الانتخابي؟

لم يتم اعلامنا بهذه المسألة.

متى تنظم الهيئة انتخابات جزئية لسد الشغورات في البرلمان؟

تم في مناقشة ميزانية الهيئة لسنة 2024 تخصيص نفقات لسد 7 شغورات بالبرلمان مع ان هذه الانتخابات ستكون لوجستيا يسيرة بالنسبة الينا.

وماذا عن موعد الانتخابات الرئاسية القادمة؟

لدينا قانون ساري المفعول وهو باب الانتخابات الرئاسية من القانون الانتخابي لسنة 2014 والذي لم يشهد لا تعديلا ولا الغاء مما يعني انه لا يزال ساري المفعول وان الانتخابات الرئاسية ستجري في الثلاثة اشهر الاخيرة من سنة 2024.

رأي

أين يهود تونس ممّا يحدث في غزّة؟

خالد الهرماسي

بعيدًا عن كل الشعارات الهُلامية ولغة المزايدات أثبتت تونس عبر التاريخ أنها واحة للسلام والتعايش بين جميع الأعراق والطوائف والأديان. وهذا بشهادة كبار المؤرخين في العالم الذين أكدوا وبالإجماع تقريبًا على العمق التاريخي والحضاري لتونس وما شهدت من تعاقب الحضارات طيلة ما يقدّر بثلاثة آلاف سنة كانت خلالها تونس تتزعم العالم عبر تأسيس الحضارات والدول كالبونيّة والرومانيّة والوندالية والبيزنطية والعربية الإسلامية والعثمانية والحسينية. وحتى اللحظة مازال أجدادنا الباقون على قيد الحياة يروون لنا السرديات والقصص والذكريات حول التعايش التونسي مع الجاليات المالطية والإيطالية ويهود تونس حتى أنه يُطلق على مُدن وأحياء في العاصمة التونسية العتيقة أسماء حومة الطلاين والمالطية واليهود على غرار الحفصية ولافيات وحلق الوادي وحمام الأنف وجربة ونابل.

الدساتير والقوانين التونسية والأعراف والتقاليد كلها ضمانات للتعايش وقبول الآخر مهما كان الاختلاف دينيًا أو عرقيًا أو طائفيًا.

والحمد لله أن تونس من البلدان العربية الإسلامية القليلة إن لم تكن الاستثناء التي لا تنص فيها بطاقة التعريف الوطنية وجواز السفر على الدين والعِرق أو الطائفة وهذا يعتبر مكسبا تقدميا كبيرا مقارنة بعديد الدُول العربية والإسلامية في المشرق والمغرب وحتى في بلاد العجم.

الموقف الرسمي والشعبي التونسي من سياسة الأبارتايد والتقتيل والتهجير والإبادة الجماعية التي يتعرض لها أبناء الشعب الفلسطيني في غزة وكامل فلسطين كان حاسمًا وبلا قفازات دبلوماسية متمثلا في الانحياز الواضح والصريح للحق الفلسطيني والاصطفاف إلى جانب المقاومة الفلسطينية بعيدًا عن كل الحسابات الأيديولوجية التي كانت دائمًا عنصر تعطيل وتفرقة حول القضية الأسمى في الوجود: الحق الفلسطيني واسترجاع كل الأراضي الفلسطينية المحتلة وتقرير المصير، وتأسيس دولة فلسطين وعاصمتها القدس الشريف.

قد تكون للمواقف الرسمية والشعارات السياسية حسابات الجمع والطرح والقسمة لكن الزخم الشعبي والجماهيري والتفاف أغلب التونسيين حول المقاومة ودعمها لا يقبل الشك والتأويل. وهذا ترجمه الميدان في مشاهد

كبير أحبار اليهود في تونس حاييم بيتان في لقاء سابق مع رئيس الجمهورية

أطفال المدارس الابتدائية والإعدادية وشباب المعاهد والكليات وفيراجات ملاعب كرة القدم الذين عدلوا ساعاتهم على مواعيد أبو عبيدة وصواريخ القسّام ومُسيّرات الشهيد محمد الزواري حتى أصبح صوت فلسطين والمقاومة لا يعلو عليه أي صوت في كل الفضاءات العامة والخاصة .

شخصيات عامة وطنية ورياضية وفنية وثقافية تونسية رغم كل التضييقات التي مارستها الدول الغربية وخاصة الإتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية كانت في مستوى اللحظة التاريخية وعبرت عن مواقف أدانت العدوان الصهيوني الوحشي واللإنساني على نساء وشيوخ وأطفال غزة وقدمت الدعم والمساندة لأبطال المقاومة الفلسطينية الباسلة والتضامن مع الشعب الفلسطيني وأبناء غزة الصامدة. على سبيل الذكر لا الحصر أنس جابر والبطل الأولمبي والعالمي أحمد أيوب الحفناوي والبطل العالمي في التايكواندو خليل الجندوبي الذين وضعوا مستقبلهم ومسيرتهم الرياضية في الميزان خاصة إذا علمنا النفوذ الصهيوني داخل الهياكل والمؤسسات الرياضية العالمية.

في خضم كل هذه المواقف ووسط غبار المعركة لم نر ولم نسمع أي موقف من يهود تونس الذين لهم ما لنا وعليهم ما علينا ويحملون جنسيتنا وبطاقة تعريفنا التونسية .

فجأة اختفت جزيرة السلام والتعايش جربة ومعبد الغريبة وآل الطرابلسي الذين كنزوا الأموال والثروات بفضل احتكارهم معبد الغريبة واستثماره كمغارة علي بابا للعائلة ومشاريعهم السياحية الخاصة .

لم نسمع صوت الأب بيريز ولا الابن المدلل روني الطرابلسي الذي أصبح بفضل الجنسية التونسية وزيرًا فوق العادة للسياحة وكان مبرمجًا لرئاسة الحكومة في صورة فوز يوسف الشاهد بالانتخابات الرئاسية 2019 لولا المفاجأة التي أحدثها قيس سعيد آنذاك وأسقط كل الحسابات في مياه بحر جربة.

الأدهى والأمر والأخطر من غياب مواقف يهود تونس نجد بعض من الذين صدّعت لنا بهم النخبة التونسية آذاننا والتي ما فتئت تسوّقهم وتقدمهم كحمائم سلام على غرار ميشال بوجناح وسيريل حنونة وعدة شخصيات يهودية تونسية أخرى والذين كانت مواقفهم لا تختلف في شيء عن الخطابات العنصرية والفاشية والصهيونية لنتانياهو ووزير الحرب الصهيوني يوآف غالانت واليميني المتطرف الفرنسي إريك زمور ورموز الصهيونية العالمية الذين أجمعوا وأيدوا الجرائم البشعة ضد الإنسانية والتطهير العرقي لأبنائنا في غزة .

وحتى كبير أحبار اليهود في تونس حاييم بيتان اختفى عن الأنظار ولم نسمع له صوتا وهذه عادة وسُنة يهود تونس عند كل الاعتداءات الوحشية للعصابات الصهيونية بما في ذلك التي تعرضت لها تونس في حمام الشط واغتيال أبو جهاد وصلاح خلف أبو إياد والشهيد محمد الزواري.

وتبقى الأسئلة مطروحة ومفتوحة:

يهود تونس الولاء للعقيدة أو الوطن؟

يهود تونس وسياسة اللاموقف هل هو السكوت علامة الرضا؟

يهود تونس هل الموقف الرسمي والشعبي من الجرائم ضد الإنسانية والتطهير العرقي لأبناء غزة وفلسطين يمثلكم أم لا؟

عن وزير الشؤون الدينية:

3 معطيات خطيرة وجب التوقّف عندها

أنس الشابي

بعد انقلاب السابع من نوفمبر 1987 اعتمدت السلطة الجديدة سياسة سحب البساط من تحت أقدام حركة الاتجاه الإسلامي وهي سياسة خاطئة لأنّها تصدر عن فهم مغلوط للمسألة الدينيّة وعلاقتها بالشأن العام إذ يرى أصحاب هذا التصوّر أنّ من يتحكّم في الخطاب الديني سيتحكّم حتما في الفضاء الديني ومن ثمّ فإنّ مواجهة المنافس الإسلامي يجب أن تعتمد هي الأخرى خطابا دينيّا. في هذا الإطار اتّخذت السلطة الجديدة جملة من القرارات من أبرزها إحداث وزارة للشؤون الدينيّة وجامعة زيتونيّة وتغيير تركيبة المجلس الإسلامي الأعلى وتغطية واجهات المطاعم والمقاهي في رمضان احتراما لمشاعر الصائمين خارجها استجابة لنصيحة سابقة من صلاح الدين الجورشي(1) وغير ذلك. وهي في ما صنعت ارتكبت خطأ عبد الناصر الذي بوهم مقاومة حركة الإخوان المسلمين سنّ قانونا لـ«تطوير الأزهر» وسّع من صلاحيّاته وقنّنها إلى أن أصبحت الدولة اليوم عاجزة عن مواجهة الخطاب الأزهري وهو خطاب سلفي إخواني معادٍ للعلم والتطوّر وإن بتخفٍّ واحتشام في بعض الأحيان وهو الشيء نفسه الذي حدث لدينا.

ففي فترة حكم الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي لم تكن وزارة الشؤون الدينيّة تمارس أيّ دور سياسي وانحصرت مهامّها في تعيين الأيمّة والعناية بالمساجد والجوامع والزوايا وتنظيم الحج. غير أنّ الأمر اختلف بعد أحداث 2011، ففي سؤال للغنوشي عن دور وزارة الشؤون الدينيّة قال: «... سنسعى لتغيير هذه الوزارة حتى تمثّل الدين بحقّ فهذه المؤسّسة ما تزال لليوم وزارة انبطاح وستتغيّر إن شاء الله وسيكون على رأسها إنسان مسلم جادّ وتقي...»(2). وبالفعل ما أن عُيِّن نور الدين بن حسن الخادمي وزيرا للشؤون الدينيّة حتى انفلتت الجوامع من عقالها بانتصاب أيمة النهضة فيها وأصبحت المساجد والجوامع محلات لتجنيد الشباب وتسفيرهم إلى بؤر التوتّر. ورغم نداءات قوى المجتمع المدني بضرورة السيطرة على أماكن العبادة فإنّ شيئا من ذلك لم يحدث بل ازداد الأمر سوءا وتعفّنا لأنّ كلّ الوزراء الذين تداولوا على الوزارة خلال حكم الثالوث (الترويكا) وأثناء حكم التوافق مع الباجي قائد السبسي مكّنوا حركة النهضة من التحكّم في مفاصلها خصوصا بعد أن سنّ الخادمي وعلي العريض سنة 2013 أمرًا يهمّ تنظيم الوزارة التي تضخّم هيكلها تضخّما لا نجد له أي تبرير حتى تستوعب أكبر عدد من جماعة العفو التشريعي العام ولنجد في نهاية الأمر أنّ عدد ما يعود للوزير مباشرة من إدارات وإدارات عامة 21 فضلا عن الإدارات الجهويّة وإدارات القرآن والتفسير والكتاتيب والمصالح التي يفوق عددها المائتين (200) وما يتبعها من مديرين بمختلف رتبهم وصغار الموظفين والعملة والسّعاة وغيرهم بما يُثقل كاهل الدولة دون أيّة فائدة تذكر(3). كلّ ذلك الى جانب مؤسّسات تعليميّة ومراكز بحث تعود بالنظر إلى الوزارة

في تونس والقيروان وسوسة، لا نسمع لها نشاطا إلا في بعض المناسبات القليلة أو في حالة اتّهام أحد المنتسبين اليها بالسطو على بحث علمي نشره باسمه. هذا الهيكل الإداري المتضخّم تخصّص له الدولة ميزانيّات كبرى. ففي هذه السنة وقع الترفيع في ميزانية الوزارة بما يقارب الأربعة بالمائة لتصل إلى حدود 187 مليون دينار في نفس الوقت الذي تخفّض فيه ميزانية وزارة الثقافة كلّ سنة لتنزل إلى حوالي النصف في المائة من الميزانيّة العامّة بعد أن فاقت الواحد في المائة قبل حكم الثالوث (الترويكا). ومن حقّ أيّ مواطن أن يتساءل عن مغزى الترفيع والقضم من الميزانيّات؟ وعن مردود وزارة الشؤون الدينيّة في الشأن العام؟ وما الذي يُنتظر منها؟

الخطاب الديني

في ردّه على أسئلة النوّاب أثناء مناقشة الميزانيّة تحدّث الوزير طويلا عن الخطاب الديني وبناء الفكر الجديد الذي سيقوم به الأيمة مثلما قال، والحال أنّ نسبة كبيرة من خطباء الجمعة هم من متواضعي البضاعة العلميّة والدينيّة. فحسب إحصائيّة نشرتها وزارة الشؤون الدينيّة -إن كانت صادقة في ما نشرت- بلغ عدد الأيمة الخطباء المجازين 937 إماما لِما يفوق 4000 جامع(4). بحيث لا يجوز الحديث عن خطاب ديني ونحن نرى أنّ خطباء حوالي 3000 جامع هم من غير المجازين وحتى ممّن اقتصر تعليمهم على الدراسة في الكُتّاب أو لم يتجاوزوا السنوات الأولى من التعليم الابتدائي وممّن هم خارج التصنيف. والذي يجب أن نضعه في الاعتبار أنّ مقولة الخطاب الديني التي درج على استعمالها المسؤولون على الشأن الديني وسياسيو هذا العهد والذي قبله هي مجرّد كلمة بلا رصيد معرفي لأنّها لا تحيل الى معنى مضبوط ومفهوم محدّد بل هي مجرّد لفظ لتبرير السياسة الدينيّة المتّبعة. ففي سنوات حكم النهضة وتوابعها صُنّف الجوادي والبشير بن حسن والخادمي من أيمّة الاعتدال(5) لأنّهم يروّجون لخطاب الغنوشي الذي يعتبره وزير الشؤون الدينيّة الحالي من أيمة التجديد في الفكر الإسلامي(6) وهو ما يعني أنّ الخطاب الذي يتحدّث عنه الوزير في مجلس باردو هو الخطاب الذي وضعته حركة النهضة وعلى أساسه تدار الشؤون الدينيّة.

الكتاتيب

تحدّث الوزير عن الكتاتيب فذكر أنّ عدد روّادها يبلغ 56 ألفا والأمر على غاية من الخطورة لأنّ المؤدّبين الذين تنتدبهم الوزارة هم من غير المختصّين في التعامل مع الأطفال في هذه السنّ المبكّرة حيث لا تشترط فيهم إلا بعض الشروط الهيّنة كأن يكون مستوى المترشّح السنة السابعة ثانوي وتنزل به في بعض الحالات إلى السنة الخامسة(7) وهو شرط لا نعتقد أنّه كاف لتعليم الأطفال والإحاطة بهم إن

لم نقل إنّه مدمّر للعملية التربويّة من أساسها. فرياض الأطفال مثلا تَشترط في من تُعهد إليهم مهمّة تنشيطها أن يكونوا من بين المتحصّلين على الإجازة في تربية الطفل أو علم النفس أو على شهادة مؤهّل تقني سام في التنشيط برياض الأطفال. علما أنّ الكتاتيب كانت رائجة قبل الاستقلال واقتضتها الضرورة لأنّها السبيل الوحيد المفتوح أمام أبناء الشعب للتعلّم في جامع الزيتونة المؤسّسة التعليميّة الشعبيّة الموجودة في كامل أرجاء الوطن. ومن ثمّ اعتُبر الكتّاب مرحلة تأهيل يجب أن يمرّ بها كلّ مترشّح للدراسة في الجامع بحفظ شيء من القرآن وبعض المتون التي يُمتحن فيها الطالب من قبل لجنة من الشيوخ. وقد بقيت بعض هذه الكتاتيب موجودة بعد الاستقلال خصوصا في الأماكن النائية وفي الحارات الشعبيّة. وإن تناقص عددها لأنّ المدرسة العموميّة والرياض الراجعة بالنظر للبلديّات انتشرت في كامل أرجاء الوطن ولم تعد الحاجة ماسّة لهذا النوع من التعليم الماقبل مدرسي الذي تكفّلت به رياض الأطفال. فالكتاتيب الموجودة اليوم والتي يتحدّث عنها الوزير بإعجاب وإطراء لا تختلف في شيء عن التعليم الموازي الذي نجده لدى الجمعيّات الدينيّة كمشيخة نهج قليبية ومشيخة لافايات لصاحبها منير الكمنتر وبؤرة القرضاوي وغيرها . فكتاتيب الوزارة ليست إلا تعليما موازيا تشرف عليه مؤسّسة رسميّة، كلّ ذلك تنفيذا لمخطّط حركة النهضة القائم الى حدّ الساعة وصاغه عبد الفتاح مورو في شعار شهير هو»حاجتنا بأولادهم» الذي أعاد أجساما شبعت موتا إلى الحياة عبر ما ذُكر . أمّا ثالثة الأثافي فجاءت في مقاييس الترشّح إلى خطّة مؤدّب المنشورة بصفحة الوزارة كما يلي: «يمكن للمؤدّب أن يستعين على نفقته الخاصة بمُعينة من محارمه للقيام على شؤون الأطفال» وهو شرط عجيب غريب لا يمكن أن يصدر إلا عن نهضوي سلفي لا يقيم أيّة حرمة جسديّة للأطفال لذا اشترط المحارم منعا للاختلاء بهم.

بالإضافة إلى ما ذكر نجد أنّ وزارة الشؤون الدينيّة تدعو المؤدّبين والمؤدّبات إلى اعتماد برامج وزارة التربية المعدّة للأطفال الذين بلغوا الخامسة من العمر. فهل بمثل هذه «الإطارات» ذات المستوى المتدنّي يمكن أن تكون الكتاتيب ناجحة؟ ألم يكن من الأجدى الاستنجاد بإطارات وزارة التربية بدل مؤدّبين ومؤدّبات طارئين على البرامج وعلى الطفولة أو إحالة المسألة برمّتها إلى أهل الاختصاص في الوزارة المذكورة؟.

عدد الأئمة الخطباء المتحصلين على الإجازة

الولاية	إمام خطيب متحصل على الإجازة
تونس	66
اريانة	24
بن عروس	48
زغوان	19
بنزرت	47
باجة	16
جندوبة	27
الكاف	5
سليانة	22
القصرين	33
سيدي بوزيد	52
قفصة	25
توزر	17
مدنين	47
تطاوين	29
قابس	45
قبلي	27
صفاقس	103
القيروان	43
المهدية	13
المنستير	48
سوسة	47
نابل	78
منوبة	26
المجموع	937

الحجّ

أمّا عن الحج فقد أطنب الوزير في الحديث عنه وفي التمسّك به رغم أنّ شرط وجوبه الذي هو الاستطاعة الماليّة سقط اليوم، لأنّها لم تعد تتناول الأفراد فقط بل إن معناها ينصرف شئنا أم أبينا إلى المجموعة ممثّلة في الدولة التي تتدخّل للقيام بهذه الشعيرة عن طريق بنوكها ومؤسّسات أسفارها ووزاراتها. فالاستطاعة اليوم هي أساسا قدرة الدولة على الايفاء بِما يمكّن من القيام بهذه الشعيرة دون الإضرار بمصالح الأمّة الحيويّة من غذاء ودواء وسيادة، ولأنّ أداءها يتكلّف على الميزانيّة العامّة للدولة مبالغ مهولة من العملة الصعبة وهي العملة التي نستصرخ للحصول عليها عن طريق السياحة والاقتراض من الأجنبي حتى نوفّر بها الحدّ الأدنى من مستلزمات الحياة ممّا يجب استيراده من الخارج فمن الأجدر تخصيص هذه المبالغ لِما يحفظ بيضة الأمّة ويخفّف عنها غلواء التداين والارتهان للآخر، خصوصا لمّا نضع في الاعتبار أنّ الشرع ذاته يسمح بهذه الرخصة ممثّلة في التوقّف عن أداء هذه الشعيرة إلى أن تصبح الأمّة قادرة على تحمّل تبعاتها لأنّ المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصّة ودفع الضرر وهو ضرر متحقّق نعيش تبعاته في حياتنا اليوميّة أولى من جلب المصالح. هذا إن اعتبرنا الحجّ اليوم مصلحة وليس مفسدة، ولا التفات لِمن يقول بغير هذا لأنّ شرط الاستطاعة الذي هو شرط وجوب غير متوفّر اليوم وهو عذر كاف ليسقط به فرض الحج عن عباده مؤقّتا إلى حين ارتفاعه فقد قال الرسول (ص): «إن الله يحبّ أن تُؤتى رخصه كما يحبّ أن تُؤتى عزائمه»(8).

تُجمع القوى الوطنيّة على خطورة ما تقوم به الجمعيّات الدينية المنفلتة من أيّ عقال لأنّ بعضها كبؤرة القرضاوي يجد الحماية من السلطة القائمة فتفتح له أبواب التصرّف على مصراعيها ولكن الخطورة لا تكمن في من ذكر بل تتجاوزها إلى المؤسّسات الدينية الرسميّة وعلى رأسها الوزارة. وطالما لم تضبط حدود تصرفها وطبيعة المهام المناطة بعهدتها وإبعادها تماما عن الشأن التعليمي فإنّ وحدة المجتمع مهدّدة بالانقسام حيث تعلّم البعض وتأثر بخطاب الوزارة وتوابعها وكتاتيبها وتعلّم الثاني في المدرسة العموميّة بما يؤدي إلى خلق جيلين متناقضين وهو ما نشاهد بداياته اليوم في اللباس واللحية وانتشار التداوي بالأعشاب والرقية وبول البعير في مجتمع تشهد فيه الأمية زحفا مرعبا.

الهوامش

1) جريدة الشروق بتاريخ 11 جوان 1986.

2) جريدة 14 جانفي بتاريخ 19 جويلية 2017.

3) انظر في ذلك قائمة الإطارات المكلّفة بخطط وظيفيّة بوزارة الشؤون الدينيّة المنشورة على صفحة الوزارة.

4) نقلا عن «معطيات إحصائيّة حول المعالم الدينية والإطارات المسجديّة بالبلاد التونسيّة» وقع حذفه من صفحة الوزارة وعوّض بجدول عن عدد الجوامع والمساجد المرسّمة فقط.

5) جريدة الضمير مقال رئيسي في الصفحة الأولى عنوانه «لماذا يستهدف أئمة الاعتدال؟» مصحوبا بصور الثالوث المذكور بتاريخ 14 أفريل 2015.

6) ناقش وزير الشؤون الدينية إبراهيم الشايبي يوم 10 سبتمبر 2018 رسالة ماجستير للطالب أسامة النجار عنوانها «الفكر التجديدي للأستاذ راشد الغنوشي، السياسة الشرعيّة أنموذجا» في المعهد العالي للحضارة الإسلامية صحبة علي العشي عضو مجلس شورى حركة النهضة وسامي الفريضي عضو مكتب الدعوة للحركة المذكورة.

7) انظر مقاييس الترشح لخطة مؤدّب المنشورة على صفحة الوزارة.

8) انظر «المسألة الدينيّة في تونس بعد انتخابات 23 أكتوبر» أنس الشابي، سلسلة كتاب الشهر رقم 8 الصادر عن دار سحر للنشر تونس 2014، فصل «إرشاد الأنام إلى ضرورة الإمساك عن الحج هذا العام» ص51 وما بعدها.

خزعبلات سياسية تونسية

وزيرة العدل متقلّقة من التقلقيل...

منير الفلّاح

يظهرلي واللّه أعلم النّاس الكلّ تعرف المبدأ الّي يقول العدل أساس العمران وبرشة ناس يعرفوا زادة أنّ من أهمّ المبادئ الّي تحدّد درجة إستقلاليّة القضاء هي تمكّنه من العمل بعيد على كلّ أنواع الضّغوطات يعني ما يسمّيوه الفرنسيس DANS LA SÉRENITÉ معناتها بالفلّاقي لا ضغوط من السّلطات لا التّنفيذيّة لا الإعلاميّة لا غيره!

أحنا في تونس وفي خضمّ الأجواء الثّوريّة بعد 14 /1/ 2011 كثر الكلام والتحرّكات زادة من أجل قضاء ناجز ومستقلّ... أيوه هاني قلتها الكلمة "الكلام" على خاطر القاضيات والقضاة ريقهم شايح باش يدافعوا على القضاء والّي في الحكم، بكلّ ألوانهم المتتالية، يحبّوا يحطّوا القضاء تحت كلاكلهم ويستغلّوه... كيف قبل!

هاوكا فمّة شكون يحسب روحه يدافع على القضاء ومن تحت لتحت "يحِشّ" وفمّة شكون جهار بهار يتّهم القضاء بالعيوب السّبعة ويحبّ يفصّلو على قياسو... لين وصلنا للمرحلة هاذي الّي كلمة "سلطة" وكلمة قضاء ماعادش يتقابلوا، أكثر من هكّة ولّات إسمها "وظيفة قضائيّة" والموظّف كيف ما النّاس الكلّ تعرف يخدم تحت أوامر ويلزمو يطبّق ما يقول عرفه... SINON حتّى الباب ما عادش يلقاه...

سامحوني، حاسس روحي بديت نشدّ الخلاء وأنا خاطيني كيف ما يعرفوا النّاس الكلّ.

الأسبوع الّي فات وأنا منغمس في متابعة الحرب العدوانيّة على غزّة، حلّيت وحدة من الإذاعات سمعت السيّدة وزيرة العدل، القاضية ليلى جفّال، تحكي على القيل والقال وأنتم تعرفو قدّاش أنا مُهتمّ بالحكايات هذي: التّنبير والتّقطيع والتّرييش والتقلقيل وهذا طبعا نابع من تركيبتي التّونسيّة الأصيلة !

فقعدت نتبّع في الحكاية ولقيت أنّو "القيل والقال" المقصود يتعلّق بالتّناول الإعلامي للقضايا الي داخلة تحت عنوان "التّآمر على أمن الدّولة".

وسمعت السيّدة الوزيرة القاضية ليلى جفّال تقول أنّو القضايا هذي مازالت منشورة قدّام المحاكم و"هم عندهم وسائل إعلام يتحدّثوا فيها على هالقضايا" و"أحنا ما ناش باش نقعدو نتبّعو..." عاد خوكم ماني ظلمة في هالأمور هذي الكلّ وما فهمتش مليح لاشكون "هم" لا شكون "احنا"!

وبعد شويّة (في الحقيقة برشة) جهد فهمت تقريبا أنّو هم يعني هيئات الدّفاع متاع الموقوفين في هالقضايا واحنا يعني وزارة العدل والهيئات القضائية يعني أجهزة الدّولة بكلّ إختصار وتبسيط!

خلّينا من حكاية ماهي الدّولة وأجهزتها الكلّ ووضائفها في خدمة الشّعب ويزّي من تسييب الماء على البطّيخ (خاصّة في عام شياح، لا فيه لا ماء ولا بطّيخ لا والو !) الحكاية متاع القضايا هذي راهي ماهيش كيف كلّ القضايا، ماهيش مخالفة مروريّة وإلاّ حادث سير... هي إسمها تآمر على أمن الدّولة، يعني أمن كلّ السّلطات والمواطنين زادة، إذا إعتبرنا أنّو في تونس عندنا مواطنات ومواطنين عليهم واجبات وعندهم زادة حقوق منها الحقّ في المعلومة والمعلومة هذي من المفروض أنّها تتوفّر من مصدر رسمي أوّلا يعني من عند النّيابة العموميّة بحدّها الأدنى... نحبّ نقول وقت تصير إيقافات (توّة بالعشرات) في صفوف شخصيّات وازنة في المشهد السّياسي التّونسي، المفروض أنّو الجهة الّي أصدرت أوامر الإيقاف تخرج للرّأي العام وتعطي الحدّ الأدنى من غير ما تمسّ بسريّة التّحقيق وساعتها المتابعين والمتابعات للشّأن العام يبدأ عندهم معلومة "رسميّة" وحضور هيئات دفاع الموقوفين في المنابر الإعلاميّة هو بالأساس للحديث على ما يهمّ منوّبيهم والّي يسمع أو تسمع يقارن ويغربل ويكوّن رأيو... أمّا كيف تغيب المعلومة الرّسميّة، يولّي المصدر الوحيد هو هيئات الدّفاع وهذا ماهوش المشكل الرّئيسي، المشكل الرّئيسي هو الإشاعة الّي تِسبق فتح التّحقيقات وأسماء النّاس الّي باش يتوقّفوا وساعات تعرضك على صفحات التّواصل الإجتماعي ما يُقال أنّها محاضر بحث!

مايزّيش غياب للمعلومات الرّسميّة،زيد يخرج قرار قضائي يمنع التّداول الإعلامي في القضايا هذي وكيف بعض وسائل الإعلام تمسّكت بلعب دورها، الطّبيعي،في تناول كلّ ما يهمّ الشّأن الوطني ومن بينها قضايا "التّآمر" وفسحت المجال لمحاميات ومحامين الموقوفين بخصوص التّهم وإلّا أوضاع المساجين وظروف إيقافهم، تعدّات النّيابة لمرحلة الإتّصال بالقنوات وتذكيرها أنّو "ما عندهاش الحقّ باش تستضيف المحامي الفلاني" وتذكّرها أنّها أصدرت قرار منع ومصير البرنامج، كان يتبثّ،هو المنع!

وبمناسبة نقاش ميزانيّة وزارة العدل، طلّعت السيّدة الوزيرة القاضية ليلى جفّال في النّغمة وقالت أنهم منعوا التّداول خاطر ما عندهمش الوقت باش يردّوا على القيل والقال!

يظهر واللّه أعلم أنّنا في تونس نمشيو بمقولة:الباب الّي يجيك منّو الرّيح،سكّرو وإستريح! لكن واضح أنّو هالباب موش تسكّر بركة، تبنى عليه حيط جملة...

الحاصيلو، بعد ما كانت النّاس الكلّ مُتّفقة أنّو أهمّ مكسب بعد الثّورة هو حريّة التّعبير وفمّة حتّى شكون يقول هي المكسب الوحيد، هانا توّة قاعدين نشوفو وفي كلّ مناسبة تقريبا توجّه قوي للحدّ من مساحة هالمكسب...نعرف برشة منكم باش يقولو محسوب، آش جابتلنا هالحريّة؟ الجواب ساهل ومتعدّد التّعبيرات: أوّلا أختي العزيزة، أخي العزيز أنّك أنت طول العشريّة هذيكة، كنت النّهار الكلّ تسبّ وتقشتل في السّلطات بكلّها من كبيرها لصغيرها، وأيّ حدّ عالم أو جاهل (كيفي)ينجّم يحكي ويكتب ويسأل على البسباس ومن كانلو غرّاس، زيد عاد كيف تبدأ الحكاية تتعلّق بقضايا تهمّ الشّأن العام، تنطلق الألسن والإذاعات وتنتصب الطواول في التّلافز...

خلّينا في توّة، القضايا الّي ما يلزمهاش تتعرّض للقيل والقال هي قضايا موش "عاديّة"، وهذاكا علاش الحكومة، عفوا المحكمة، عملت قرار خاص بيها، ماهو على الأقلّ تقوللنا "الحكومة" آش صار فيها وعلاش الطّرف هذاكة خرج منها وعدّهم باش يتقبّلو إعتذارات على كيفاش شكون حبّ يتهمهم في قضيّة تخابر والأخرين مازالوا في الإيقاف على تخابر مع؟ ما ندروش!فوق من هذا وتجنّبا لكلّ وجيعة رأس الإعلام يلزمو يحكي حتّى على العصافير كان يحب أمّا القضيّة هذيكة: لا...لا...لا!

وباش ما نزيدش نطوّل في هالهدرة،، القضايا هذي تهم الرّأي العام خاطر متعلّقة ببرشة أسماء من عالم السّياسة ومن حقّنا نفهمو آش فمّة!وفوق هذا ودونه ومهما يكون الموضوع، السؤال والتّساؤل هو دليل صحّة المجتمع والإعلام هو مرآته... أما ما ريتو في نقاش الميزانيّة متاع العام الجاي وبقطع النّظر على الموقف من هالمجلس وردود بعض الوزراء يشي بإرادة قويّة في إثبات أنّ الّي يحكم لا يتسأل لا والو وكان بعض النوّاب تجرّؤوا،يسمعوا أجوبة من نوع الّي نعملو فيه كلّو صحيح والأرقام الّي يتداول فيها الإعلام غالطة والحديث في المنابر الإعلاميّة هو قيل وقال لا أكثر ولا أقلّ واحنا ما عندناش وقت وفمة حتّى وزير علّق على تدخلات بعض النوّاب ب"يحبّوا يعملوا الشّو خاطر يعرفوا أنّهم قاعدين يتعدّاو في التّلفزة"... وهذاكاهو!

TunisieValeurs
LA MAISON DE L'EPARGNANT

التقرير الأسبوعي لـ "التونسية للأوراق المالية" :

لـ UADH انتعاشة ولـ SIPHAT انتكاسة

منحى السوق

- تميزت سوق البورصة خلال الأسبوع الممتد من 20 الى 24 نوفمبر 2013 بمنحى تصاعدي. وقد استفاد المؤشر المرجعي من توجّه طيّب لأغلب المؤشرات القطاعية ليقفل الأسبوع بانفراجة بـ 0،6 ٪ عند النقطة 8542،4. وبلغت بذلك أرباح تونندكس السنوية + 5،5 ٪.

- مع نهاية هذا العام ظل حجم التداولات ضعيفا نظرا لغياب مبادلات بالكتل ولم يتجاوز 15،1 مليون دينار بما مثّل معدلا يوميا بـ 3 ملايين دينار حسب الوسيط الرسمي ببورصة الأوراق المالية بتونس.

تحليل تطوّر الأسهم

- حقق سهم الشركة العالمية لتوزيع السيارات القابضة UADH أفضل أداء خلال الأسبوع المذكور. ووسط مدّ شبه منعدم بـ 7 آلاف دينار سجل السهم قفزة بـ 18،8 ٪ بسعر 0،380 دينار.

- كان سهم البنك الوطني الفلاحي BNA ضمن أبرز المستفيدين خلال الأسبوع المذكور محققا ارتفاعا بنسبة 9،5 ٪ بسعر 8،190 دينار مسجلا حجما أسبوعيا بـ 1،3 مليون دينار.

- كان سهم الشركة التونسية للصناعات الصيدلية SIPHAT أكبر المتضررين على مستوى تونندكس. وبفعل غياب تداوله سجل السهم تراجعا بـ 16،7 ٪ بسعر 5،330 دينار.

- كان سهم الشركة التونسية للسيارات STA بدوره من ضمن المتضررين خلال الأسبوع المذكور. وسجل سهم وكيل سيارات Chery الصينية تراجعا بـ 5،7 ٪ بسعر 19،990 دينار. وقد غذّى السهم الذي يظلّ الأكثر دينامية السوق بـ 1،7 مليون دينار.

مستجدات السوق

- بلاغ من الشركة التونسية للبلور SOTUVER :

يعلم مجلس السوق المالية المساهمين في الشركة التونسية للبلور SOTUVER والعموم أنه طلب من الشركة المذكورة إعلام سوق الدولة بمدى تقدم مشروع فتح رأسمالها للعموم وتنفيذ ما ورد بالبلاغ الصحفي الذي نشرته بتاريخ 25 ماي 2023.

وردّا على طلبه المذكور أعلاه تلقى مجلس السوق المالية من الشركة المذكورة الجواب التالي : "في اطار مشروعها لفتح رأسمالها لمستثمر أقلّي لإسناد عملية تدويلها المتزايدة والمتعلقة بأسهم تمثل ما بين 20 و30 ٪ من رأسمال SOTUVER انطلقت في شهر سبتمبر 2023 نقاشات تمهيدية مع المستثمرين الذين يهمّهم الأمر ولا زالت متواصلة مع العلم أنه كان لآخر الأحداث على الساحة الدولية تبعات على نسق تقدّم النقاشات. والى حدّ الآن لم يتم التوصل الى أي اتفاق وستتواصل النقاشات خلال السداسي الأول من عام 2024 وستتولى شركة SOTUVER إعلام السوق حالما تبلغ المستجدات درجة ملموسة أكثر.

- الشركة التونسية للتأمين وإعادة التأمين STAR : جلسة عامة عادية :

تعقد الشركة التونسية للتأمين وإعادة التأمين STAR يوم الخميس 30 نوفمبر 2023 على الساعة التاسعة صباحا جلسة عامة عادية وذلك بعمارة STAR ASSURANCE الكائنة بقطعة الأرض Espace des Affaires بالمنطقة الشمالية الشرقية بضفاف البحيرة – تونس. وستتداول الجلسة العامة العادية في نتائج نشاطها لعام 2022.

اشهار

كارثة في شركة نقل تونس

أمّيون لمراقبة قطع الغيار ومخرّبون يتفنّنون في النهب

محمد الجلالي

في ظرف سنوات معدودات تضاءل اسطول شركة نقل تونس (Transtu) من مئات الحافلات وعربات المترو التي كانت تؤمن نقل المسافرين بتونس الكبرى بأربع ولايات وتسدي خدمة عمومية تكاد تكون على مدار الساعة الى عشرات الحافلات وعربات المترو. نقص حوّل سفرة المواطن من والى مكان عمله والتلميذ الى مدرسته الى رحلة شاقة تمتد لساعات.

وضعية كارثية بات عليها أسطول الشركة بما دفع رئيس الجمهورية قيس سعيد لدى زيارته مستودع الشركة بباب سعدون الى وصف "نقل تونس" بشركة "اغتيال النقل بتونس" خاصة بعد معاينة تكدس اعداد مهولة من الحافلات المعطبة والخارجة عن الخدمة في فضاء اشبه ما يكون بمقبرة لـ "الحافلات الصفراء".

ما تطرق إليه سعيد وهو يخاطب وزير النقل مجيد الربيعي من فساد واستيلاءات على قطع غيار ومليارات ملقاة بمستودع باب سعدون ليس سوى عينة مما من اختلاسات شهدتها الشركة في أكثر من مستودع رغم تعاقب تقارير تفقد ومراقبة وثقت جرائم نهب متتالية على مدى سنوات.

دعه يستولي.. دعه يمرّ

في 22 جانفي 2019، عثر عون حراسة بالمغازة المركزية للحافلات بالشرقية على ممتص صدمات مخبأ تحت كراس خلفية لحافلة تابعة لإقليم باب سعدون. وبتثبت ادارة التفقد في الموضوع تبين انه لم يصاحب خروج القطعة من المغازة وصل تحويل داخلي خاص باقليم باب سعدون.

ويشير تقرير التفقد الى انه «تمت محاولة تسوية هذا الاستيلاء بتوفير إذن مرور Laissez Passer للايهام بوجود نقص سابق بتاريخ 7 جانفي 2019.

وبرجوع فريق التفقد الى المنظومة المعتمدة لتوثيق تنقّل قطع الغيار اكتشف ان اقليم باب سعدون استلم ممتصَيْ صدمات بنفس التاريخ اي يوم 7 جانفي 2019 وان عدد سلسلة ممتص الصدمات المشكوك في أمره مخالف للعدد المنصوص عليه بإذن المرور.

وثبت لدى المراقبين أن إدارة التصرف في المخزون بالمغازة المركزية لم تصرّح بخروج قطعة الغيار.

وبعد فتح بحث إداري بخصوص حركة قطع الغيار بالمغازة المركزية للحافلات بالشرقية التابعة لشركة نقل تونس وجّهت التفقدية 46 مراسلة إلى إدارة التصرف في المخزون وللجنة الجرد المادي ولإدارة الإعلامية ولإدارة صيانة الحافلات ولاقاليم تونس 1 وتونس 2 وباب سعدون والزهروني وبن عروس التابعة للشركة، واستجوب المتفقدون تسعة أعوان.

استيلاءات والمراقب لا يتقن القراءة

ختمت التفقدية أبحاثها مؤكدة وجود فوارق بين المخزون المادي والمخزون النظري في 60 فصلا من فصول قطع الغيار.

واتضح حسب تقرير الجرد المادي ووفق معاينات المراقبين أنه يشتبه في سرقة 98 قطعة تم تقدير قيمتها بحوالي 19 ألف دينار. وأوضح فريق التفقد أنه يصعب حمل بعض القطع التي يشتبه في سرقتها وانه يستحيل إخراجها من الشبابيك العلوية المهشّمة للمغازة المركزية وان نقلها يتطلب توفر إمكانات بشرية ومادية هامة ومدة زمنية طويلة.

وجاء في شهادات خمسة أعوان تم استجوابهم انهم اكتشفوا في مرات عديدة عدم تطابق بين الكميات المصرح بنقلها من المغازة المركزية الى المغازات الفرعية والكميات المنقولة.

ولفتوا الى تفطنهم لعدم التصريح ببعض قطع الغيار التي نُقلت من المغازة المركزية الى المغازات الفرعية.

وتبيّن ان عددا من أعوان الحراسة لا يتقنون القراءة والكتابة رغم اشرافهم على مراقبة نقل القطع من والى المغازة.

وجاء في تقرير التفقد أن "مراقبة وسائل النقل المخصصة لشحن ونقل قطع الغيار من المغازة العامة الى المغازات الفرعية مناطة بعهدة اعوان الحراسة، وأن ذلك يتم بالتثبت في توفر اذن المرور وبجرد الكميات الموجودة على متن وسيلة النقل ومقاربتها مع ما تم التصريح به في وصولات التحويل الداخلي".

في هذا السياق حمّل موظف بشركة نقل تونس، طلب عدم الكشف عن اسمه، الادارة العامة مسؤولية مختلف التجاوزات والسرقات، مشيرا الى انها هي المشرفة على انتداب حراس امين والى أنها لم تسع الى تدارك هذا الخلل الجسيم. واعتبر الموظف أن تواصل وجود نوافذ علوية مفتوحة وغير مؤمنة بحواجز حديدية بالمغازة المركزية بما يسهل الوصول إلى القطع المخزنة بكل يسر يعد دليلا آخر على تواطؤ الإدارة وعلى تشجيعها على نهب الشركة.

تقرير التفقد أشار أيضا الى تكرّر سرقة البطاريات في فترة قصيرة رغم تشديد الحراسة وانتشار خبر السرقات في صفوف الاعوان.

ولم يستبعد المتفقدون تورط أعوان بالمغازة المركزية في تسريب قطع غيار مع الكميات المنقولة بالشراكة مع بعض أعوان بالمغازات الفرعية.

وقد كانت ظاهرة السطو على البطاريات بمستودعات شركة نقل تونس محل تحقيق آخر من قبل التفقدية العامة بالشركة يوم 6 سبتمبر 2017. واثبتت التحريات سرقة 46 بطارية خلال سنتين.

تقرير التفقد يلفت إلى اعتماد ناهبي قطع الغيار عدة أساليب للسطو على البطاريات.

فقد تأكدت سرقة 18 بطارية مباشرة بعد تركيبها بالحافلات بين شهر نوفمبر 2016 وشهر ديسمبر 2017.

وكنتيجة لهذه السرقات لاحظ المتفقدون أن إحدى الحافلات استهلكت 17 بطارية في أقل من سنتين.

وبرّرت الإدارة الاستهلاك المفرط للبطاريات بنقص صيانتها الدورية وعدم جودة البطاريات المقتناة.

ورغم تكرر عمليات السرقة اكتفت ادارة اقليم تونس 2 برفع قضيتين فقط ولم تقدم عددا دقيقا للبطاريات المسروقة من الحافلات ولم تكشف عن الإجراءات التي اتخذتها للتصدي لعمليات السطو.

أعوان آخرون استولوا على 82 بطارية بالاعتماد على وصولات استهلاك وهمية وبامضاءات مجهولة أو بتقليد امضاء العون المسؤول عن وحدة الكهرباء.

ولم يوفق فريق التفقد في التعرف على أصحاب الامضاءات رغم مراسلة ادارة اقليم تونس 2 أكثر من مرة

واستغلت طائفة اخرى من الأعوان غياب التسلسل التاريخي في وصولات الاستهلاك للسطو على بعض البطاريات، بينما برّرت الإدارة هذا التقصير بوجود خلل في المنظومة المعلوماتية المعتمدة في التصرف في المخزونات.

ويشير موظف سابق بشركة نقل تونس إلى أن استفحال ظاهرة سرقة قطع الغيار لا يتصل فقط بما هو مخزّن والى انه لا يقتصر على قطع الغيار وانما يطال أيضا قطع غيار الحافلات المعطبة.

ويؤكد أن البعض يستغل ما يسمى بعملية «ترييش» الحافلات المعطبة للاستيلاء على قطع غيار يتم إخراجها من المستودعات تحت جنح الظلام، وان عمليات السطو باتت تستهدف خزانات الوقود في أكثر من مستودع.

تنامي التخريب والسرقة

في تقرير حول أنظمة الرقابة الداخلية صلب الشركة تم إنجازه في 2018 لاحظ مُراجع حسابات "نقل تونس" بعد اطلاعه على بعض الملفات تنامي عمليات سرقة وتخريب قال انها تطال منقولات الشركة ومعداتها وحافلاتها داخل المستودعات.

وقدّم المراجع أمثلة عن بعض المعدات التي تمت سرقتها مشيرا الى الاستيلاء على:

- 13 آلة تبريد محركات
- 10 بطاريات
- جهازا اتصال لاسلكي
- آلة ثاقبة
- حاسوب من مقر الشركة التعاونية
- كاميرا وآلتا قصّ وحرق
- معدات عمل

وأضاف المراجع ان اطلاعه على تقارير من إدارة التفقد وزيارة المستودعات كشفا له غيابا كليا لأجهزة المراقبة وقلة عدد أعوان الحراسة الليلية.

وشدد على ان هذه الوضعية لا تمكّن من الحد من عمليات السرقة والتخريب وبالتالي حماية أصول الشركة وخاصة حافلاتها مقترحا وضع منظومة متكاملة لحماية أصول المؤسسة من الاستيلاءات.

ونفى الخبير المحاسب استخراج الشركة قائمة في تحركات المخزون اليومية من تطبيقتها الإعلامية وإمضائها من طرف المسؤولين عن المغازات موصيا بضرورة استخراج قائمة يومية ترصد كل تحركات المخزون وبالعمل على مقارنتها بوصولات التسليم واذون الطلب الداخلية للتأكد من صحتها مع الحرص على التأشير عليها من طرف المسؤول عن محاسبة الموارد.

كما أشار الى وجود خلل كبير في لف قطع الغيار مبينا ان الشركة لا تحدد حاجاتها من القطع بصفة دقيقة وأن ذلك يدفعها الى اللجوء الى شراءات مستعجلة لا تضمن لها التزود بأفضل الأسعار.

وتحدث المراقب عن غياب دراسة فنية تضبط بدقة حاجة كل حافلة من المواد والقطع التي يجب توفيرها بصفة مسبقة حتى لا يتعطل المرفق العمومي.

وفي ظل نهب ممنهج لمقدرات الشركة طيلة سنوات متتالية يبقى السؤال مطروحا وبإلحاح حول دور مختلف أجهزة الرقابة في إيقاف نزيف التخريب وقبل ذلك مسؤولية سلطة الاشراف في الضرب على ايدي العابثين بالمال العمومي لإنقاذ شركة في حجم "نقل تونس" وضمان دورها في تأمين نقل عمومي مكفول بالدستور.

السّوق السياسي

السوق السياسي إضافة تسعى «الشارع المغاربي» من خلالها إلى الخوض في الصور التي تُخامر أذهان التونسيين بشأن سياسييهم وشخصيّاتهم العامّة، بهدف متابعة مدى تطوّر أدائهم الملتصق أساسا باللحظة الراهنة. فليس المغزى من السوق السياسي القيام بتقييم صارم، فالذاتية ركن ركين في أيّ توصيف لأداء الغير. وقد يرقى من رأيناه هنا والآن حبيسا في مرتبة الرديء إلى عتبة المتوسّط أو حتّى الحسن... دمتم أهلا وسهلا في سوقنا...

✔ الفاهم بن يفهم

حسن جدا

حمدي حشاد

"رائد الهيدروجين الاخضر" هي التسمية التي يمكن اطلاقها على المهندس حمدي حشاد الذي تمكن من استخراج وقود عضوي من الطحالب البحرية.

رحلة الباحث الشاب مع علوم البيئة انطلقت من المعهد الوطني للعلوم الفلاحية بتونس أين تحصل على شهادة المهندس في البيئة وعلوم البحار ثم على شهادة الماجستير في علوم المناخ من جامعة "ملايو" بالعاصمة الماليزية كوالالمبور.

في 2009 راودت المهندس الشاب فكرة ابتكار وقود بديل عن النفط الذي شهدت اسعاره ارتفاعا لافتا على مستوى العالم فوجد في الطحالب مكمنا لطاقة بديلة.

تتالت اختبارات المهندس الى ان توصل الى اختراع وقود عضوي كان يفترض ان يلقى دعما رسميا. وقد اعتبر حشاد في تصريح صحفي سابق ان القوانين والتشريعات المحلية حالت دون دعم التجديد والابتكار البيئي والعلمي موصيا بضرورة سن مجلة خاصة بدعم البحوث العلمية والباحثين.

ورغم العقبات التي واجهته استمر حمدي حشاد في اقتفاء اثر أي بارقة أمل قد تقوده الى تحقيق حلمه بتحويل براءة اختراعه الى واقع ملموس ووجد في برنامج تلفزي يعنى بالعلوم فرصة للتعريف بمشروعه. وكانت شركة "ايرباص" في الموعد لاقتناص الفكرة وتبني المهندس الشاب. حينها تحول حمدي حشاد الى فرع شركة الطيران العالمية بماليزيا أين شهد بين 2012 و2014 ولادة مشروع ايكولوجي هو الأول من نوعه بالعالم في تصنيع الوقود العضوي اعتمادا على طحالب بحرية.

رديء جدا

تعطّل جسر بنزرت

بعد مرور 4 أشهر على الحريق الذي شب بغرفة التحكم في جسر بنزرت لا يزال الجسر الذي يعد الشريان الرئيسي للمدينة معطلا رغم استنفار كل السلط والادارات الجهوية والمركزية المتدخلة لاعادة تشغيله.

ويبدو ان عدم توفير الامكانات البشرية اللازمة ونقص الصيانة بالنظر الى قدم المنشأة قد ساهما بصفة متكررة في تعطل عمل الجسر قبل ان يشهد حريقا أتى على منظومته الكهربائية.

الملاحظ ان تقريرا رقابيا انجزته التفقدية العامة بوزارة التجهيز في نوفمبر 2017 سجّل ملاحظات خطيرة تهم حالة الجسر منها ظهور الصدأ بالواقيات المعدنية وعدم استجابة بعض اجزائها لمواصفات السلامة مع وجود نقص في صيانة الاعمدة الحاملة للجسر .

الفريق الرقابي شدد ايضا على عدم انضباط الفرق الساهرة على تشغيل الجسر مشيرا الى انه لاحظ عند تحوله اليه تغيب فريقين عن العمل احدهما مسؤول عن الصيانة.

فهل تم اتخاذ التدابير الضرورية لتدارك النقائص التي اشار اليها التقرير؟ وهل تم توفير الموارد البشرية الكافية لتشغيله والقطع مع حالة التسيب التي تحدث عنها المراقبون؟ وهل للحريق الذي شب بالجسر يوم 26 جويلية الماضي علاقة بما تم تضمينه بالتقرير؟

اللافت ايضا أن تعطل عمل الجسر أثّر بصورة واضحة على الحركة الاقتصادية بميناء بنزرت بما بات يهدد ديمومة بعض المؤسسات من بينها شركة اسمنت بنزرت التي اعلنت مؤخرا عن استشارة وطنية للتعاقد مع مكتب دراسات قصد انجاز خطة لانقاذها. مع العلم ان تقرير مراجع حسابات الشركة كشف ان تعطل الجسر تسبب في توقف نشاط الشركة جراء عدم قدرة البواخر المزودة لها بالفحم البترولي الضروري لتشغيل الفرن على المرور الى الميناء اضافة الى عجزها عن اجراء عمليات افراغ البواخر.

صورة تتحدث

السيد نبيل عمار وزير الخارجية والفريق المرافق له خلال مناقشة ميزانية الوزارة لعام 2024... ايه صحيح ما ثمة حتى مرا مع الجماعة أما شوفو التصويرة... ايه أكاهو، تاعبة العباد... والله العظيم تاعبة، حتى في وزارة الخارجية...

قالوا

قيس سعيد

هذه شركة نقل تونس .. كان بالاحرى تسميتها شركة اغتيال النقل بتونس... والاكيد ان حال الشركات الجهوية نفس الشيء....صحيح الضغط على النقل كبير في العاصمة ولكن الحلول كانت موجودة والفساد هو الذي نخر هذه المؤسسات.. ما يحصل جريمة في حق الشعب ... صحيح لا ينبغي ان يتم الاستغناء عنه لكن ينبغي ان يكون ايضا منظما وفي ظروف تحفظ كرامة الانسان... مليارات ملقاة على الارض في المستودع... واعرف كيف تتم طلبات العروض والاجراءات ولكن كل ذلك لا يبرّر ما الت اليه الاوضاع فالناس يتذمرون يوميا من خدمات النقل...

نور الدين الطبوبي

القضايا الكيدية ليست جديدة على الاتحاد منذ انبعاثه ولكن ما يثلج الصدر ويجعلني اشعر بشرف الانتماء لهذه المنظمة العريقة هي الهبة الجماعية لابناء وبنات الاتحاد من كل حدب وصوب من اجل تكريس مبدا اساسي الا وهو التضامن النقابي وتلك هي العائلة النقابية والتربية النقابية داخل الاتحاد... وسبق لي ان قلت بمناسبة الذكرى 73 لاحداث النفيضة (يوم 21 نوفمبر) ان من يريد ان يخطط لنا ويجرنا الى مربع معين من التصادم ويختار لنا التوقيت واهم.

نبيل عمار

عاشت الوزارة خلال الثلاث السنوات الاخيرة على مستوى التسيير الاداري الداخلي وضعية كارثية لم تعرفها منذ احداثها لان تقييم اداء الوزارة يقوم به سيادة رئيس الجمهورية لا غير في ظل تركيز سلطة القرار والتصرف في ايدي 4 اشخاص يفتقدون لاية تجربة في التسيير مما ادى الى شلل شبه تام لمختلف هياكل الوزارة وتهميش جميع الكفاءات والاطارات التي تتميز بالخبرة والتجربة واشاعة ثقافة عدم تحمل المسؤولية والتهرب منها وانعدام المبادرة والتحفيز وتكريس منطق المحاباة والولاءات والانتهازية.

عبد المنعم بلعاتي

اريد ان اقول في مرحلة اولى ان التراكمات كبيرة وبالتالي ليس لنا عصا سحرية ونحن بصدد العمل وليس وزير الفلاحة هو الذي يعمل وانما المسؤولون وافراد وزارة الفلاحة. وانا مسرور لاقول ان ماكينة وزارة الفلاحة بدأت تعمل.....واذا تحدثنا عن وزارة الفلاحة فلسنا كاملين. لنا اشكاليات وصعوبات واخلالات وهناك ملفات احلناها إلى القضاء وهنا افتح قوسا لاقول انه لا يمكن النهوض بالبلاد اذا لم تكن الادارة "مُعدّلة" وإذا لم يكن هناك عمل جدي في مكافحة الفساد وهذا من بين التوجهات الرئيسية للسيد رئيس الجمهورية.. فالفساد انهك البلاد وخرّبها وهذا لا يمكن المواصلة فيه ونحن بصدد العمل عليه في وزارة الفلاحة ودوريا نحيل ملفات للقضاء ولا مجال لوجود الفاسدين في الادارة ...

بدر الدين القمودي

هذه الوزارة العريقة (وزارة الفلاحة) كانت من اعمدة دولة الاستقلال. فمثلما عرفنا انتشار المؤسسات التربوية في كل الارياف كانت مراكز الارشاد الفلاحي وهياكل وزارة الفلاحة تغطي كامل الجمهورية طولا وعرضا ..هذه الاهمية ارى في تقديري انها لا تتلاءم وحجمها اليوم ونحن في كتلة الخط الوطني السيادي نريد ان نشير الى حقيقة موضوعية مؤلمة وغير منطقية مفادها ان الوزارة بقيت هيكلا متضخما ومتسعا ومترامي الاطراف بشريا وتنظيميا دون اي دور او اية مهمة او سلطة حيث حافظ هذا الهيكل الوزاري على شكله وجهازه بل تمدد اكثر وتم افراغه من كل صلاحياته في رسم السياسات ووضع التوجهات ومتابعتها وتنفيذها وتحوّل الى مجرد هيكل بيروقراطي في خدمة فئة قليلة ممن اصطلح على تسميتهم باصحاب المهنة.

عملية كشفت عنها صحيفة «يديعوت أحرونوت»:

كيف اخترقت «حماس» أكبر قاعدة تجسّس اسرائيلية؟

جانب من قاعدة "أوريم"

أحدث التكنولوجيات للرصد والتجسس

الحبيب القيزاني

بعد نجاح عملية "طوفان الأقصى" بأيام اعترفت صحف إسرائيلية بأن مقاتلي "حماس" تمكّنوا أيضا من اقتحام مركز تجسّس إسرائيل على العالم المعروف بمركز "أوريم" والحصول على أجهزة تجسس حساسة وعلى أسرار جمعتها إسرائيل عن دول المنطقة وحتى عن دول بعيدة عن محيطها وتوظيفها لتوجيه سياستها الخارجية ورسم أهدافها المستقبلية.

ويعتبر مركز "أوريم" الإسرائيلي آذان إسرائيل وعيونها في حماية أمنها القومي.

ففي شهر سبتمبر 2010 نشرت صحيفة Le monde Diplomatique تحقيقا حول المركز المذكور واصفة إياه بواحد من أكبر قواعد التجسّس في العالم بالنظر لقدرته على جمع المعلومات الاستخباراتية.

وحسب الصحيفة أنشئت قاعدة "أوريم" بتعاون أمريكي – بريطاني وكندي واسترالي ونيوزيلندي وتقع غرب صحراء النقب في منتصف المسافة بين قطاع غزة وبئر السبع وتبعد كيلومترين عن مستوطنة "أوري". وتضمّ القاعدة 30 هوائيا من احجام مختلفة وأطباقا فضائية وأبراجا ورادارات من أحدث الطرازات في العالم وتخضع لحماية أمنية مشدّدة: أسوار عالية من الاسلاك الشائكة وبوابات الكترونية وكلاب بوليسية تجعل منها احدى أكبر قواعد التقاط الإشارات في العالم.

وتقول Le monde Diplomatique إن المحطة الوحيدة الأخرى في العالم التي تشبه قاعدة التجسس "أوريم" هي قاعدة أمريكية في مونويس هيل بيورك شاير في انقلترا.

وتضيف الصحيفة أن قاعدة أوريم تضم مقر عمل الوحدة 8200 التي تعد أبرز وحدات المخابرات العسكرية الإسرائيلية والتي تعرف باسم "وحدة الإنذار الوطني" وتملك عدة قواعد أخرى بإسرائيل منها وحدات مراقبة سرية داخل الأراضي الفلسطينية وتستخدم طائرات مسيرة مجهزة بلواقط للاشارات ويتنصّت العاملون بها على العديد من الجهات والأشخاص بمختلف مناطق العالم.

ووفق الصحيفة تُرسل المعلومات التي تجمعها القاعدة الى الوحدة المذكورة أين يتم تحليلها وترجمتها ونقلها الى "الموساد" وبقية وحدات الجيش الإسرائيلي. ويغطّي نشاط القاعدة مناطق واسعة من الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا وأوروبا. وتتمثل مهامها بالخصوص في الرصد والتصوير والتشويش واعتراض المكالمات الهاتفية والاتصالات البحرية ومراقبة الحواسيب الشخصية والتجسّس عليها واعتراض إشارات الأقمار الاصطناعية وفك رسائلها بالإضافة الى رسائل البريد الالكتروني.

وحسب نفس المصدر تستهدف القاعدة عديد الدول من الأعداء والأصدقاء حتى أن صحيفة "هارتس" تغنّت بأن من بين نجاحات القاعدة التقاط محادثة جرت بين الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وملك الأردن السابق حسين في اليوم الأول من حرب 1967.

كما نجحت القاعدة – دائما وفق "هآرتس" في التقاط مكالمة هاتفية بين ياسر عرفات وجماعة "أبو عباس" الفلسطينية خلال عملية اختطاف سفينة الركاب الإيطالية "أكيل لاورو". ويتباهى القائمون على قاعدة "أوريم" بأنهم اخترقوا المفاعلات النووية الإيرانية عبر فيروس "دودة الحاسوب" الذي يتميّز بسرعة الانتشار وصعوبة التخلّص منه نتيجة قدرته على التلوّن والتناسخ والمراوغة.

صحيفة "يديعوت أحرونوت" كشفت من جهتها أن العاملين بقاعدة "أوريم" فشلوا في رصد تحركات "حماس" يوم 7 أكتوبر الماضي واطلاق عملية "طوفان الأقصى" وما استتبعها من اقتحام مستوطنات إسرائيلية. وكتبت الصحيفة تحت عنوان "سلسلة الإخفاقات التي يستحيل استيعابها وأدت الى مفاجأة 7 أكتوبر" ان قاعدة "أوريم" فشلت في معرفة استعدادات فصائل المقاومة الفلسطينية للعملية المذكورة.

وأضافت الصحيفة أن الخطير في الموضوع هو كيفية معرفة الفصائل الفلسطينية بقاعدة "أوريم" وتمكن رجالها من الوصول الى بوابتها الخلفية.

وعن طريقة الاختراق الفلسطيني أوضحت "يديعوت أحرونوت" أن رجال المقاومة نفّذوا ضربتهم معزّزين بمعلومات استخباراتية دقيقة عن القواعد السرية للجيش الإسرائيلي ومنها قاعدة "أوريم".

وأكدت الصحيفة أن رجال المقاومة قتلوا كل من اعترضهم في الطريق وأنهم استولوا على معلومات استخباراتية وأجهزة حساسة للغاية.

وتابعت أن 10 مقاتلين من "الفرقة 17" التابعة للمقاومة تحوّلوا على متن دراجات نارية واقتحموا القاعدة. وأشارت الى أنه بعد أن سحب أحد المقاتلين صورة جوية للقاعدة مأخوذة عن الأقمار الاصطناعية دخل رجال الفرقة القاعدة ورموا بداخلها قنابل يدوية وأطلقوا النار عشوائيا على الجنود الموجودين. وختمت "يديعوت احرونوت" بأنه بينما هم كذلك سمعوا طلقات نارية بالخارج فغادروا وواجهوا قوات خاصة تابعة للجيش الإسرائيلي قادمة من قاعدة "تساليم" الى المكان مشيرة إلى أن المواجهة أسفرت عن مقتل بعض رجال الفرقة 17 وإلى أن فريقا من وحدة مكافحة الإرهاب الإسرائيلية حل بدوره بالمكان وتمكن من قتل أغلب أفراد الفرقة مؤكدة تمكن عدة عناصر منها من الفرار تحت تغطية نارية كثيفة من عناصر حراسة بقوا متحصنين.

الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي في رسالة لشعب مصر :

واجهوا العدوّ اليوم بدلا من أن يواجهكم غدا وسيناء بلا غزة ومصر بلا نيل

في رسالة تتقد وطنية وشرفا وجّه الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي رسالة اتهم فيها النظام المصري بالتآمر على فلسطيني قطاع غزة والمشاركة في احكام حصار عليهم داعيا المصريين الى مواجهة العدو اليوم بدلا من أن يواجههم غدا وسيناء بلا غزة ومصر بلا نيل.

وبعد أن ذكّر بأن معبر رفح عربي من الجهتين تساءل البرغوثي كيف ترضى حكومة مصر بأن تفرض عليها إسرائيل ما يمرّ منه الى أهالي قطاع غزة وما لا يمرّ وكيف يسمح النظام المصري لنفسه باستئذان تل أبيب في ذلك والحال أن اتفاقية كامب ديفيد لا تعطي الأخيرة أي حق في قطاع غزة.

وقال البرغوثي في رسالته : "يا أهلنا في مصر، أسجّل هذه الرسالة في الأسبوع السادس للحرب وقد تجاوز عدد شهدائنا في غزة 11 ألفا وكسابقاتها من الرسائل قد يتغيّر العدد بين تسجيلها ونشرها.

يا أهلنا في مصر ان اتفاقية السلام المصرية – الإسرائيلية تمنع الجيش المصري من نشر قوات ثقيلة العتاد في شرق سيناء وهي بذلك تناقض الدستور اذ تفرض على الجيش أن يتخلّى عن مهمته الدستورية في حماية كل شبر من البلاد وهي اتفاقية لم يبرمها شخص منتخب ولا صادقت عليها مؤسسة منتخبة انتخابا حرّا ولا استفتي فيها الشعب المصري ومع ذلك فحتى هذه الاتفاقية لا تعترف لإسرائيل بأي حقوق في غزة ولا في معابرها وتعتبر غزة أرضا عربية محتلة والاحتلال جريمة ولا يترتب على الجريمة حق فالمعبر بين سيناء وغزة معبر عربي من الجهتين فكيف يكون لإسرائيل أن تفرض على مصر ما يمرّ منه وما لا يمرّ؟ وكيف تسمح الحكومة لنفسها بأن تستأذن إسرائيل في ذلك فتفرّط في سيادتها على حدودها؟

يا أهلنا في مصر ان الحكومة المصرية تحاصر غزة منذ 17 عاما... ان الحكومة المصرية هي السبب في أن غزة خالية من أسلحة الدفاع الجوّي لتحمي نفسها من غارات العدوّ الذي يقصف البيوت والمستشفيات والكنائس والمدارس والجوامع...

إن الحكومة المصرية هي السبب في أن المقاوم الفلسطيني لا يملك إلا شجاعته وسلاحا مصنّعا محليّا أو مهرّبا بصعوبة يضعه بيديه على ظهر دبابة العدو ليصدها... لا شيء في القانون ولا في المنطق ولا في مصلحة مصر الوطنية ولا حتى في اتفاقية السلام الرديئة يدعو مصر الى حصار غزة ومنع السلاح عنها... ودون السلاح فالغذاء والدواء والوقود وغير ذلك مما يحتاجه المدنيون للعيش لا يدخل إلا بمقدار الصورة ورفع العتب ولا يدخل منه إلا ما تسمح به إسرائيل... هذا والحصار البرّي عمل من أعمال الحرب ورغم كل كلام طيب قد تقوله المقاومة الفلسطينية في غزة عن الحكومة المصرية لأنهم يحتاجون القليل الذي تسمح لهم به فإن الحق حق بالقانون الدولي هو أن الحكومة المصرية شريكة لإسرائيل في هذه الحرب على غزة بفرضها حصارا بريا على أهلها.

يا أهلنا في مصر يقول لكم ساستكم إنهم يقفون ضدّ تهجير الفلسطينيين من غزة الى سيناء والفلسطينيون أنفسهم كأي انسان عاقل لا يريدون أن يطردهم عدوّهم من ديارهم لكن قول الحكومة المصرية حق يُراد به باطل ذلك أنه أن تكون ضدّ التهجير لا يعني أن تكون ضد المهجّرين.. أن تكون ضد تهجير الناس يعني أن تطلق النار على من يهجّرهم لا عليهم... من كان ضد التهجير فليعط الفلسطينيين السلاح حتى يدافعوا عن أنفسهم أو على الأقل لا يمنعه عنهم. أما أن تمنع عنهم السلاح والماء والغذاء والدواء والوقود وتسالم عدوهم الذي يقصفهم وتنتظر منه أن يأذن لك بأن تدخل أي مساعدات إنسانية رمزية اليهم ثم تحشد جيشك على الحدود وتقول انك ضد التهجير فأنت تسلّم الناس لعدوّهم ليقتلهم وان نجوا من القتل ولجؤوا اليك فستقتلهم أنت.

يا أهلنا في مصر... لا بأس من تكرار البديهيات... العدوّ هو المحتل الغاصب الذي احتل سيناء مرّتين ويحاول الغاء النيل بالسدود في أثيوبيا وإلغاء قنال السويس بطريق برّي بديل عنها... هو العدوّ الذي يزحف نفوذه على مصر من جنوبها كالغرغرينا... له نفوذ في أثيوبيا يبني فيها السدود وله نفوذ في جنوب السودان الذي ساهم في فصله عن شماله وله نفوذ في السودان الشمالي المنقسم بين قائدين عسكريين كلاهما ابدى استعداده للتعاون مع تلّ أبيب.

يا أهلنا في مصر... ان عقيدة العدوّ الاستراتيجية تقضي بإبقاء مصر ضعيفة حتى وان كان حاكمها حليفا أو صديقا لأن الحكام يتغيّرون.. أما مصر فباقية كثيرة العدد، ضخمة الموارد كرمية الناس يشكل محض حجمها وقدرها وقدراتها خطرا وجوديا على العدوّ وها ان حكام مصر يسالمون إسرائيل بل يحالفونها منذ 45 سنة.. وحين أبرمت اتفاقية السلام زعم من أبرمها أنها ستعود على مصر بالرخاء وعلى المنطقة بالاستقرار والسلم فهل ازدادت مصر إلاّ.. فقرا وضعفا منذ ذلك الحين؟ وهل ازددنا نحن إلا موتا... لقد قصف العدوّ منذ ابرام اتفاقية السلام مع مصر غزة والضفة ولبنان وسوريا والعراق والسودان وتونس وقتل جنودا مصريين في سيناء أكثر من مرّة وها هو يسعى ليتحكم في مياه مصر وارزاقها مهددا النيل وقنال السويس... ان هذا سلام من جانب واحد وإن تل أبيب تحاربكم وتفقركم منذ 45 سنة بلا ردع ولا ردّ.

يا أهلنا في مصر ان غزة حصن يحمي سيناء من العدوّ فتسليحها حماية لسيناء وإضعافها يبقي سيناء رهينة في يد العدو يأخذها متى يشاء فافتحوا معبر رفح وألغوا اتفاقية السلام لا لحماية النساء والأطفال الذين يبادون أمامكم فحسب بل لحماية استقلال مصر نفسها.. لحماية نيلها وسينائها وقنالها ولحماية أنفسكم من الجوع ومن العطش غدا... واجهوا العدوّ اليوم بدل من أن يواجهكم غدا وسيناء بلا غزة ومصر بلا نيل.

يا أهلنا في مصر انظروا الى أين يوجه أهل غزة سلاحهم ثم سيروا في شوارعكم وانظروا الى صدور من توجه الحكومة التي تحاصرهم وتغلق المعبر دونهم سلاحها.

يا أهلنا في مصر ان سياسة هذه الحكومة تعرّض مصر للخطر بقدر ما تعرض غزة له.

يا أهلنا... أنا مصريّ الأمّ والمولد والعمر وإن دماءنا واحدة وإن من يُريقها في غزة أسالها في سيناء بل أسالها في القاهرة وهذه الحكومة تجوّع الناس وتعطّشهم وتسلمهم لأعدائهم يقتلونهم باسمكم وتطلب منكم تفويضا بالحرب فإن ألغت حكومة اتفاقية السلام مع إسرائيل فحينئذ فوّضوها أن تذهب الى الحروب، أما حين تفوّضونها من الحرب وهي تسالم إسرائيل فمن تظنّونها ستحارب؟ لا تفوّضوهم فأنتم أدرى كم دما أسال مثل هذا التفويض من قبل... لا تمكّنوهم من قتلنا بالعطش وبالجوع وبالقصف وباسمكم.

يا أهل مصر لا تلقوا الله والتاريخ بدمائنا وبدماء أبنائكم وبناتكم فلن يفيد الندم أحدا اذا جاء اليوم الذي تنظرون فيه الى الدم على أيديكم... حين تشاهدون تفاصيل القتلى في رابعة النهار وجوها وأسماء.. هذا وإن تحريرها كلّها ممكن... هذا وإن تحريرهما كلاهما ممكن والله من وراء القصد".

راوغ... خاتل وأنكر :

مذيعة بـ Sky News Arabia تحرج الناطق باسم الجيش الاسرائيلي

في لقاء تلفزي بثته قناة «سكاي نيوز» العربية مباشرة وأجرته مع المتحدث باسم جيش الاحتلال الإسرائيلي افيخاي ادرعي، تمكنت المذيعة من احراج ادرعي بعدة أسئلة حول الثمن الذي دفعته إسرائيل لتحرير أسراها لدى حركة «حماس» والتنازلات التي قدمتها لحركة المقاومة.

ورغم إصرار المذيعة على تقديم أدرعي إجابات عن بعض أسئلتها تهرّب الرجل خصوصا من الردّ على أسئلة صعبة وعجز عن تبرير موقف قبول حكومة بلاده بهدنة يتخللها بدء تبادل الأسرى بعدما كان نتنياهو قد أعلن عن رفضه رفضا مطلقا إيقاف إطلاق النار قبل «تمكن جيش بلاده من تحرير الاسرى».

وفي ما يلي نص الحوار الذي دار بين المذيعة وأدرعي :

– **المذيعة :** إسرائيل كانت تراهن على تحقيق مجموعة من الأهداف أولها السيطرة على شمال غزة... القضاء على «حماس».. اطلاق سراح المحتجزين الذين يزيد عددهم عن الـ 240 لكنها لم تفعل شيئا من ذلك الى غاية اللحظة (بعد 47 يوما من القتال) وعقدت صفقة مع «حماس» التي تعهّد نتنياهو بتدميرها... لماذا؟

– **أفيخاي أدرعي :** أولا نحن نمضي قدما في تنفيذ الخطة العسكرية والحرب مستمرة وقد تستغرق كثيرا من الوقت ونحن نقول إن على الجميع أن يصبر وأن الحرب ستكون طويلة وستتطلب مزيدا من الوقت ونحن نقول أن هذا المسار الذي تم الاتفاق عليه هو جزء من أهداف الحرب... أهداف الحرب هي إعادة المختطفين الإسرائيليين اذ لدينا التزام أخلاقي كبير إزاء مواطنينا والمختطفين والمختطفات المحتجزين لدى التنظيم الإرهابي البشع الذي اختطفهم من البلدات المدنيّة.. أطفال.. رضّع... مسنّون.. نساء.. علينا إعادتهم ولذلك نعمل على ذلك كافة الوسائل ولن نفوّت أية فرصة لاستغلالها وانتهازها لإعادتهم إلى ديارهم... بعد ذلك وأيضا في هذه الساعات والليلة الماضية مثل بقية الأيام تواصل قوات جيش الدفاع الإسرائيلي الضرب وتفكيك منظومة «حماس» العسكرية والسلطوية وفي منطقة شمال القطاع هناك حصار وتطويق منطقة جباليا...

هنا تقاطعه المذيعة قائلة له : السيطرة على شمال غزة لم تتم بعد وأنه ما زالت هناك مقاومة على الأرض خصوصا مع الخسائر العسكرية التي تتكبدها إسرائيل وهناك قول بأن اسرئيل لا تفاوض إلا حين تبلغ خسائرها حدّا لا يمكن تحمله... هل وصلت إسرائيل الى هذا الحدّ ان كان ذلك داخليا أم في ما يتعلق بنزيف الاقتصاد؟

– **أدرعي :** أولا هناك الشعارات الرنّانة وبعض المزايدات التي تتحدث عنها أطراف إقليمية بالمنطقة منذ 75 عاما وكلّها اصطدمت بحقيقة المجتمع الإسرائيلي في الحرب التي تدور منذ 7 أكتوبر.

– المذيعة تتدخل لتسأله عن المزايدات التي يتحدث عنها وتقول له : تمنيت منك كل مرّة أن تجيب عن السؤال ولا مرّة سألتك سؤالا وأجبت عنه مباشرة.. دائما تأخذني يمينا أو شمالا.. عن أية مزايدات تتحدث... أنا سألتك عمن يقول أن إسرائيل لا تفاوض إلا بعد وصول خسائرها الى مستوى لا يمكنها تحمّله... هل وصلت الى هذا الحدّ؟ نتنياهو كان يردّد أنه لا يريد أن يتفاوض مع «حماس»... كان يتعهد بتدميرها وها هو الآن يرضخ لها؟

– **أدرعي :** أوّلا «حماس» تتعرض لضغوط شديدة والإنجازات العسكرية الإسرائيلية الميدانية هي التي دفعت «حماس» لقبول ذلك... هي التي أوجدت «حماس» في هذا الضيق وفي هذا الضغط الشديد... فقدان القادة والكوادر... تدمير الكتائب العسكرية العاملة.. تدمير البنية التحتية... تدمير المقرات والمستودعات والأسلحة ووجودا أنفسهم في هذا الضيق الكبير وهذا الضغط سيتواصل... إسرائيل ستبذل كل مجهودها العسكري لتحقيق أهداف الحرب بتفكيك منظومة «حماس» العسكرية والسلطوية... هذا يحدث في الأرض... يمكننا أن نرى صورة واحدة تبثها كتائب القسام وتشاهدون أنهم يرتدون الزي المدني ويتحركون كعصابات وكفلول في منطقة شمال غزة.. يمكن أن نرى هذه الصورة ويمكن أن ننظر الى الصورة الحقيقية وهي صورة الإنجازات العسكرية والاستيلاء العسكري الإسرائيلي على المقرات...

تقاطعه المذيعة متسائلة :

– سيد أدرعي أية إنجازات عسكرية؟ أنتم لا تسيطروا بعد على الشمال؟... أنتم لم تدخلوا الى مدينة غزة بعد...

يقاطعها أدرعي موجّها لها أسئلة انكارية: «مستشفى الشفاء ليس بمدينة غزة؟... والاحياء ليست بمدينة غزة؟.. ومقر المجلس التشريعي ليس بمدينة غزة؟ والمقر الأمني لحماس ليس بمدينة غزة؟ ففي أي منطقة تقع هذه المقرات؟ إنها تقع في قلب مدينة غزة والجيش يعمل هناك...

تقاطعه المذيعة : «تتذكر آخر رشقة صواريخ أطلقها «حماس» على تلّ أبيب؟ اذا كنتم فعلا سيطرتهم على الوضع

بغزة كيف تفسّر قدرة «حماس» على اطلاق هذه الرشقة من الصواريخ والتي «كانت الأعنف منذ بداية هذه الحرب؟

– **أدرعي :** أولا لم تكن الأعنف منذ بداية الحرب ويجب أن نعود الى البيانات التي أصدرناها... كانت هناك صفارات الإنذار التي دوت في كثير من البلدات والمدن الإسرائيلية ولكن اتضح أنه أطلق صاروخ واحد على كل من هذه المناطق واعترض من طرف منظومة «مقلاع» الإسرائيلية (القبة الحديدية)... ما زال لدى «حماس» قدرة على اطلاق صواريخ ونحن لا نتجاهل ذلك ونحن نحارب قدراتها هذه ونمضي قدما في ذلك وإسرائيل تتقدم وفق خطة عسكرية مدروسة للوصول الى معاقل الإرهاب وتدميرها..

– **تقاطعه المذيعة :** «لماذا تم تسريح مجموعة من جنود الاحتياط وفي هذا الظرف بالذات؟

– **أدرعي :** هناك خطة عسكرية واضحة وهناك فرق عسكرية تعمل في مناطق مختلفة وهناك جنود من الاحتياط وأنا شخصيا لديّ في مكتبي عدد كبير من جنود الاحتياط وفي الأسبوع الأخير قررت إجالة بعضهم إلى إجازات وما إلى ذلك ليستريحوا قليلا وبعد ذلك سيعودون الى نشاطهم... لدى إسرائيل خطة عسكرية واضحة... صدقوني... خطة واضحة ومدروسة وقد رأينا ذلك منذ بداية الحرب.

– **المذيعة :** في كل مرّة نسأل ضيفا إسرائيليا عن الأهداف التي لم تتحقق والتي رسمها نتنياهو قبيل هذه الحرب يقول «نحن نستعد لحرب طويلة»... هناك من يخالف هذا الكلام ويقول أن إسرائيل لا تتحمّل حربا طويلة.. فاقتصاد بلادكم ينزف... الداخل الإسرائيلي يغلي وحكومة نتنياهو قد تنفرط في أية لحظة...؟ أليس حديثكم عن الاستعداد لحرب طويلة من قبيل الشعارات؟

– **أدرعي :** لا لأن هذه الحرب غيّرت كل المعادلات وأثبتت أن هذه المزايدات والشعارات اصطدمت بحقيقة أن المجتمع الإسرائيلي متّحد على طريق تحقيق أهداف هذه الحرب.. نحن نعرف أن القضاء على منظومة «حماس» السلطوية والعسكرية سيتطلب وقتا... نعمل في منطقة شمال القطاع وسننتقل الى مناطق أخرى وهذا يستغرق وقتا.

– **المذيعة تقاطعه :** الداخل الإسرائيلي غير متّحد... هناك مؤشرات على تململ ولم يعد مثلما كان من قبل السابع من أكتوبر والشريك في الحكومة بن غفير قال إن اتفاق الهدنة هذا وتبادل الأسرى خطأ تاريخي وخضوع لاملاءات السنوار فعن أية وحدة تتحدث في الداخل الاسرائيلي؟

– **أدرعي :** هذا دليل على حيوية المجتمع الإسرائيلي وعلى أن إسرائيل دولة ديمقراطية ودليل على أن لنا في إسرائيل آراء مختلفة وليس رأيا واحدا... ليس هناك في إسرائيل دكتاتور يصدر أوامر بقتل وذبح المدنيين يوم 7 أكتوبر وبعد ذلك يلوذ بالصمت ولا يقدم أية حسابات لشعبه. شعب يموت في غزة وهو ساكن في سابع طابق تحت الأرض.

– **المذيعة :** أنتم لا ترون الجانب الآخر من الحقيقة.. تتحدث عن مقتل 1200 من المدنيين الإسرائيليين على يد «حماس» لكنك تتجاهل دائما ما تقوم به إسرائيل منذ شهر ونصف.. أكثر من 12 ألف قتيل فلسطيني وتشريد ونزوح وأكثر من 30 ألف جريح.. لا دواء ولا غذاء ولا وقود ولا مساعدات... ماذا تسمي هذا؟

– **أدرعي :** وبعد ذلك تقولون ان «حماس؛ تنتصر؟

– **تقاطعه :** لم يقل أحد ذلك... أنا أسألك ولا أعطي تقييما لأي شيء.

– أصحح اذن كلامي وأقول وبعد ذلك هناك من يقول أن «حماس» تنتصر... هذا خير دليل على ما أقول.. كل هذا الوضع لا نتجاهله... نحن خلافا للطرف الذي قتل وذبح لا نتجاهل الألم الذي يعاني منه بل نبذل قصارى جهدنا لتخفيف الآلام عنه... لكن من اتخذ قرار الذهاب الى الحرب؟ لم تكن إسرائيل... إسرائيل لم تبادر بهذه الحرب... إسرائيل لم تتخذ قرار الذهاب الى الحرب؟ إسرائيل لم تتخذ قرارا بارتكاب الاغتصاب والقتل والذبح في حفلة «رعيم» أو غيرها من مناطق غلاف غزة...

– تقاطعه المذيعة لتذكره بأن صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية اعترفت بأن الجيش الإسرائيلي هو الذي أغار على الحفل المذكور وبأنه شريك مع «حماس» في قتل إسرائيليين في الحفل المذكور.

– **أدرعي :** قرأت تدقيق السلطات الإسرائيلية في ما ورد بصحيفة «هارتس» من معلومات وردّ فعلها على ما ورد في تقرير الصحيفة وهناك صور التقطها مقاتلو حماس وهم يقتلون المدنيين الحاضرين في الحفل ولذلك فإن الاتهام أو محاولة تجميل صورة ووجه «حماس» القبيح التي ارتكبت دواعشها هذه المجازر لن تمرّ... لن يستطيعوا تلميع صورتهم المنهارة والقبيحة التي شاهدها كل العالم..

– **سيد ادرعي،** صورة إسرائيل لم تعد بدورها مثلما كانت من أنها تحافظ على حياة المدنيين مثلما تقولون وتكرّرون دائما... هذا الأمر تغيّر وبدأتم تفقدون السيطرة على الرواية التي يتم ترديدها في الاعلام الغربي.. باختصار لو سمحت تردّ على هذه النقطة.

– **أدرعي :** نعرف أن هناك جهودا كبيرة تبذل لسحب الشرعية عن إسرائيل ولقلب الحقائق وهناك اليوم مجموعة من الصحفيين متواجدة في مستشفى الشفاء وشاهد أفرادها حفرة النفق الموجود داخل المستشفى... وكل من يحاول نفي الرواية الإسرائيلية يصطدم بالحقيقة.

مساعٍ لتمديد الهدنة

تم يوم أمس الاتفاق على التمديد بيومين في الهدنة بين حماس وإسرائيل.

وكانت صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية قد نقلت في عددها الصادر يوم أوّل أمس الأحد عن مصدر مطلع على الوساطة بين إسرائيل وحركة حماس، إنّ الوسطاء يأملون في تمديد الهدنة الحالية في غزة أربعة أيام إضافية، يجرى خلالها إطلاق سراح ما بين 40 و50 من الأسرى الإسرائيليين من النساء والأطفال.

الصحيفة أضافت أن هذا العدد سيضاف إلى الـ50 أسيراً الذين وافقت كتائب القسام، الذراع العسكرية لحركة حماس، على الإفراج عنهم خلال هدنة الأيام الأربعة، التي بدأت صباح الجمعة وجرى خلالها إطلاق سراح 41 أسيراً (يوجد بينهم عمال من تايلاند) من غزة، مقابل إفراج الاحتلال الإسرائيلي من سجونه عن 78 من الأسيرات والأسرى الأطفال.

يذكر أن كتائب القسام كانت قد أطلقت قبل بدء الهدنة سراح 4 أسرى بوساطة قطرية، فضلاً عن عدد من العمال التايلانديين الذين أفرجت عنهم طواعية بلا أي شرط.

بولتون: حماس حققت انتصارا كبيرا على إسرائيل

في مقال له بصحيفة «تلغراف» البريطانية اعتبر جون بولتون مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق أنه «رغم أن إطلاق سراح الإسرائيليين ضحايا السابع من أكتوبر أمر جدير بالثناء، فإن هناك طرقا صحيحة وأخرى خاطئة للقيام بذلك، فهناك تكاليف وهناك فوائد، وهنا يبدو أن حماس حققت انتصارا كبيرا».

وأضاف «يظل من غير الواضح ما إذا كانت الصفقة تشكل سابقة سلبية نهائية بالنسبة لإسرائيل، ولكنها تلقي بظلال من الشك حول ما إذا كانت ستحقق هدفها المشروع المتمثل في القضاء على التهديد الإرهابي الذي تشكله حماس».

وأشار بولتون إلى أن الاتفاق بالنسبة لإسرائيل معيب «بشكل قاتل» في العديد من النواحي، حتى لو تم تنفيذه على نحو لا تشوبه شائبة. وأوضح أن إسرائيل ستستخدم فترة الهدنة للتحضير للمرحلة التالية من الحرب، وتناوب القوات وإعادة إمدادها وما شابه.

وقال إن حماس ستستغل فترة التوقف لترتيب صفوفها استعدادا للهجوم الإسرائيلي التالي، وشن المزيد من الهجمات المفاجئة. وتساءل بولتون «كم من الجنود الإسرائيليين سيموتون بسبب إعطاء فرصة لحماس لنصب أفخاخ إضافية وتعزيز نفسها؟».

ورأى بولتون أن «المشكلة العسكرية الحرجة التي ستواجهها إسرائيل هي الفرص التي ستضيعها إذا أوقفت هجومها في منتصف الطريق.»

واشار إلى أن «استراتيجية حماس تتلخص في اتخاذ أي وقفة مؤقتة، مهما كانت قصيرة، ومهما كان مبررها، وتمديدها إلى وقف دائم لإطلاق النار» مضيفا «وقد لا يحدث ذلك من المحاولة الأولى، لكن الضغط على إسرائيل لحملها على الاستسلام سوف يتزايد».

واختتم بولتون مقاله بالقول إن الخطر السياسي الحاسم الذي تواجهه إسرائيل هو تقويض تصميمها على القضاء على حماس. والأمر الأكثر خطورة هو قوة الدعم الأمريكي، الذي بدأ يضعف بالفعل.

طعنوه في السجن

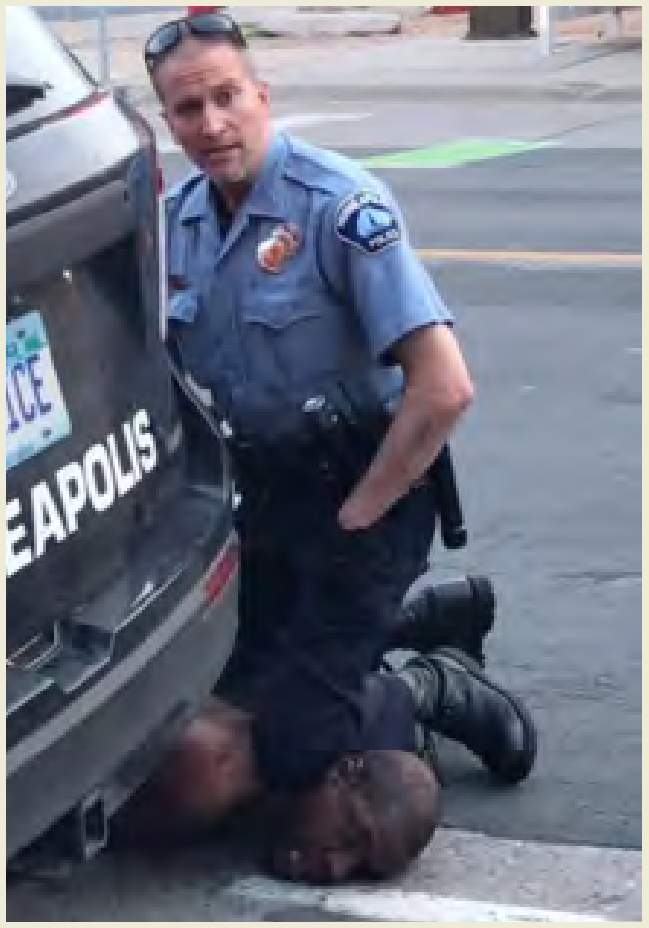

صحيفة «نيويورك تايمز» أكدت في عددها الصادر يوم الجمعة الماضي أن Derek Chauvin الشرطي الذي تسبّب في وفاة المواطن الأمريكي الأسود جورج فلويد تعرض داخل السجن الذي يقيم به الى الطعن بآلة حادة.

و»ديريك» هو ذلك الشرطي الذي ظلّ يوم 25 ماي 2020 جاثما بركبته نحو 10 دقائق على رقبة المواطن فلويد (46 سنة) وبلا مبالاة تامة إزاء حشرجة الرجل الذي كان يحتضر بعدما انقطعت أنفاسه نتيجة الضغط الذي مارسه على رقبته الشرطي المذكور.

الحادث الذي صوّرته عدة قنوات تلفزية على المباشر أظهر مشاركة شرطيين آخرين في السيطرة على فلويد. وقد سجل عدة مارة اللقطات وبثّوها على وسائل التواصل الاجتماعي الشيء الذي أحدث صدمة لدى المجتمع الأمريكي وتسبّب في فتح تحقيق في الحادث أدى إلى إدانة الشرطي Derek والحكم عليه بالسجن 22 سنة ونصف. وقد رفضت المحكمة العليا الأمريكية استئناف الشرطي وتم توجيه تهمة جديدة له هي «خرق الحقوق المدنية لجورج فلويد نال اثره حكما إضافيا بـ 21 سنة سجنا.

شروط

صحيفة «كان» الإسرائيلية نشرت تقريرا قالت فيه إن "تحقيقا أجراه مسؤولون دوليون، أظهر استعدادا لدى دول الخليج لاستثمار مبالغ كبيرة لإعادة إعمار قطاع غزة، ولكن بشروط".

ووفق الصحيفة «فقد توجه في الآونة الأخيرة، مسؤولون دوليون، بما في ذلك أمريكيون، إلى دول الخليج وطلبوا منها المساعدة الاقتصادية في إعادة إعمار قطاع غزة في اليوم التالي لسقوط حماس».

وأضافت أن تلك الدول أبدت استعدادها، ولكن بشرطين، الأول: وجود خارطة طريق لحل القضية الفلسطينية، والثاني: إجراء تغييرات كبيرة يتعين على السلطة الفلسطينية القيام بها، بما يتضمن مناصب في القيادة أيضا، وفق «كان» الإسرائيلية.

ونقلت الصحيفة مقتطفات من مقالة نشرها الرئيس الأمريكي جو بايدن قبل بضعة أيام في صحيفة "واشنطن بوست" أشار فيها إلى مرحلة ما بعد الحرب في قطاع غزة، قائلا إنه يجب أن تكون السلطة الفلسطينية هي الهيئة الحاكمة هناك، وأنه ينبغي تنفيذ إصلاحات مدنية في السلطة الفلسطينية لتعزيز مكانتها واستقرارها وتمكينها من السيطرة على القطاع في اليوم التالي للحرب.

اتهام

إلهام عالياف رئيس أذربيجان اتهم فرنسا بالعمل على ضرب استقرار منطقة القوقاز الجنوبية.

عالياف قال وفق ما نقل عنه موقع Observa-teur Continental عن Trend News Agency خلال ملتقى انتظم مؤخرا حول «إزالة الاستعمار... التمكين للنساء وتحقيق النمو» : «بتسليح أرمينيا تطبق فرنسا سياسة عسكرة وتشجع القوى التوّاقة للثأر بأرمينيا وتمهد الطريق لحروب جديدة بمنطقتنا».

وتابع عالياف حسب نفس المصدر : «في نفس الوقت تُغالي فرنسا في استعمال مركزها كبلد دائم العضوية بمجلس الأمن الدولي لانتهاج سياسة منحازة قائمة على أحكام مسبّقة للزجّ بنفسها في دسائس ومؤامرات جغراسياسية في العديد من المناطق وتحاول توظيف منظمات غربية للضغط على دول أخرى».

وذكّر الرجل بأن «فرنسا التي تهيمن حاليا على 13 بلدا وراء البحار وتتدخل في الشؤون الداخلية لمستعمراتها القديمة المتواجدة بمختلف قارات العالم تواصل سياستها الاستعمارية الجديدة رغم مطالب العديد من المنظمات الدولية والشعوب المكافحة من أجل استقلالها».

هل تصبح الهند قوة عظمى؟

من تختار المملكة العربية السعودية كحليف استراتيجي: الصين أم الهند؟

ألكسندر نازاروف (محلل سياسي روسي)

يقترب عصر الولايات المتحدة الأمريكية من نهايته، ويتوقع الخبراء الاقتصاديون أن تحلّ الهند، في غضون بضعة عقود، محل الولايات المتحدة كصاحبة ثاني أكبر اقتصاد في العالم (الأولى هي الصين).

من تختار المملكة العربية السعودية كحليف استراتيجي: الصين أم الهند؟

فضلا عن ذلك، فإن الاتجاه السائد في الهند اليوم يتلخص في تزايد النزعة القومية، فيما يتحدث رئيس الوزراء مودي بالفعل عن الاسم الهندي الجديد للبلاد بهارات بدلا من الهند. في الوقت نفسه، تدعي لغة الأقلية النسبية أنها هي المهيمنة. وعلى المستوى الوطني، والأخطر من ذلك على المستوى الإقليمي، غالبا ما تلعب الأحزاب القومية دورا قياديا، ممّا يخلق إمكانية لتقسيم البلاد.

وإذا نظرنا إلى الخريطة العرقية اللغوية للهند، سنرى كتلة كبيرة من الهنود في داخل البلاد وشمالها، بينما تمثل المناطق الساحلية أقليات عرقية وعنصرية. وفي حالة التطور السريع لاقتصاد التصدير، سيتم بناء مؤسسات على الساحل، بالقرب من الموانئ وطرق التجارة، ممّا سيؤدي إلى تفاقم عدم المساواة الاقتصادية بين المناطق، وهو ما سيؤدي إلى فصل الأقليات الغنية عن الأقلية الحاكمة الفقيرة.

إلا أن بقاء الهند موحدة سيستمر فقط بشرط أن تظل البلاد تعيش القرن التاسع عشر من حيث سياساتها الداخلية، في عالم الإمبراطوريات والطبقات وسكان الريف الأميين. إن هذا البلد هو عبارة عن بقايا، بقايا حقبة سابقة لم تدخل بعد في الصراع العالمي على السلطة، ولم تثبت بعد قدرتها على مواجهة التحديات.

يتطلب النمو الصناعي قوة عاملة ماهرة ومتنقلة. ولمزيد من النمو الاقتصادي، يجب تحقيق تحديث تكنولوجي واجتماعي في البلاد، أي إلغاء النظام الطبقي، وإنشاء مجتمع متساو إلى حد ما مع حراك اجتماعي عمودي كبير.

لكن، مع هذا التحديث، ستنمو التناقضات السياسية والاجتماعية إلى مستويات حرجة، وسيشتد الصراع الطبقي والسياسي. وهذا تحد كبير للبلاد، ومن غير المرجح أن تتمكن من مواجهته. فالتغيرات الاقتصادية تحدث في العالم الحديث بسرعة، ولن تتغير البنية الاجتماعية لمجتمع من العصور الوسطى بطبيعته خلال جيل أو جيلين. فروسيا، على سبيل المثال، والتي كانت في بداية القرن العشرين أسرع الاقتصادات نموا في العالم، احتفظت بالبنية الطبقية للمجتمع ولم تكن قادرة على اجتياز مرحلة التحديث الاجتماعي دون صدمات وانهيار وحرب أهلية.

ومع ذلك، ففي رأيي أن التحدي الرئيسي الذي يواجه الهند هو فخ الزيادة السكانية الزراعية. لتسمحوا لي أن أذكركم بأن عدد سكان الريف في الهند يبلغ حوالي 70% من السكان، فيما تشهد التكنولوجيات الزراعية الآن تطورا سريعا، وما كان يتطلب 20 عاملا قبل 30 عاما، أصبح يكفيه عامل واحد. وتحديث وأتمتة الزراعة أمر لا مفر منه في الهند أيضا، وهو ما سيحرر عددا لا يمكن تصوره من العمال الذين لن يتمكنوا من العثور على شغل. أضف إلى ذلك النمو السكاني المستمر في البلاد. لقد اقتربت الهند من الثورة الزراعية وهي غير مستعدة على الإطلاق، ولا أعتقد أنه سيتم التغلب على تحد بهذا الحجم دون حدوث اضطرابات اجتماعية وسياسية. وفي بلد متعدد الأعراق، قد تؤدي هذه الاضطرابات إلى تغيير الحكومة، ولكن في متنوع مثل الهند، ونظرا للقومية وعدم المساواة الاقتصادية في المناطق المختلفة، فإن انهيار البلاد أمر محتمل للغاية عند أول أزمة اقتصادية كبرى.

وبشكل عام، في رأيي ان الحديث عن المنافسة بين الصين والهند على الزعامة الاقتصادية لا يزال سابقا لأوانه. وحاليا تمثل الصين نحو 30% من الاستثمار العالمي، في حين تقل حصة الهند عن 5%. ويتوقع بنك HSBC أن تتسع فجوة الحجم الاقتصادي بين الصين والهند من 14.5 تريليون دولار هذا العام إلى 17.5 تريليون دولار في عام 2028.

كما يجب علينا أيضا أن نأخذ في الاعتبار اللحظة التاريخية التي نعيشها، حيث أصبح العالم الآن في خضم أزمة إفراط في الإنتاج، ولهذا السبب بدأت الحرب العالمية الثالثة التي تقرر فيها الصين والولايات المتحدة وأوروبا من سيكون إنتاجه غير ضروري وسيتم تدميره أو على الأقل خفضه بشكل كبير. أما الهند، فهي غير موجودة في هذه المعركة، ولا تستطيع الاعتماد على نمو صادراتها على خلفية انحدار التجارة العالمية وتفكك العالم إلى مناطق اقتصادية. تأخرت الهند، بل على العكس تماما، ففي ذروة الأزمة، أي في الأعوام العشرة المقبلة، من المرجح أن تنحدر صادراتها، الأمر الذي سيؤدي إلى انخفاض عائدات الهند من النقد الأجنبي، والتشكيك في قدرتها على استيراد الطاقة بنفس الحجم.

إن التجارة الحرة في العالم تنتهي، وسيتم تحديد العلاقات الاقتصادية، على الأقل في ما يخص توريد المواد الخام الاستراتيجية والتقنيات والمعدات الحيوية، بشكل صارم من خلال الروابط السياسية، أي أن التجارة سوف تتطور فقط داخل الكتل السياسية.

الهند ليست قوة عظمى بعد، وأقصى ما تستطيع فعله الآن هو الحفاظ على موقف سياسي مستقل عن القوى العظمى الأخرى. لكن عدم المشاركة في الكتل الأخرى لا يعني بعد الاستعداد أو القدرة على إنشاء تكتل خاص بك، وهذا بالضبط ما هو مطلوب لحماية الحلفاء، بما في ذلك، نظريا، دول الخليج، إذا قرروا اختيار الهند كمركز استراتيجي رئيسي وشريك لهم. فحتى إيران وتركيا اصبحتا الآن قوى عظمى أكثر من الهند.

أشك في أن تظل الهند على هيئتها الحالية بعد 30 عاما. ومع ذلك، فربما يصبح أحد أجزاء الهند الحالية قوة عظمى في يوم من الأيام.

لوبوان: انتهاء "اللحظة الغربية" وأوروبا تتحول لدار للمسنين

ظهور الصين والهند والعودة العدوانية لروسيا وطموحات تركيا والبرازيل ودول أخرى تعلن نهاية "اللحظة الغربية"، تلك الفترة القصيرة التي شهدت منذ انهيار الكتلة الشيوعية غربا متحدا بقيادة الولايات المتحدة يملي قانونه على بقية العالم، وهو ما يجب أن يمثل منبها لما يكرر دائما بأننا نعيش "انهيار الإمبراطورية الأمريكية".

بهذه المقدمة بدأ جيرار أرو مقاله في مجلة لوبوان الفرنسية، مؤكدا أن الغرب لم يكد يدرك هذه اللحظة لأن تفوقه بدا له طبيعيا ومفيدا في "عالم قائم على القواعد" و"انتشار حقوق الإنسان والديمقراطية" دون أن ينتبه إلى أن أفعاله كثيرا ما تناقض أقواله، مما يثير الاستياء والمرارة من حوله.

أما الآن -كما يرى الكاتب- فإن العالم بدأ يتحرر من وصاية الغرب، وهو ما يتجلى في جرأته على إعلان نهاية لحظة الغرب وعلى انتقاد الديمقراطية التي ظل الغرب يلزم كل أحد بعبادتها علنا إذا لم يبدُ متحمسا لها، ليتساءل: هل سيجرف هذا الانهيار الحتمي الجميع، أمريكيين وأوروبيين؟ وهل بات محكوما على أوروبا أن تصبح مقصدا سياحيا أو دارا للمسنين؟

لكن يبدو أن الكاتب غير مقتنع بقرب هذه النهاية، على الأقل في ما يتعلق بالولايات المتحدة التي تحتفظ بمزاياها التقليدية، حيث المركز المالي العالمي في نيويورك والجامعات الممتازة ومراكز الأبحاث الاستثنائية وروح المبادرة المستمرة، مما يوفر للمستثمرين سوقا كبيرة وطاقة وفيرة وغير مكلفة وأمنا قانونيا وماليا مطلقا، خاصة أن جهود إسقاط سيادة الدولار باءت كلها بالفشل حتى الآن.

لكن هذه القضية تبدو في رأي الكاتب أكثر صعوبة بالنسبة لأوروبا مثلما توقع ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق باراك أوباما عام 2016 عندما قال إن مستقبل العالم سيتحدد بين نيودلهي ولوس أنجلوس، وأن أوروبا تبقى بالنسبة للأمريكيين والآسيويين منطقة غنية بالتأكيد، ولكنها تهمش تدريجيا بسبب عودة آسيا التي كانت لآلاف السنين أغنى منطقة في العالم.

وأشار الكاتب إلى أن قرن المحيط الهادئ سيأتي بعد قرن المحيط الأطلسي، خاصة أن النمو المتواضع في أوروبا وقبله النقص المتزايد في التركيبة السكانية ينذران بقارة تشيخ وتغفو في راحة ديمقراطيتها الاجتماعية وذكريات عظمتها، وستكون وجهة سياحية أكثر منها مركزا للإبداع والمغامرة.

ومع ذلك، تستطيع أوروبا قبل أن تصبح معسكرا للعطلات ودارا للمسنين تجربة أيام طيبة على هامش التاريخ رغم عداوة روسيا وخطر وجود تركيا القوية التي تريد استعادة مكانتها، وقبل كل شيء وجود أفريقيا ذات التركيبة السكانية الفتية على أبواب قارة غنية ومتقدمة في السن.

ولئن كانت أوروبا أثبتت قدرتها على الصمود مرات عديدة فإنها تحتاج اليوم إلى كل ميزاتها لتجنب تحولها إلى ضحية لتاريخ كتبته بنفسها منذ فترة طويلة، ولكنها منقسمة إلى كانتونات في عالم أكثر ما تحتاج فيه إلى الوحدة والرؤية والشباب.

38 صفحة

الشارع الثقافي

العدد 384 - من الثلاثاء 28 نوفمبر إلى الاثنين 4 ديسمبر 2023 - الموقع الالكتروني www.acharaa.com - البريد الالكتروني : maghrebstreet@gmail.com

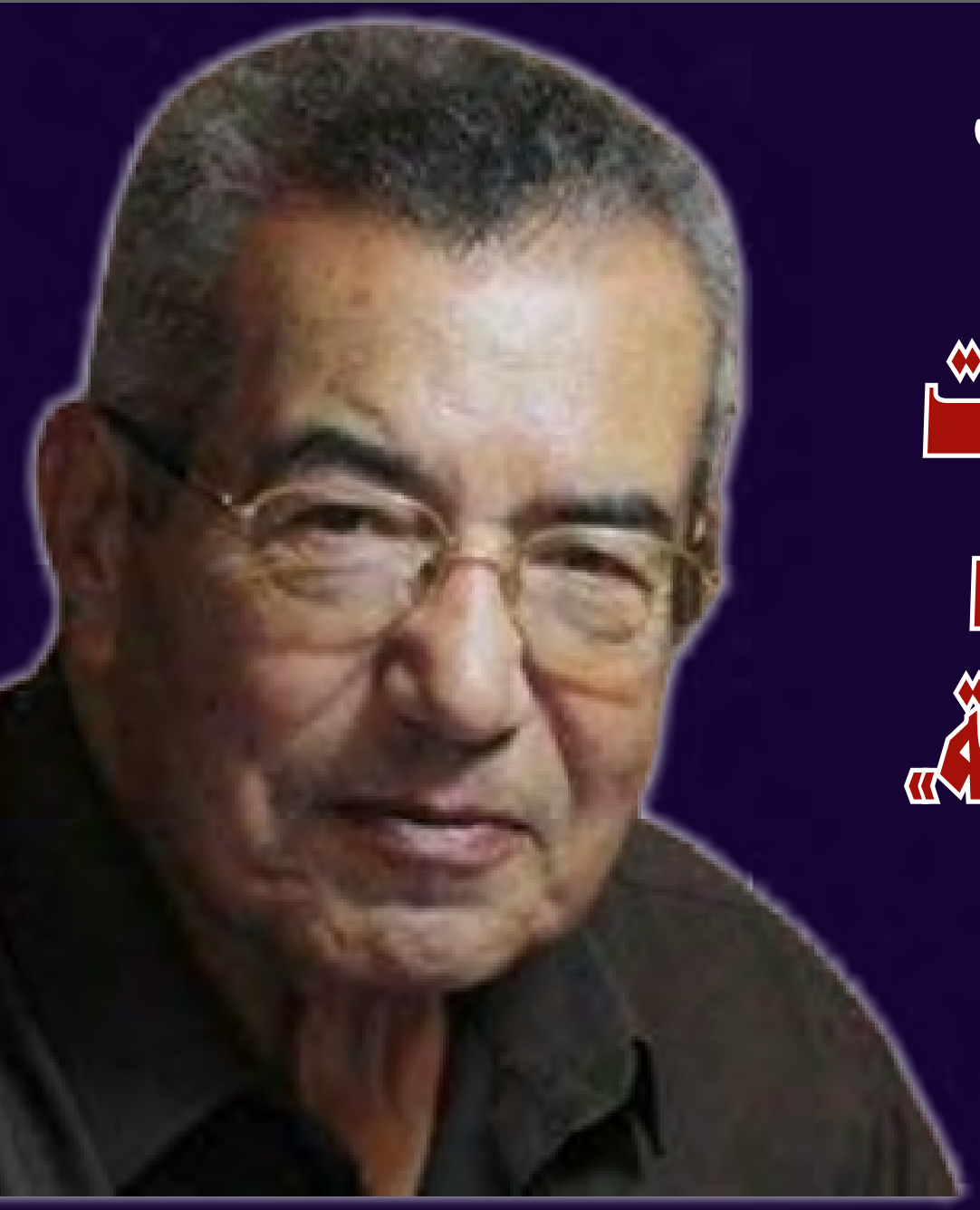

المفكّر عبد المجيد الشرفي لـ«الشارع المغاربي» :

حضارتنا الإسلامية انتهت وعوّضتها أخرى نشأت في الغرب تسمّى «الحداثة»

الوضع السياسي في تونس يتميّز بحكم فردي قد يؤدي الى انفجار

قصص الرسالات السماوية وأثرها في أساطير الشعوب

دراسة مقارنة بين ما جاءت به الرسالات السماوية من قصص وما ظهر منها بأساطير شعوب العالم

بقلم : الناصر التومي

وقفة

من لم تردعه الفلسفة لن يكون له من رادع

بقلم :
عُمَر بن بوجليدة

تراث غير مادي

الزاوية الصمادحية بباجة وإشكاليّة التأسيس: قراءة في التاريخ الدفين

بقلم : د. زهير بن يوسف

وقفة

من لـم تردعه الفلسفة لن يكون له من رادع

ومات هابرماس بالسكتة الفلسفية ...

بقلم : عُمَر بن بوجليدة - جامعة تونس.

متى ما لم نقدر على تعيين مأساة التناقضات والمفارقات التي شقت «التدبير الإمبراطوري» وتيماته، لن نفلح في فهم، «سقطة» وخسة «هابرماس»، والذي مداره تفوق الإنسان الأوروبي.

رثاه كل إنسان يستنكر هذه الحرب والفظائع والمذابح وعمليات الإبادة، وهكذا مات مع أفول ضميره الإنساني، والسؤال: لماذا انتهى هابرماس هكذا وبهذه الخسة؟ وكيف يتنكر «الساقطون» من كبار العلماء والمفكّرين في ثقافاتهم، لما كتبوه وقالوه؛ خوفًا من تهمة معاداة السامية؟ لماذا يتحالف مع الموقف الغربي»الرسمي» أم أن المأساة أبعد غورا؟

تجربتان تاريخيتان تقفان خلف خطاب»هم»: تجربة «أوشويتز» وتجربة «الغولاغ. هاتان لحظتان أساسيتان من جنيالوجيا»هم»، حول الشر.

$ولقد كان من المفترض أن يجد «الجمهور» في طروحات «المتفلسف» و فكره، نورا يستضيء به، ويترسّمه كلما غمضت عليه المسائل وأشكلت، تأخذ بألباب النوازل والبشرية وكروبها وأحزانها وشدائدها. فهل قال «الفيلسوف»، هذا لينسينا ما نحن فيه من هموم وأرزاء، وليشغلنا عما يحيط بنا من ويل وعناء ؟

وجمع من «المريدين» كانوا قد قالوا: إن لنا شيخا ظريف الطبع، طريف المجون (المزاح والهزل) سارّهم (ألقى إليهم بسره) أبدا، وامتزج الفؤاد بالفؤاد، حتى سرّهم (شرح قلوبهم وأثلج صدورهم)، فكان لهم به أنس وعليه حرص.

ذاك الذي كان فيما غبر من الأزمان، وصافا فصيحا، ذا عقل راجح، يميز بين طيب الأفعال ورديئها، وغث الطباع وسمينها ورفيع الأخلاق وسافلها.

وحينذاك ليس لقارئ بيان «هابرماس» ومن والاه، ألا يتذكر ما كان قد كتب «دولوز»، في شأن فلسطين: «ستطالب الصهيونية، وفي ما بعد، «دولة إسرائيل»، الفلسطينيين بالاعتراف بها قانونيا. ومن جهتها، فإن «دولة إسرائيل»، لم تتوقف عن إنكار وجود شعب فلسطيني. فلا حديث عندها عن فلسطينيين، وإنما عن عرب فلسطين، وكأنهم وجدوا أنفسهم هناك صدفة أو خطأ. لاحقا، سيتم الأمر وكأن الفلسطينيين المهجّرين جاؤوا من خارج. ولن يتم الحديث قط عن حرب المقاومة الأولى التي خاضوها وحدهم. وسيعتبرون من سلالة هتلر، ما داموا لم يعترفوا بحق «دولة إسرائيل». إلا أن «إسرائيل» تحتفظ بحقها في إنكار وجودهم الفعلي. وهنا تبدأ سردية سيزداد انتشارها أكثر فأكثر لتثقل كاهل كل أولئك الذين يدافعون عن القضية الفلسطينية».

فهل كل المقولات خادعة وكل الأفكار زائفة ؟

لقد سَاد اعتقاد (كَلبي) مَفاده أن الأفكار تُستخدم لمصلحة القوة والقهر، وبأن الحقيقة حسب «مُشاكسين»، «مُربكين» غائبة ومَهجورة، والدعوة إليها تبدو مُعقدة: وقد وقفت في وضع يؤهلها للخسارة أمام «الكلبية».

هكذا ظهرت تلك الخصّيصة الخسيسة لعصرنا: «الإنهاك الثقافي» بقرار أكثر حسما أو نثر أكثر بيانا، أو تفسير فلسفي أفضل للإنسان أو الحقيقة أو التاريخ، فتلك هي الطريقة التي اتخذتها الأحداث لكي تَحدث.

وبالرغم من أنه لا شيء وراء المفردات يصلح محكا للاختيار بينها، فإن النقد يصبح هو النظر إلى هذا التشكل وذلك التشكل، أو وفق تعبير أكثر خشونة: تحت سحر أناقة «ما بعد الحداثة»، يكمن عالم انتُزعت منه إنسانيته وانحط إلى مصطلح لغوي غير حقيقي.

وبكلام غليظ ورقيق، يذهبون إلى كسوف النمط «البطولي»، والبحث عن «الحقائق الكبرى» في الفكر والفلسفة، ويدعون إلى منهج «الحد الأدنى»، وفيه يستجيب «النقاد» للأحداث العادية والمحلية بـ»التفصيل. وبتأثير منه هائل، يَنصرفون يَسيرا يسيرا عن «الأمل الاجتماعي» و»المهمة الاجتماعية» نحو «الاكتمال الخاص»، فهل وقع «الجناح اليساري» في شراك كلبية «الجناح اليميني»؟ لأنه ناضل من أجل الكرامة الإنسانية والحُرية والسَلام؟

ساعتئذٍ سيتضح أنه توجد «بعض المبادئ التي يجب ألا تكون محل خلاف»، وهذا معقول، إلا أن المرعب، هو أن مقصود هذا الرِعْديد المرتجف من ماضيه المخجل، إنما كان»مبادئ تشكل أساسًا لتضامن مُفَكَّرٍ فيه ومُتَعَقَّلٍ مع «إسرائيل» واليهود واليهوديات في ألمانيا»(كذا). فمن لم تردعه الفلسفة لن يكون له من رادع.

وهو الذي يعلم أن مهابة النموذج القديم وعتبته قد جرى تخطيها، وأن تصورات جديدة قد رأت في «غزة النور»، فما هذا الذي أنطق لسانه وقوى حجته وبرهانه، ورفع شأوه وعلّى ذكره وبيانه، أليس هو ارتباك «السياسي»؟ الذي يعمي خِطَابه – (الذي لم يكن جميلا ، إذ عادة ما اخترقه التشادق في الكلام)- السذج ومسلوبي الإرادة. ليس لأنه يمتلك سلطة مبهمة ومتعالية من خلال ممارساته، بل لأنه يقع ضمن نسق من الأخطاء، ولهذا النسق صانعوه، وضحاياه قابلون للخداع. وهو ما من شأنه أن يمكّن من التعرف على الفضلاء ويفضح الأنذال والسفلاء. والرواة لم يرووا سكوت الصامتين، كما روت كلام الناطقين، وطول الصمت يفسد اللسان، إذ هو الحُبسة، فهو أعيب، والذم له ألزم. فـ»الروح الديمقراطية لجمهورية ألمانيا الاتحادية، والتي تقوم على أساس الاعتراف بالكرامة الإنسانية (كذا)، ترتبط بثقافة سياسية تعتبر الحياة اليهودية، وحق «إسرائيل» في الوجود عنصرين أساسيين يستحقان حماية خاصة، (كذا) مع استحضار الجرائم الجماعية التي ارتكبت سابقًا في الحقبة النازية».

فكأنما هبّ من إغفاءة ورقدة، والحقّ قد رُفعت سُتوره، وتبلج فسطع نوره، وأطلق لسانه، وقصّر عن طلب «الشعب»، الذي شغله مكتئبي «الحقبة الهتلرية» و «التقوى الدينية»، بين النائي (الآخرة) والداني (الدنيا). إذ المدرك أن حساسية جديدة حلت محل الأشكال «الغريبة» (عندهم) القديمة للحب والسياسة والحكم:

حساسية مصدرها أن زبرج الدنيا قد أضله، وشيطان الشهوة (الكولونيالي) قد استزلّه، ألا إن الأحجى به، أن يلوذ بالركن الأقوى، ولا ركن أقوى من ركن التقوى (ولا تقوى فوق تقوى المقاومة).

وفي هذا السياق سيكون من المفيد الإحالة إلى فكرة «جاك دريدا» عن مركزيّة اللوغوس، التي تحيل إلى نزعة غربيّة لفرض الهرميّة عند التعاطي مع أزواج مفهوميّة (حديث / تقليدي، شرق / غرب، رجل /امرأة) تؤسس من خلالها لفروق وتفاضل أنطولوجيّ. وهكذا استبان كيف أن أشدّ الخطابات النقديّة جذريّة، تنزلق بسهولة نحو الشكل والمنطق والافتراضات الضمنيّة، الخاصة تحديدا بالأمور التي تسعى نحو تفنيدها.

فدقق في هذا: لقد سبق القضاء على سبعة ملايين من البشر، ولم يغير من الحياة الإتيقية للروح المطلق شيئا. وهو ما يمكن إبانئذٍ أن يرفع غموض الدلالة. فـ»هيغل» يسجل هذا الانقراض بوصفه حدثا تأمليا في فلسفة التاريخ، وليس مشكلا أخلاقيا فظيعا، بل برر «هيغل» إبادة الهنود الحمر واستبعاد السود.

وههنا يمكن تبيان التباس آراء «ماركس» حول «الهند»، فقد احتفى «ماركس» بالدور «التقدمي» للكولونيالية الرأسمالية: «كان على «انجلترا» أن تنجز مهمّة مزدوجة في «الهند»، الأولى تدميريّة والأخرى تجديديّة – محو «المجتمع الأسيوي» القديم ووضع الأسس الماديّة للمجتمع الغربيّ في آسيا». وفيما يمكن قراءة تلك الفقرات، بكونها دعما للأثر التحضيري للرأسماليّة الغربيّة على الهمجيّة الشرقيّة، إلاّ أنّ كتابات «ماركس» عن «الهند»، المتحيّرة والخاطئة والضّحلة على نحو لا يمكن إنكاره، متناغمة مع رسالة البيان الشيوعيّ. الرأسماليّة قوّة ثوريّة ولكنها تُولّد – في الوقت ذاته – سبب سقوطها اللاحق. ما يؤشر إلى أن الماركسية مشبّعة بشدة بروح الحداثة. فقد تبدو الرأسمالية في كل مرة: مهيمنة في العالم المادي والبطريركيّة مهيمنة أيديولوجيا.

ولم يطرأ تغير جذري. فما تلك إلا بدايات باهتة قبالة مرعب محرقة الأهالي في أمريكا اللاتينية (دوسيل)، والكليانية (أرندت) والمحتشدات (أغامبن) وما كان مجهولا في ما مضى. وهو الذي لا يمكن تناوله إلا في أفق بعد كولونيالي وما بعد غربي.

ولقد أفلح «فوكو» – وهو يغوص أكثر (في لحظة نقد الإمبراطورية من الداخل) – متخففا على نحو كبير من إرثه الماركسيّ – فيحاجج بشأن ديناميّات السلطة والمعرفة في المجتمعات الغربيّة، مُؤشِرا إلى أن «التنمية» إنما هي الامتداد للآليات الضبطيّة والتطبيعيّة الحداثيّة داخل العالم غير الغربيّ، وهكذا فالتنمية هي نشر السلطة / المعرفة للتعامل مع «التخلف»، بالطريقة ذاتها التي أوجد فيها الطبّ النفسيّ للتعاطي مع «الجنون».

وهو ما يمكن أن يفسر ممانعة غير الغربيين للحداثة، ومقاومتهم للمشروع الإمبراطوري. ولئلا نكون أمام تكرار باهت على نحو صاعق لـ»بؤس أيديولوجي»، علينا أن نوسّع فهم «ماركس» مثلا. فقد ظهر بديل انشقاقيّ في كلّ مرّة، واعتبر ما انبثق عن «النظرية» سجونا مؤسّساتيّة، على نحو صارم. وكان الميل وافرا، إلى التفكير من خارج تلك «الأسوار العقدية»، شكوى من المركزيّة الأوروبيّة التقليديّة، في تضاءل لافت لباقي شعوب العالم المضطهدة.

هكذا اتّضح خير اتّضاح أن «فانون» وهو يتحدث في ختام «الأسود وهيغل»، عن الوضع المختلف للأفارقة الشباب، الذين «سعوا للحفاظ على أصالتهم، أصالة القطيعة والصراع والمعركة»، يقرر على نحو وطيد أنّ العبد السابق «بحاجة إلى تحدّ لإنسانيّته». وهذا التحدّي يعيدنا بمعنى ما، إلى المرحلة الابتدائيّة من ديالكتيك السيد / العبد.

حيث كان وعيان ذاتيان متساويان يقاتلان من أجل الاعتراف، ويُعاد ثُمئذٍ استحضار هذا الديالكتيك، وهو ما حرص على استنباته في كتاب «معذّبو الأرض»، دون أن يخفي عدّته الفرويدو – ماركسية وأسلوبه المثقل بالطيف الهيغلي. إذ يستولد هو نفسه بصراحة مربكة «أن جلد المستوطن، لم يعد ذا قيمة تفوق قيمة جلد السكان الأصليين (...). كل الاطمئنان الثوري الجديد الذي لدى المواطن الأصلي ينشأ منه ومن أجله في واقع الأمر، فإن حياتي تساوي من حيث قيمتها حياة المستوطن، لم تعد نظرته تضعفني أو تجمّدني ولم أعد أشعر بالقلق في حضوره.

فكيف نتعلم التفكير بطرائق أخرى؟

فأن «ننشق» معناه أن نصمد، ضد ذلك «التقليد» في التفكير نفسه، فليس «الغربي/ هابرماس»، هو الذات الحاملة للتفكير وتاريخه المكتظ «بنا»، وآوانذاك نتساءل لماذا نفوض أمرنا لـ»غرب»، بَات يتمزق وقد «تصهين» و»تأسرل».

ووقتذاك سيكون من المفيد في القصد الذي يعنينا أنّ نوضح، أن الحاجة إلى التمييز بين تنويعات من النظرية ما بعد الكولونياليّة وإلى فهم بناها المتناقضة، ملحة، وإن كنا عن دراستها لغافلين، إذ ثمة سمة مشتركة في النقد ما بعد الحداثي وما بعد الكولونياليّ للحداثة الغربيّة ومركب السلطة / المعرفة، الخاص بعصر التنوير. ومع ذلك لا بد لما بعد الكولونياليّة أيضا من العمل كصيغة من الخطاب المضاد لما بعد الحداثة، فتفكك كولونيالية الخيال ما بعد الحداثي بقدر ما تفكك خطاب الحداثة.

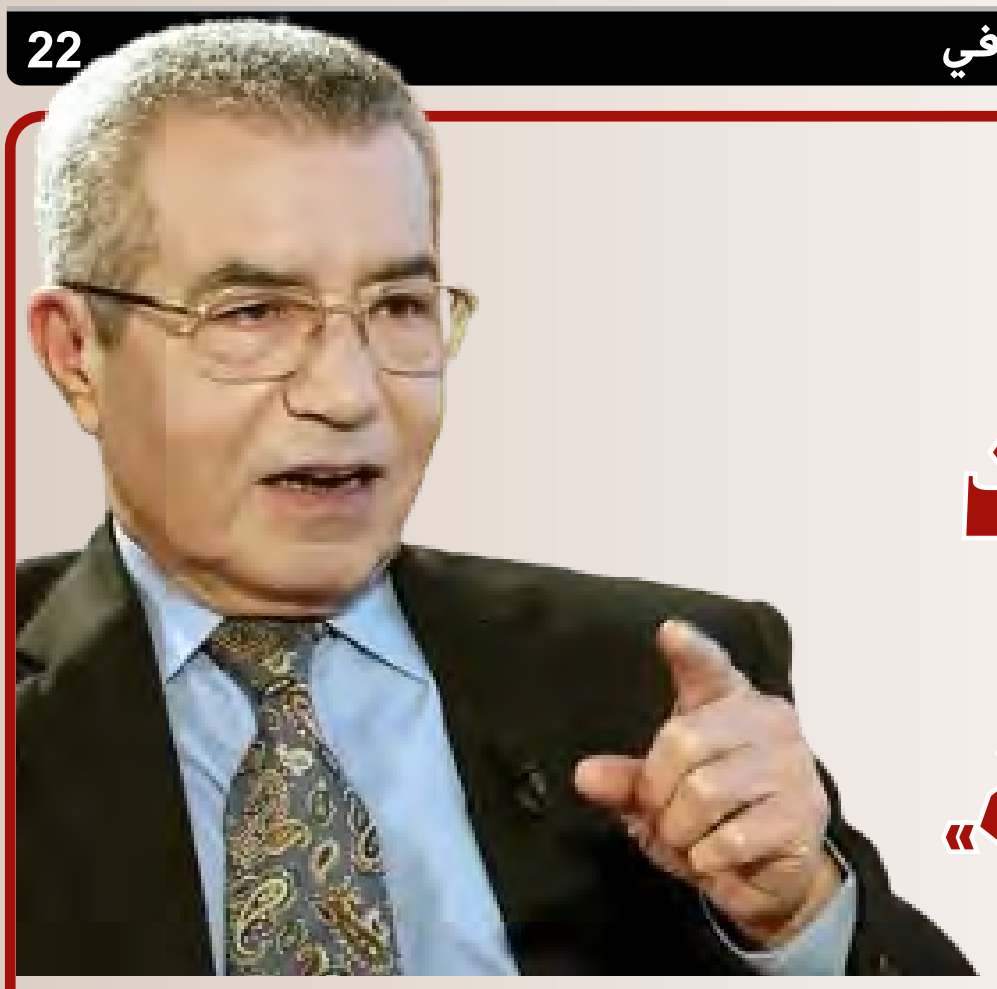

المفكّر عبد المجيد الشرفي لـ«الشارع المغاربي» :

حضارتنا الإسلامية انتهت وعوّضتها أخرى نشأت في الغرب تسمّى «الحداثة»

الوضع السياسي في تونس يتميّز بحكم فردي قد يؤدي الى انفجار

حاورته : عواطف البلدي

عقل مستنير يخوض معارك ثقافية. مفكّر يشتغل بالبحوث الجدية المتعلقة بتحديث الفكر الإسلامي بما يتناغم ومقتضيات الحداثة رافعا معاول النقد لتراث يمجدّه البعض الى حد التقديس. في كتابه «البداهات الزائفة» الصادر مؤخرا عن «دار محمد علي الحامي للنشر» بحث عن السبل الكفيلة التي تساعد مسلم اليوم على التخلص من تلك البداهات.

«الشارع المغاربي» التقى رئيس بيت الحكمة السابق الدكتور عبد المجيد الشرفي للحديث عن كتابه «البداهات الزائفة» وعن موقفه مما يحدث بغزة والراهن السياسي بتونس وعن حال الفكر والمفكرين.

أيّ البداهات أشد زيفا وأكثرها عنفا على العقل البشري وعلى المجتمع العربي الاسلامي؟

لا أظن انه ثمة بداهة أخطر من غيرها وحتى البداهات التي ذكرت هي نماذج وهناك غيرها. المشكلة تتعلق بمنظومة فكرية كاملة وهذه المنظومة موروثة في الحقيقة عن فترات الانحطاط الحضاري ولا نجد لها نفس الجذور في فترة ازدهار الحضارة العربية. لذلك ما نبهت اليه هو فقط ان نتجنب النظرة التقليدية الى الامور وان نكون دائما مستعدين لاعادة النظر في ما ورثنا .. هذا هو الهدف من هذا الكتيّب لأن هذه البداهات.. طبعا اطلعت على الكتاب وتعرفين ان به عددا من البداهات لست اعرف ما هو رد فعل القارئ حولها ولكن بالنسبة لي ليس هناك ترتيب معين في الافضلية وفي الخطورة كلها ..

لكن يبدو ان ما سميتَها بداهة «الاسلام دين الدولة» تبدو ربما اكثر نقدا اليوم ؟

الاسلام دين الدولة ظاهرة حديثة لم تكن موجودة في الاسلام قبل ظهور الاخوان المسلمين بصفة خاصة ولهذا ليست مثلا كتعدد الزوجات ولا كتحريم الخمر ولا كالقضايا المتعلقة بالارث الخ.. ولهذه جذور في التاريخ اعمق بكثير من ربط الدين بالدولة مثلما بيّن ابن خلدون بوضوح منذ قيام الخلافة الاموية حيث اصبح الحكم ملكا دنيويا والمسلمون عاشوا في هذا النطاق اي لم يكونوا يعتبرون ان للخليفة العباسي مثلا سلطة تشريعية بينما كان هذا معترفا به لعمر بن الخطاب مثلا .

اعتمدت في دراساتك حول الإسلام والبنى الفكرية، المنهج التاريخي والسياقي وخلصت إلى نتائج أربكت الثوابت والسواكن وهذا ما أثار حفيظة من يدعون التجديد في الفكر الديني أو من انخرط في هوس هووي. وها أنت تواصل زعزعة البديهيات ووضعها موضع مساءلة. هل ترى في هذا الكتاب تتويجا لمسار نقدي كامل ؟

لي احتراز على ما يتعلق بالتجديد انا لم ادع يوما إلى تجديد الفكر الإسلامي لان الفكر الإسلامي فيه ما هو قديم زمنيا تاريخيا ولكنه مازال صالحا وفيه ما ينبغي تركه. أنا أتحدث دائما عن تحديث الفكر الإسلامي يعني ان يكون هذا الفكر متناغما مع مقتضيات الحداثة من هذه المقتضيات الإقرار بالحرية .. وهذا لم يكن معترفا به في القديم لا عند المسلمين ولا عند غيرهم وهو من منتجات الحداثة أي الظاهرة الحضارية التي نشأت في الغرب وأصبحت الآن كونية. أنا الحّ على مفهوم التحديث لأنني أؤمن بأن عملية التحديث ضرورية وليس منها مفرّ رغم ان الذين انتشر بينهم هذا التحديث ليسوا دائما أوفياء للقيم التي كانت أساس هذه الحضارة.. هذا واضح اليوم ونحن نعيش هذه المفارقة الكبرى بين بلاد حقوق الانسان التي اشتعلت بها الثورة الفرنسية اواخر القرن 18 وممارسة الطبقة السياسية بصفة عامة في تلك البلاد وذلك لأن هناك قوة رأسمالية بالخصوص أصبحت تتحكم في الخيارات السياسية وهذا لم يكن دائما موجودا بهذه الحدة. فالقوى المالية لا تؤمن لا بالحدود ولا بالأديان ولا باللغات وهي متضامنة في ما بينها.. مثال على ذلك في الحرب العالمية الثانية قوات الحلفاء ألقت القنابل على المدن الألمانية التي هي تحت حكم هتلر وكانت معامل كروب الشهيرة معامل للصناعة الحربية يستفيد منها هتلر ورغم ذلك فان الطائرات الأمريكية لم تلق عليها قنبلة واحدة لأن رأس المال الامريكي مساهم في شركة كروب... هذا انموذج لكن ما نعيشه اليوم هو هذا التضامن الكبير في الغرب بين رؤوس الأموال الذي يهمّش الحياة السياسة والفكرية ويصل به الامر الى مستوى لم يكن متوقعا البتة كأن يتم منع قنوات تلفزية معادية وهذا ما حصل بداية الحرب بين روسيا وأوكرانيا حيث أصبحت القنوات الروسية ممنوعة في بعض بلدان اوروبا الغربية .. الأمر لم يكن متوقعا أي ليس فيه اعتراف بقيمة الفرد وبأنه يستطيع ان يميّز بنفسه .. رأس المال هو الذي اصبح يتحكم. اذن بقطع النظر عن مدى وفاء الذين أتوا بهذه القيم ولا يحترمونها نؤمن نحن بهذه القيم الحديثة. وفي اعتقادي ان ما يحصل في غزة هو من باب هذا الايمان بهذه القيم الحديثة أي أن الفلسطينيين لم يخنعوا ولم يقبلوا بالامر الواقع وكأنه قدر محتوم وإنما يناضلون في سبيل هذه القيمة الاساسية التي هي الحرية لهذا قلت ان لي احترازا على التجديد وأفضل التحديث..

اذن هل ترى في هذا الكتاب تتويجا لمسار نقدي كامل ؟

تتويج.. لا.. انا عنونت الفصول التي نشرت في مناسبات مختلفة بـ«لبنات» عمدا باعتبار ان هذه المساهمات النقدية أو غير نقدية تحليلية تاريخية الخ انما هي مساهمات متواضعة ولذلك فإن التتويج لا يمكن ان يأتي من شخص واحد. ويمكن الحديث عن تتويج إذا تغير الفكر الاسلامي المعاصر انذاك يمكن ان نتحدث عما يمكن ان يتوّج هذه «اللبنات» او المحاولات او هذه الجهود التي أبذلها انا

وغيري لتحديث الفكر الاسلامي...

هذه الجرأة في كتابك «البداهات الزائفة» يجب أن تصحبها جرأة في نقد الراهن بعيدا عن الشعبوية وما فيها من مزايدات. أعتقد أنك لم تركب مركب عدد غير قليل من المثقفين في الدفاع عن القضية الفلسطينية انخراطا منهم في منطق دفاعي يستبطنون فيه مسايرة العامة تملقا ومسايرة. ما رأيك؟

في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية بينت في مداخلة بجامعة منوبة سبتمبر 2022 التحولات التي حصلت في الفكر اليهودي والتي أدت إلى انتشار الصهيونية وهذا الفكر الصهيوني او هذه الايديولوجيا الصهيونية لم تكن موجودة في القديم عند اتباع الدين اليهودي وهي ايديولوجيا زيفت التاريخ في ما يتعلق بالعلاقة بالأرض وخاصة بأرض فلسطين . ثمة محاولات في الشرق وفي الغرب لإعادة النظر في هذا التاريخ القديم وأذكر محاولات المؤرخ الإسرائيلي شلومو ساند الذي كتب كتابين هامين هما «كيف اختُرِع الشعب اليهودي؟» و«كيف اختُرِعت أرض إسرائيل؟». إذن إسرائيل هي اختراع وليس له أي أساس تاريخي وحتى في العالم العربي الإسلامي ثمة محاولات لإعادة النظر في ما هو متداول انطلاقا من النصوص القديمة، بغض النظر عن قيمة هذه المحاولات انا لا أحكم على أنها صحيحة أو خاطئة .. وأذكر على سبيل المثال أطروحة المؤرخ اللبناني كمال الصليبي «التوراة جاءت من جزيرة العرب» وهناك عدة كتب للباحث العراقي الفاضل الربيعي الذي يحسن العبرية واللغات القديمة وقام ببحوث في اليمن. كتب «اسرائيل المتخيَّلة» وعدة كتب اخرى لاعادة النظر في هذه الموضوع. ولهذا الباحث الذي لديه هاجس نقدي لا يسلّم بكل ما يقرأ فقط. وأن ينطبق موقفه على القديم والحديث وعلى تراثه وتراث الاخرين بنفس الدرجة ليس من باب تفضيل السنة على الشيعة او الشيعة على الخوارج وما الى ذلك.... انا لا أؤمن بالنسبية المطلقة في هذه الامور التي تنحدر الى نسبوية ولهذا فالموقف من القضية الفلسطينية انما ينطلق من قراءة لهذا الواقع الذي نعيش وانا دافعت في تلك المداخلة عن فكرة اعرف ان كثيرين لا يشاطرونها ولكني اعتقد انها صحيحة وهي ان من بين اسباب تأييد الغرب الكيان الصهيوني أن الغربيين ورثوا النظرة المسيحية التي تعتبر ان اليهود قاتِلو الرب .. هم قتلوا اليسوع لذلك اطردهم المسيحيون من الاندلس وقاموا تجاههم بأعمال وحشية عبر التاريخ سواء في الحرب العالمية الثانية او في اوروبا الشرقية بولونيا وبلاروسيا وغيرهما في ما يعرف بـ«البوغروم» الذي تناوله الأدب التاريخي وهذه حقائق السبب فيها اذن هو هذا الكره لليهود. ورغم ابتعاد الغربيين المحتكمين عن الايمان المسيحي التقليدي فإن لديهم رواسب في العقلية الغربية ولذلك فليذهب اليهود الى فلسطين او الى الجحيم المهم ألاّ يبقوا بيننا.. هذه قراءتي لبعد من ابعاد القضية التي يعيشها الفلسطينيون اليوم والى جانب القضايا الجغراسياسية ومصلحة بريطانيا اولا ثم ما ورثته بريطانيا وما ورثته عنها الولايات المتحدة. ولعلك سمعت بايدن يقول «لو لم تكن اسرائيل موجودة لأوجدناها» وهذا يدل على ان وظيفتها بالاساس هي حماية مصالح امريكا مثلما يتصورها الامريكيون ولكن ما هو جدير بالاهتمام هو التغير الذي يحصل تحت اعيننا اليوم في الراي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية. بدأ ذلك باحتشام في المركبات الجامعية الامريكية وكان اليهود الصهاينة واتباعهم متخوفين من هذا الانحياز للفلسطينيين والابتعاد عن الايديولوجيا الصهيونية التي كانت سائدة في المركبات الجامعية الامريكية في هافارد وغيرها باعتبار أن خرّيجي هذه الجامعات هم ساسة الغد .. الان اصبحت اغلبية الشعب الامريكي حسب استطلاعات الرأي مناصرة للقضية الفلسطينية وما حدث مؤخرا من محاولة اقتحام الحزب الديمقراطي الذي هو تقليديا يؤيد اسرائيل اكبر دليل على هذا التغيير

في مواقف ألفة يوسف براءة لا يُسمح بها للباحث واحترز على كثير ممّا تقول وتكتب

عدد من طلبتي يمارسون الفكر النقدي بنجاح كلٌ في اختصاصه وما تكتبه ناجية الوريمّي منسجم تماما مع مواقفي

من كانوا مواظبين على صلاة الجمعة أصبحوا لا يريدون الذهاب لأدائها نظرا الى مستوى الخطب التي تلقى بالجوامع

من اسباب تأييد الغرب الكيان الصهيوني أن الغربيين ورثوا النظرة المسيحية التي تعتبر ان اليهود هم قاتِلو الر

والفضل في ذلك يعود الى وسائل الاتصال الجماهيري لأن الاعلام في الغرب كله في قبضة رؤوس الاموال اذن هو متضامن مع اسرائيل مثلما هو متضامن ضد مصالح ما يسمى بالجنوب اليوم.. ما أراه انا هو أنّ وظيفتي ووظيفة زملائي ليس الصياح والانسياق وراء شعارات ايديولوجية وشعبوية المهم هو النظر في عمق هذه الاحداث..

ما رأيك في مواقف بعض المثقفين التي بدت للبعض «مستفزة» ولآخرين «صادمة» مما يحدث في غزة على غرار تصريح حمّادي الرديسي لأحدى الاذاعات الفرنسية؟

أعتقد أن حمادي الرديسي مظلوم لأنني اطلعت على استجوابه في نسخته الأصلية وليس فيه ما نسب إليه. اعتقد ان موقف حمادي الرديسي كان متوازنا.. ربما ضخّم أبعادا من السلوك لا تستحق ذلك مثل مسألة القرب الجغرافي من سفارة فرنسا بتونس .. هو موجود ولكنه ليس الاساس.. انا لا اوافقه في كل ما قال ولكنّي اعتقد انه ظُلِم في الحملة التي شنت عليه.. هو لم يؤيد البتة الموقف الاسرائيلي ولم يدعُ الى اعتباره متواطئا مع الموقف الصهيوني وهذا هو الاساس..

وماذا عن مواقف الفة يوسف التي بدت للبعض مستفزة بداية عملية «طوفان الاقصى»؟

لم اطلع على موقف الفة يوسف في الحقيقة ولكن مبدئيا احترز على كثير مما تقول وتكتب ألفة يوسف. وكتابها «ناقصات عقل ودين» كاف في الاستدلال على هذا الموقف الذي ليس له اساس عقلاني البتة..

وكتابها الأخير «حبيبات الله»؟

ربما هو حب الظهور الذي يطغى على ألفة بصفة لاشعورية فتستفز بمثل هذه المواقف.. لا محالة للفكر دائما تأثير لكن الواقع هو أكثر صلابة من المواقف الفكرية.

وكيف تنظر لمسارها الفكري في السنوات الأخيرة ولهذا الانغماس في الجانب الروحاني؟

لا أستغربه .. لا يعني ذلك انني اوافقها ولكن ارى في مواقفها نوعا من البراءة التي لا يُسمح بها للباحث.. لنكن متسامحين في هذه النقطة. صحيح أن ألفة تلميذتي ولكنّي أؤمن بمسؤولية الباحث او الباحثة مهما كان التأثير الذي يلقاه او تلقاه من زيد او من عمرو. ينبغي ان يكون هو المسؤول الاول والاخير.. وقد كنت دائما وابدا أؤكد لطلبتي على الحرية في الرأي وهم ليسوا مطالبين بأن يكرّروا ما قلت أو حتى يساندوه..

على من تطمئن أكثر اليوم من طلبتك في ما يتعلق بالمسارين الاكاديمي والبحثي؟

أنا أسجّل بكل ارتياح أن عددا من طلبتي يمارسون هذا الفكر النقدي بنجاح كل في اختصاصه .. ما تكتبه ناجية الوريمي مثلا وليست الوحيدة و منسجم تماما مع مواقفي وامتداد لها في الحقيقة . كذلك ما كتبه المنصف بن عبد الجليل ومحمد حمزة وحافظ قويعة وبسام الجمل ونايلة السليني وآمال قرامي الخ.. كل في ميدانه يبذل جهودا محمودة ولا أظن انه ينبغي ترتيبهم... أذكّرك بما قلت في البداية عندما طرحت عليّ سؤال التتويج. قلت لك انها عملية طويلة الامد ليست مرتبطة بشخص أو بأشخاص وإنما يتم تتويجها عندما تتغير الأفكار في المجتمع وتغيير الذهنية المجتمعية أصعب بكثير من تغيير المادة. تستطيع ان تبني بسرعة بناية شاهقة او جسرا او طريقا او معملا ولكن أن تغير ذهنيات مجتمعات كاملة فهذا يتطلب وقتا..

هل تعتقد وأنت الذي تتلمذ على يديك جيل رفع معاول النقد لتراث يمجده البعض حد التقديس أن هزيمتنا في جزء كبير هزيمة حضارية تعود إلى سوء ترتيب البيت الإسلامي؟

لنكن واضحين حضارتنا الاسلامية انتهت تاريخيا وعوضتها حضارة اخرى تسمى «الحداثة» نشأت في الغرب وأصبحت الان كونية.. يتحدثون الان عن «ما بعد الحداثة» وأنا لا أؤمن بها. الحضارة الاسلامية هي حضارة تاريخية انتهت بصفتها حضارة. لا يعني ذلك ان الفكر الذي أنتجته لم يعد صالحا. هي منجزات حضارية أثّرت في الحضارة التي أتت بعدها مثلما هو الشأن من استِفادة الحضارة الاسلامية من الحضارات التي سبقتها كالحضارات الاشورية والفرعونية واليونانية والرومانية الخ...

طيّب كيف نسترد هذا الزخم الحضاري؟

أعتقد أن واجبنا هو الاسهام الايجابي في

الحضارة الحديثة المبنية على العلم والتقنية وهذه الحضارة ليست كلها جيدة ومفيدة للبشرية وانما فيها ما هو خطر على الوجود البشري كله. فإذا كنا نسهم فيه فإذّاك نستطيع ان نؤثر ولكننا الان على هامشها. كانت للصين حضارة عريقة والان لم تسترد حضارتها القديمة وانما انخرطت في الحداثة منذ ثمانينات القرن الماضي واليوم اصبحت تسهم في هذه الحداثة بطريقتها الخاصة لأنها تشارك فيها. أما اذا كنت على الهامش فلن تستطيع.. كم عدد براءات الاختراع الذي يسجلها العرب؟ كم عدد البراءات التي كان يسجلها الصينيون قبل الثمانينات ويسجلونها اليوم؟ هذه هي الحضارة الحديثة.. الان رغم مقاطعة الولايات المتحدة لشركات الهواتف المحمولة الصينية فإن الصين تفوّقت في بعض النواحي على التكنولوجيا الغربية..

قد يشكّل قولك بانتهاء الحضارة الاسلامية صدمة لدى البعض من العرب...

ربّما ولكن هذا رأيي وألحّ من ناحية اخرى على أن تجاوز الحضارة الحديثة للحضارة الاسلامية لا يعني أنها عديمة التأثير. السلبي والايجابي موجودان الى اليوم و»البداهات الزائفة» التي ذكرتُ هي من مخلفات الجوانب السلبية في هذه الحضارة لكن فيها أيضا منجزات مادية ومعنوية ستبقى خالدة لا يمكن أن ننكرها لهذا لا بد من التمييز بين الحضارة بما هي كل شامل وبين ما هي عناصر بعضها مأخوذ مما قبلها وبعضها ما أنتجته هي وبعضها ما سيواصل الحياة في أية حضارة أخرى تأتي بعدها. فعندما نتحدث عن الحضارة بهذه الطريقة هي مجمل الانجازات الفكرية والمادية والمعنوية ولا نأخذ جانبا واحدا منها... شخصيا أوافق على أن ثمة انحطاط أخلاقي في هذه الحضارة المادية المعاصرة.

كان سؤالك – الهاجس والخيط الناظم لبحثك: ما هو الإسلام (كتاب الإسلام والحداثة ص 12) والكيفية التي يؤول بها المسلم القيم الدينية والنصوص المعبرة عن تلك القيم على ضوء وطأة الحداثة ... فما مدى تطور الخطاب الإسلامي في مجالات العقيدة والتفسير والحديث والفقه ؟

الواقع المعيش يتطور وربما هذا التطور غير معترف به لكنه موجود وهي سنة الحياة. من مظاهر التطور في الفكر وفي الممارسة اليومية بالمجتمع أن كثيرين من كانوا مواظبين على صلاة الجمعة أصبحوا لا يريدون الذهاب لأدائها نظرا الى مستوى الخطب التي تلقى بالجوامع .. ثمة تطور ولكنه غير ملحوظ دائما وغير معترف به. رسميا متى يظهر؟ عندما يتكرّس في نصوص قانونية في ما يتعلق مثلا بمسألة الإرث.. حين يصدر قانون يكرّس هذا التغيّر يمكن ان يلاحَظ ويصبح مُعترَف به ...

ما هي المشاكل التي تطرحها الحداثة على الضمير الإسلامي باعتباره شرطا لمخرجات العديد من المسلّمات ومواجهة مجموعة من التحديات ؟

كل ما يغادر النظم الدينية التي يؤمن بها الناس اليوم في الاسلام وفي غيره من الاديان ظهر في ظرف تاريخي سابق للحداثة. ومن الطبيعي ان تجد هذه النظم صعوبة في التأقلم مع قيم جديدة تكمن في ان يجد المؤمن بتلك الاديان مسلكا للتوفيق بين جوهر الدين والايمان الذي يعتقده ومقتضيات المجتمع الحديث.. هذه هي الصعوبة وهي ليست إسلامية فقط وانما يهودية ومسيحية وبوذية وهي موجودة بالاديان التقليدية والكبرى بصفة عامة .. وقد ظهرت في زمن اخر مخالف في تصوره للكون وفي نظرته الى الحياة وفي المعطيات المتوفرة لديه عن هذه الحياة ... في هذا السياق بالذات قمت هذه السنة بترجمة كتاب من تأليف الدكتور رفيق بو خريص بعنوان «الحياة والديناميكا الحرارية». ترجمته لأن علماء الكلام في القديم كانوا يخصصون جزءا وافرا من مؤلفاتهم لما يسمى «دقيق الكلام» اضافة الى «جليل الكلام» الذي يتعلق بالتوحيد والنبوّة ومسائل اخرى.. بينما يتعلق «دقيق الكلام» بالحركة والسكون والقوانين الطبيعية وهم كانوا

> إسرائيل اختراع ليس له أي أساس تاريخي
>
> الخطر الذي كان يمثله الاسلام السياسي انتهى
>
> حمادي الرديسي مظلوم لأنني اطلعت على استجوابه وليس فيه ما نسب إليه
>
> وظيفتي ووظيفة زملائي ليس الصياح والانسياق وراء شعارات ايديولوجية وشعبوية المهم هو النظر في عمق هذه الاحداث

يوظفونه لفائدة جليل الكلام. ما حصل هو ان المعلومات التي كانت موجودة في دقيق الكلام عند المسلمين لم تعد صالحة وتجاوزها العلم الحديث . تجاوزتها الديناميكا الحرارية والنظريات النسبية وكل النظريات العلمية الحديثة. إذن كيف يمكن توظيف هذه المعرفة العلمية الحديثة ايمانيا واعتقاديا؟ وكتاب الطبيب رفيق بوخريص في نظري هو دعوة الى التفكير في هذه القضية.

ونحن نتحدّث عن النهايات، نهاية الحضارة ونهاية بعض الايديولوجيات... هل انتهى الإسلام السياسي ؟

الإسلام السياسي مرتبط بالسياسة الدولية أكثر مما هو مرتبط بالأوضاع الداخلية والآن سيبقى في تصوري ظاهرة هامشية في المجتمعات الاسلامية هامشية جدا ولا تمثل المجتمع.. الخطر الذي كان يمثله الاسلام السياسي انتهى لأنه كان في فترة معينة يحتل وسط الميدان... اليوم هو على الهامش ... هو ظاهرة هامشية مثل كل الظواهر الهامشية في المجتمع سواء كانت يمينية او يسارية . فأيّ مجتمع يحتاج الى من هو تقليدي يؤمن بضرورة التقليد ويحتاج أيضا الى من يكفر في كل ما هو موجود ويريد تجديد كل شيء .. هذه الظاهرة لم تعد موجودة في البلدان الاسلامية كلها ولا تحتل وسط الميدان الا بالقوة مثلما هو الشأن بإيران .

ثمة من يرى أن نهاية الاسلام السياسي في تونس «مؤقتة» بسبب سجن الغنوشي فحسب؟

عندما وقف الغنوشي وهو رئيس البرلمان ينتظر النصرة من اتباعه ولم يأتوا كان ذلك كافيا للدلالة على ان التأثير الذي كان لهذه الحركة هو في الحقيقة تأثير ظاهري وليس عميقا في المجتمع التونسي .. عبّرت عنه مظاهرات «اعتصام الرحيل ببارادو» صيف 2013 والتعداد الذي قامت به الاقمار الصناعية عندما رصت 700 ألف تونسي كاف في اعتقادي. اثر ذلك مباشرة حاولت النهضة ان تجيّش انصارها فسخّرت الحافلات وكل الوسائل للتجمع في القصبة ورغم كل الامكانات التي ضُخّت في ذلك لم يجتمع سوى 50 ألفا. هذا يدل على الوزن الحقيقي للحركة. منذ البداية قلت انها ستبقى هامشية وقد كانت كذلك قبل ان يضخّمها الاعلام والسياسة.. لم أغير موقفي الان لأن الحركة مشلولة ولكني كنت أعرف منذ البداية انها لا تمثل الشعب التونسي..

كيف تنظر الى الوضع السياسي الحالي بتونس؟

يتميّز بحكم فردي. وقد عبّرت عن ذلك سابقا وقلت إن الحكم الفردي يؤدي دائما الى مأزق أو إلى انفجار. أخشى ذلك على كل حال. سواء كان زيد او عمرو على رأس هذا الحكم الفردي الذي يمارسه لا يمكن أن ينجح على المدى المتوسط لا على المدى الطويل فقط. ربما ينجح اليوم لكن لا يمكن ان ينجح على المدى المتوسط او البعيد.

انفجار؟! كيف؟

لا أحد يعرف ولا أحد يمكنه التكهّن بطريقة التغيير.. ربما مثلما حصل بالغابون.. لكن لا يمكن أن يستمر الحكم الفردي في بلاد تضم 12 مليون شخص. لنكن صرحاء: ما هي تمثيلية البرلمان اليوم عندما يشارك في الانتخابات 8 أو 10 أو حتى 20 % ؟ ليست لديه تمثيلية. وما قيمة دستور يصادق عليه 13 % ؟ هذه أيضا من الامور البديهية (...).

ونحن موجودان بفضاء بيت الحكمة لا يمكنني إجراء هذا الحوار دون سؤالك عن شؤون البيت وإدارتها الجديدة من بعدك.. ثمة لوم في كواليس المجْمَع لشخصك بسبب تشجيعك أو ربما مساندتك القوية لترشح رئيس بيت الحكمة الحالي؟

الذين ينظرون إلى المسألة بهذه الطريقة لا يعرفون حقيقة ما يجري لأن الرئيس الحالي فاز طبقا لانتخابات.. فعندما كنت رئيس البيت كنت محايدا ونظمت تلك الانتخابات ونتائجها افرزت في ما بعد نجاح شخص وإخفاق آخر.. أين مسؤوليتي هنا؟ هي مسؤولية جماعية وليست مسؤوليتي وحدي..

يتحدثون أيضا عن قضايا مرفوعة بالمحكمة وعن سوء تسيير إداري وعن غياب رؤية علمية وفكرية واضحة وعن مستوى ندوات لا يليق بقيمة البيت وبتاريخه... ما تعليقك؟

يوم أتممت مهمتي على رأس بيت الحكمة قررت الا أتدخل في تسييرها لأن هذه مسؤولية الرئيس ومسؤولية الهياكل العلمية الموجودة في بيت الحكمة. اذا كان لي موقف فإنني أعبر عنه في الجلسة العامة. ولكن بالتجربة اعرف جيدا ان التسيير ليس سهلا . والمسؤول دائما يكون عرضة للنقد. وهذا النقد قد يكون احيانا صحيحا وقد يكون غير صحيح .

تراث غير مادي

الزاوية الصمادحية بباجة وإشكاليّة التأسيس: قراءة في التاريخ الدفين

د. زهير بن يوسف (جامعة تونس)

تصدير

«وكان لأولاد الصمادحي صاغيةٌ للبايات كثيرة، وحُرمة عظيمة
وزاويتُهم مشهورة في مملكة إفريقية»
محمد الصغيّر بن يوسف، التكميل المشفي للغليل، ج2، ص37.

***

تحتل الزوايا موقعا متميزا في المخيال الإسلامي وذلك بحسب المكانة التي تقتلعها داخل الأفق الذهني للمجموعة وبحسب الأدوار والوظائف التي تضطلع بها في حياتها اليومية، وهي مكانة تجد مبرراتها في التعبير عمّا يهفو إليه لاوعي الذات الإنسانية المنسحقة والمثقلة بالإحباطات من ارتجاء للخلاص وتطلع إلى تجاوز ما يعتمل في دواخله من مشاعر القصور والعجز والإحساس «بالدونية» باتجاه تجديد الفعل في الواقع الموضوعي وتحقيق تفوق مرجوّ فيه، وهذا ما تستقطبه في سماء المُثل وتكرسه على أرض الواقع شخصية الوليّ بما تشهره من نماذج القدوة القيمية والسلوكية، وهذا ما ينطبق على مؤسسة الزاوية كما عرفتها البلاد التونسية خلال الفترة الحديثة وعلى النماذج الولائية التي أنتجتها على غرار الزاوية التي لفتت انتباهنا بالأدوار التي اضطلعت بها ولاسيما في القرنين 17 و18 وشدّتنا بسِيَرِ الأعلام الذين ارتبطت أسماؤهم بها، وهي الزاوية الصّمادحية بمدينة باجة، وقد كان ذلك مع قدوم القطب الصوفي الشيخ علي الصمادحي(ت بعد 1662/1072) «الوليّ المُكاشف والمُنجد المُساعف»، من المغرب الأقصى، إمّا بصورة فردية وإمّا بمعية دائرة محددة من عائلته الموسعة على رأسها والده وأعمامه وبنو عمومته واستقراره بباجة مع بدايات العهد التركي، حيث سينجح في تأسيس زاوية وسُلالة ولائية

الزاوية الصمادحية الكبرى، رسم مائي

ستكون لها الأدوار الأولى في الحياة الرّوحية والزّمنية بالمدينة وناحيتها في القرنين 17 و18، أشار إلى ذلك تباعا كل من ابن أبي لُحية القفصي(ت بعد1647) في «نور الأرماش»، والوزير السرّاج(ت1737)في»الحلل السندسية» والصغير بن يوسف(ت1772) في»المَشرع المُلكي»و»التكميل المشفي للغليل»وابن أبي الضياف (ت1874) في «الإتحاف».

زاويتان في زاوية

الزاوية الصّمادحية زاويتان تقعان في نفس الجوار، تعرف أولاهما، وهي أكبرهما مساحة وأكثرهما أوقافا بزاوية سيدي بابا علي أو باب علي، وهي المعروفة في المصادر بالزاوية الصمادحية الكبرى أو «زاوية الصمادحي الكبيرة» أو أيضا «زاوية الصمادحية» أو «زاوية الشيخ»، وتعرف ثانيتهما بزاوية سيدي بلقاسم، او زاوية سيدي قاسم أو أيضا زاوية أبي الفضل قاسم الصمادحي، وهي وإن كانت تتمتع بنفس المظهر المعماري جلالا وضخامة إلا أنها تنتصب على مساحة أصغر بالقياس إلى مساحة الزاوية الأمّ وملحقاتها، ولذلك تعرف أيضا بالزاوية الصمادحية الصغرى .

تقع الزاويتان في سرّة المدينة العتيقة جنوبي المكمدة، أحد نطاقات الحيّز العمراني القديم بالبلد، 60 مترا غربي الرّكن الشمالي الغربي للجامع الكبير بين «باب العين» و»باب المدينة» ويعرف أيضا «بباب السوق» و»باب سويقة»، وتحديدا فيما كان يُعرف بـ «حومة الصمادحية»، ولا يفصل بين المبنيين سوى نهج واحد يتردد بين الاتساع والضّيق يحمل بدوره إسم علم آخر من أعلام هذه الأسرة المرابطية العريقة في انتسابها إلى الأرستقراطية الدينية المحلية هو أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم الصمادحي(ت بعد 1198/ -1783 1784)، « الشيخ العالم» كما تصفه رُسوم الأوقاف والحُجج العادلة، وقد كان فقيها عالما وشيخا مدرّسا، وكان في الوقت نفسه مباشرا لخطة الإفتاء بالبلد، علما أنّ هذه الأسرة المرابطية لن تُعطِي شخصيات ولائية فحسب وإنما ستعطي أيضا شخصيات علمية كان منها الفقهاء والمفتون وشيوخ الدرس والموثّقون ليس فقط خلال العهد الحسيني الأول وإنما منذ فترة البايات المراديين وصولا إلى أواسط القرن 19، فمن جملة 12 فقيها مكلفا بمدينة باجة سنة -1855 1856 نجد 5 شيوخ درس من عائلة الصّمادحي هم محمد بن العلاء وساسي البُكري وأحمد البُكري وحمّودة بن عبد السلام الصّمادحي ومحمد بن عبد الفتاح الصّمادحي.

الزاوية الصمادحية الكبرى وإشكالية التأسيس

يشير تقرير للمراقب المدني بباجة مؤرخ بسنة 1896 إلى وجود 3 زوايا للطريقة العيسوية بباجة، تُعرف أهمّها بـ»الزاوية الصماحية» أو «زاوية الصمادحية» في إشارة منه إلى وجود زاويتين أخريين للطريقة ذاتها بنفس المدينة هما زاوية الحواريين وتعرف أيضا باسم سيدي بنعيسى الفوقاني وزاوية أبي نوّالة نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد النوّالي وتعرف بدورها باسم سيدي بنعيسى اللوطاني، مضيفا أنّ تاريخ تأسيس الزاوية الصمادحية يعود إلى سنة 1793 على يد الشيخ

صحن زاوية بابا علي الصمادحي، 18 أفريل 1934، تأسيس الجامعة الدستورية،جلوسا من اليمين إلى اليسار: مصطفى العرابي، الطاهر صفر، الحبيب بورقيبة، محمود الكافي، محمد بن مصطفى بن يوسف،وقوفا من اليمين إلى اليسار في الصف الأول الشريف الرباعي، خميس البلاقي، مصطفى بن يوسف، الطاهر الخبثاني، عبد الحفيظ المداني وعبد الله بن يوسف.

تراث غير مادي

سيدي علي الصمادحي، أصيل قبيلة مصمودة بالمغرب الأقصى، الذي قد يكون قدم في التاريخ المشار إليه إلى مدينة باجة.

وإذا كان الاتفاق حاصلا أو شبه حاصل، اعتمادا على المصادر الشفوية والذاكرة المشتركة لأحفاد الوليّ وأهالي باجة، حسب ما دوّنها عليهم في حدود سنة 1895 محمد الأصرم وفيكتور سارّ Victor Serres في بعض هوامش ترجمتهما للمَشرع المُلكي، على هويّة المؤسس وهو أبو الحسن علي بن محمد الصمادحي (ت بعد 1662) الأمر الذي تشهد له به ضمنيا، كما سبق أن أسلفنا، مصادر القرنين 17 و 18، فإنّ الخطأ بيّن في تاريخ التأسيس، ويبدو أنّ المترجمين قد تفطنا إلى ذلك في الإحالة المومأ إليها سابقا، وهي إحالة اعتمدت حرفيا ما ورد في تقرير المراقب المدني دون تاريخ التأسيس استنادا إلى نصّ «المشرع المُلكي» نفسه، وهو نصّ وإن تمّ الفراغ منه أساسا سنة 1763/1177ـ1764 وتمت مراجعته نهائيا في ذي الحجة 1184/ أفريل 1772، فإنه تحدّث عن 3 شخصيات تشترك في حمل إسم علي الصمادحي هم:

*أبو الحسن علي بن محمد الصمادحي (ت بعد 1662/1072)،

* وأبو الحسن علي بن علي الصمادحي (ت1117/ 1705)،

* وأبو الحسن علي بن حمودة الصمادحي(ت1156/ 1746؟)،

ثبت وجودهم واقعيا قبل تاريخ 1793 المقترح ممّا يؤكّد خطأ هذا التاريخ وبالنتيجة بطلانه.

على أنّ أهمية هذين المرجعين تبقى قائمة في تفرّدهما، علاوة على رسوم أوقاف الزاوية الصمادحية التي يرتبط إسمها باسم الشيخ علي الصمادحي الأب، وهو علي بن محمد الصّمادحي، بالتنصيص على أنّ الشيخ بابا علي هو المؤسس للزاوية الصمادحية دونا عن غيره، وآية ذلك الفرمانات العديدة والبريات والأوامر العليّة التي كانت بيد مقدّم الزاوية في حدود سنة 1905 الشيخ محمد بن محمود بن محمد بن علي بن أبي العلاء الصمادحي، وهو من أحفاد الوليّ أبي الفضل قاسم الصمادحي، وكلها صادرة من السلاطين العثمانيين

زاوية سيدي باب علي الصمادحي، الواجهة الرئيسية، 1956.

باسم « القطب « الشيخ علي الصمادحي.

فالزاوية الصمادحية الكبرى إذن من مآثر القرن 17 أو الربع الأخير من القرن 16 إذ يعود إنشاؤها إلى ما قبل1622/1031، وهي سنة وفاة أبي الغيث القشاش الذي عاصر»منبع المعارف ودوحة العوارف» الشيخ بابا علي الصّمادحي مؤسس هذه الزاوية التي يبدو أنها كانت زاوية طُرُقية، تشير وثائق متأخرة إلى أنها كانت لأتباع الطريقة العيسوية، واتصل به، وقد يكون، بحسب ما يؤكّده مؤلّف « نور الأرماش»، أخذ عنه «علوم القوم» في رحابها بتاريخ، على افتراض صحة هذا التتلمذ وثبوته لإنكار الشيخ القشاش له بشدّة، غير محدد ولكنه يعود على الأرجح إلى فترة مبكّرة من حياة وليّ الحاضرة قد تكون متزامنة مع بدايات حلول العثمانيين بالبلاد التونسية مما يعود باحتمالات التأسيس إلى أواخر القرن 16.

هذا على افتراض التسليم بكون بابا علي الصمادحي الذي انتهت هذه الزاوية إلى الارتباط باسمه إلى يومنا هذا وارتباط رصيد هيبتها بالأساس بشخصه هو الشيخ المؤسس وليس فقط واحدا من كبار الشيوخ بها، إن لم يكن أشهر شيوخها وأذيعهم صيتا، وهي فرضية تستمدّ مشروعيتها من نصّ الفرمان أو «البرات» التي كان السلطان مراد 1640-1623) IV) قد أرسلها إلى « قاضي تونس وإلى داي تونس، وهو آنذاك يوسف داي(1637-1610)، وإلى سائر كبار الشيوخ بها « بتاريخ أوائل رمضان 1034/ جوان 1625 حول « ضبط أمور الزاوية والتصرّف في شؤونها « على إثر»عرض حال» أو شكوى كان الشيخ علي الصمادحي قد رفعها إلى الباب العالي تبعا لنزاع كان قد شبّ بينه وبين بقية من أسماهم نصّ الفرمان «أولاد الزّاوية» لم يجد له حلاّ لدى قاضي تونس ولا لدى الدّاي، مؤدّاه أنّ « الشيخ علي الصمادحي من أولاد الزاوية وهو المسؤول الوحيد على ضبط أمورها والتصرّف في شؤونها»،

إذ خلافا لما توهم به الشجرة النسبية الشائعة لسلالة الشيخ المرابط أبي الحسن علي الصمادحي من انحدار كل الصمادحيّة بباجة من الوليّ المذكور باعتباره الجدّ الجامع الأوحد المشترك للسلالة برمّتها، بما يعني تطابق التسلسل القرابي في هذه الأسرة المرابطية مع تسلسلها الولائي، وهو ما يجد مشروعيته في الصفة الاستحقاقية للذريّة بتمامها وكمالها في الوقف المعروف بوقف علي الصّمادحي المرسّم بدفتر نوازل الأحباس تحت عدد 37، باعتبار أنّ المحبّس هو جدها الأعلى الجامع المشترك،

تشير بعض رسوم الأوقاف التي تعود إلى القرن 17 ومنها بالتحديد رسم تحبيس «سانية باجة المعروفة ببباردو»، وهو من أحباس المراديين، مؤرخ بأواخر ذي الحجة 1072/14 أوت 1662 في سياق التنصيص على استقرار ملكية أحواز العقار المذكور و»ما اشتمل عليه من البُرج الجديد البناء والبئر الذي به» «لمراد باي ابن أبي عبد الله محمد باشا صاحب كرسيّ مدينة تونس المأنوسة» أي مراد الثاني، ثالث أمراء البيت المرادي،» بالشراء الصحيح والثمن المندفع» بعضه من ورثة درويش المذكور وبعضه من الأخوين القطب أبي الحسن علي الصمادحي، وأخيه الفقيه الأجلّ أبي عبد الله محمد الصمادحي»،

مما يوقفنا على أنّ:

* الشيخ علي الصمادحي الملقب حصريا بـ»القطب» و»القطب الفرد» مؤسس الزاوية الصمادحية الأولى أو بالأدنى أشهر شيوخها المؤسسين كان على قيد الحياة إلى حدود أواخر ذي الحجة 1072/ 14 أوت 1662 أي أواخر عهد حمودة باشا (1631- 1666)، ثاني أمراد الأسرة المرادية،

* وأنّه كان للشيخ المرابط المذكور في التاريخ نفسه أخا شقيقا هو أبو عبد الله محمد الصمادحي، لم تلحقه الوثيقة الحُبُسية الرسمية مرجع النظر بالصُّلحاء وإنّما بالفقهاء ممّا يشي احتمالا بتوزّع نُخَب السلالة ابتداء بين «الثقافة العامّة» و»الثقافة العالمة»، ومن ثمة بين «علماء الباطن» و»أصحاب الحال المعلوم» وبين «علماء الظاهر» أو «علماء الرّسوم»،

* فضلا عن اتساع الدائرة الأُسرية الأولى للوليّ سيدي بابا علي الصمادحي أفقيا بما يمكن أن يفسّر النّزاعات التي ستشهدها الزاوية حول «ضبط أمورها والتصرّف في شؤونها» وبالتالي الصراع على إدارة ممتلكاتها والتصرف في مداخيلها قبضا وصرفا، وهي مداخيل أوقاف تتكون من ملكيات زراعية شاسعة يصل مجملها بحسب المتدوال الشفوي إلى « ألف ماشية وماشية « أي حوالي 10.010هكتارا، منها 4 ضيعات فلاحية كبرى هي هنشير باجة القديمة وهنشير دوّاس وهنشير قصاع العيد وهنشير الزيادين، وقطع وأجنّة أخرى يتجاوز مجمل مساحتها 560 هكتارا. بدليل:

– النزاع الذي قام بين الشيخ علي الصمادحي نفسه وبين بقية «أولاد الزاوية» أي أبناء الشيخ محمد الصمادحي الأب المفترضين، سنة 1034/1625، وهو نزاع لم يجد له حلا عن طريق قاضي تونس ولا

مجلس ذكر بزاوية أبي الفضل قاسم الصمادحي، 2020.

عن طريق يوسف داي، الحاكم الأعلى للبلاد، مما ألجأ الشيخ بابا علي الصمادحي إلى رفع الأمر إلى السلطان العثماني مراد IV،

– والنزاع المماثل الذي نستشفّه في حدود ربيع الأول 1060/ جوان 1650، في قائم حياة الوليّ المؤسّس نفسه، ليس حول الولاية الدينية للزاوية وإنما حول «النظر في أمورها وتعاطي ريع أوقافها قبضا وصرفا في مصالحها»، بين الشيخ بدر الدين بن الشيخ علي الصمادحي « قدوة الصلحاء السالكين» وبين بقية « أولاد الزاوية» مرّة أخرى، نزاع لم يتمّ الحسم فيه إلا ببرات صادرة مباشرة من الباب العالي تحمل طغراء السلطان محمد 1687–1648) IV) بعد فشل القضاء المحلّي أو مماطلته في فضّ الإشكال.

ويبدو أنّ هذه «المنازعة بين الصمادحية لأجل الزاوية ومن يتولاّها» قد استمرت إلى أواسط القرن18، وهي « خصومات « ستلعب السلطة المركزية، ولاسيما في أوج العهد الباشي، على التناقضات فيها لإضعاف الزاوية وإخضاعها وإلحاق سلطة القرار فيها بسلطة الدولة واحتوائها لمخرجاتها لفائدتها قهرا عن طريق القايد علي بن ساسي(ت بعد1156/ 1746) مثلا لمّا غذّت الصراع حول «التصرّف في المِلك» بين كلّ من الشيخ محمود بن أبي العلاء الصمادحي(ت بعد1754/1168) وإدريس الصمادحي(ت بعد 1746) ابن الشيخ الراحل علي بن حمودة، وقد كان شابا يافعا، وهو النزاع الذي انتهى الاحتكام فيه إلى علي باشا، وفقا لما جاء في « التكميل المشفي للغليل» إلى تسليط عقوبات مالية وأخرى سالبة للحرّية توزّعت بين الطرفين، واستقرّ النزاع في نهاية المطاف على أن يكون « للشيخ علي بن حمودة الصمادحي وسلالته النصف والنصف الآخر للشيخ محمد بن قاسم الصمادحي» والفرع الذي يمثّله.

الزاوية الصمادحية في خضمّ التحوّلات التاريخية

إذا كانت الزاوية الصمادحية الكبرى من مآثر القرن17 أو الربع الأخير من القرن 16 فإنّ الزاوية الصّمادحية الصغرى من مآثر القرن 18، أو الربع الأخير من القرن 17، وهي تحتضن رُفات أبي الفضل قاسم الصّمادحي «الشيخ المعتقـد»(ت 1737/1149 أو1738/1150)، وتعرف إلى اليوم باسمه، تقع 20 مترا جنوبي الزاوية الصّمادحية الكبرى على أعتاب السّاباط الذي يحمل إسم الوليّ نفسه وهو ساباط سيدي قاسم من الحيّز العمراني ذاته.

وإذا كانت المصادر التاريخية، ولا سيما منها «المشرع الملكي» وكتاب»التكميل»، ضنينة بأخبار الزاوية الصمادحية الصغرى أوّل نشأتها أي على امتداد كامل العهد المرادي إلا فيما قلّ وندر، وكأنها لم تضطلع فيما عدا الأدوار الروحية والتربوية والاجتماعية المألوفة لهذه الصنف من المؤسسات الدينية، بأي دور آخر من تلك الأدوار التي ستنخرط فيها بالأساس الزاوية الصمادحية الكبرى انطلاقا من نهايات القرن 17 إبّان احتداد أزمة الصراع على العرش بين أحمد شلبي وأبناء الباي مراد الثاني وخلال النصف الأول من القرن18 مع احتدام الصراع الباشي– الحسيني، وهي:

أدوار «الانقباض عن السلطان» و»التورّع»،

بالتزامن مع تكريس وظيفة الزاوية الملجأ أي الوظيفة الحمائية، وهذا ما سنجد صداه في المصادر التاريخية الكلاسيكية وفي ما بلغنا من النصوص المنقبية، على قلتها، علاوة على وثائق الأرشيف، فإنّ هذا لا يمنع من الإشارة إلى أنّ هذا الدّور، وهو سياسي، ليس غائبا عن تاريخ الزاوية الصمادحية الكبرى ولكن بوجه مُغاير:

هو وجه «الانبساط مع السلطان» في مرحلة ما من مراحل تطور هذه المؤسسة الروحية، تشهد على ذلك البريات أو»الفرمانات الشريفة» أو الأوامر العليّة التي ما تزال بحوزة أحفاد الوليّ المؤسّس وهي صادرة عن «العتبة العالية» أو»الباب العالي» بإسطنبول، من ذلك:

* «الفرمان الهمايوني الشريف» الـصادر عـن السلطان العثماني مراد IV في رمضان 1034/ جوان 1625 إلى الشيخ علي الصمادحي «القطب الفرد»،

* و»الفرمان الهمايوني الشريف» الصادر عن السلطان العثماني محمد IV في ربيع الأول 1060/ مارس1650 إلى الشيخ بدر الدين بن علي الصّمادحي « قُدوة

الشجرة النسبية لسلالة بابا علي الصمادحي إلى حدود 1905.

نص معماري تخليدي واستنتاجات حاسمة

إنّ اكتشافنا لنصّ معماري تخليدي بالزاوية الصمادحية الكبرى سيمكّننا من تسليط أضواء جديدة حاسمة ليس فقط على تاريخ الزاوية وإنّما أيضا على هوية بعض كبار شيوخها وأدوارهم منها أنّ:

– المتدخّل في المعلم بالإنجاز هو بصريح العبارة علي بن إبراهيم بن بركات بن علي الصمادحي المعروف لدى ابن أبي الضياف باسم علي بن علي الصمادحي ولدى الوزير السرّاج باسم أبي الحسن عليوة علي بن أبي الحسن علي الصمادحي وباسم الشيخ عليّة الصمادحي لدى ابن يوسف، وهو شخصية روحية محلية لعبت أدوارا متقدمة في الصراع بين الدايات والبايات المراديين حول السلطة انحازت فيها إلى شرعيّة البيت المرادي، ودفعت في النهاية الضريبة فيها حياتها بالإعدام شنقا تحت صومعة جامع الزيتونة يوم 1 رجب 1117/19 أكتوبر1705، والصبغة الإسامية التي تنصّ عليها تملأ فراغا في الشجرة النسبيّة لأسرة الصمادحي الولائية بباجة ولاسيما التسلسل القرابي فيها في واحد من فروعها الرئيسية، وهو فرع «بن بركات»،

– وأنّ التاريخ الذي تمّت فيه أشغال التجديد هذه، هو أوائل محرّم 1078/ جوان 1667، الفترة التي توافق بداية حكم مراد باي الثاني في إيالة تونس، وتتزامن تقريبا مع تأسيس الباي المذكور لجامع باجة الحنفي ولقصر باردو بها، مما يشي باندراج عملية البناء والتجديد والتشييد في سياق رهانات البايات المراديين على مدينة باجة في إستراتيجيا تدعيم سلطتهم الصاعدة، وهي نفس الإستراتيجيا التي سيراهن عليها بايات العصر الحسني الأول لكسر شوكة النّخب «البلدية « التقليدية المتمركزة بالحاضرة. وتلفت انتباهنا أخيرا باللقب الذي تطلقه على الشيخ المؤسس بابا علي الصمادحي، وهو ليس لقب «الشيخ» وإنما لقب «الفقيه» ممّا يشي بطبيعة التيّار الصوفي الذي تندرج فيه هذه الشخصية الولائية، وهو التصوّف السنّي من ناحية ورافد الأولياء– الفقهاء أو الفقهاء– الأولياء فيه بالتحديد.

فرمان همايوني من العتبة العالية إلى الشيخ علي الصمادحي، 1060 /1650، ارشيف خاص

فرمان همايوني من الباب العالي إلى الشيخ بدر الدين بن علي

فرمان همايوني من الباب العالي إلى الشيخ علي الصمادحي، 1034 /1625، ارشيف خاص

تراث غير مادي

الصلحاء والسّالكين»،

* و»البرات» الصادرة عن «العتبة العالية» بإسطنبول إلي الشيخ علي الصمادحي « قدوة الصلحاء السالكين» بطغراء السلطان العثماني محمد IV أوائل ربيع الأول 1060/ 3 مارس 1650.

فضلا عن دور الوساطة والتحكيم الذي يبدو أنّ الزاوية الصمادحية كانت مؤهّلة للقيام به بين مختلف الفعاليات السياسية والعسكرية منذ وقت مبكّر من تاريخ نشأتها، يعود على الأقل إلى عهد الدايات، والتداخل لدى السلطات، ليس فقط لفائدة المجتمع وإنما أيضا لفائدة أعوان الدولة أنفسهم، ممّا يؤكد المكانة التي نجحت هذه الزاوية في أن تنحتها لنفسها وأهمية رأس المال الرمزي الذي صار شيوخها يتمتّعون به وما يتصل به من نفوذ، ومتانة التحالفات التي انعقدت بين الزاوية والسلطة ومدى تشابك المصالح بين رجال الدولة وكبار ممثلي السلطة الولائية، من ذلك مثلا لجوء مراد كورسو(ت1633)، أول البايات المُعيّنين على رأس المحلّة ومؤسس البيت المرادي، إلى الزاوية الصمادحية الكبرى و»هروبه» إليها، ومن شأن الزوايا أن تحمي «الهُرّاب» أي الهاربين من اضطهاد السلطة حتى متى كانوا من أعوان الدولة، واعتضاده بالشيخ الصمادحي الكبير احتماء من إجراء عقابي، كان قد اتخذ في حقه من قبل يوسف داي (1637-1610) وديوان العسكر، كان من شأنه أن يقضي على مستقبله السياسي إن لم يُودِ بحياته، لم يوقفه إلا تداخل من الشيخ بابا علي الصمادحي وتوسّط منه لدى يوسف داي وديوان العسكر ومرافقة منه شخصية للباي مراد كورسو و» سيره به دخيلا إلى يوسف داي» وفقا لتعبير الصغير بن يوسف، وذلك على إثر الإخفاق الذي مُني به في مواجهة عسكر الجزائر والقبائل المحاربة على التخوم الحدودية الشمالية الغربية للبلاد عام 1629، مما يشي بمتانة العلاقة بين الوليّ والدّاي من ناحية والوفاق السياسي الذي بدأت ملامحه تتشكل بين مؤسّسة الزاوية وأجهزة الدولة انطلاقا من هذا التاريخ على الأقل، وهو الميسم الذي سيظل غالبا على علاقة الزاوية بالسّلطة على كامل مراحل تطورها التاريخي.

تاريخ الزاوية في تاريخ وليّها

تاريخ هذه الزاوية بالتأكيد في تاريخ وليّها ذلك أنّنا وإن كنا نفتقر إلى النقائش أو أي نوع آخر من الحوامل المكتوبة التي من شأنها أن تضبط لنا تاريخا محددا لابتناء هذا المعلم فقد وجدنا في بعض المصادر التاريخية

الزاوية الصمادحية اليوم: ثقل الماضي وأعباء الحاضر

وفي بعض وثائق الأرشيف العقاري الخاص ما ساعدنا على تذليل كثير من العقبات التي اعترضتنا في هذا الصدد، كما أنّ الطراز المعماري الذي ينتظم المبنى، والتأثيرات العثمانية بادية فيه بشكل واضح، قد مكّننا إلى حد لا يستهان به من تحقيق مرمى الطموح المذكور.

يخبرنا الشيخ ابن يوسف، وهو معاصر للشيخ أبي القاسم الصمادحي، أنّ هذا الوليّ، وهو مؤسس الزاوية الصمادحية الصغرى، كان على قيد الحياة 1147/1735 وكان مقيما بزاويته بباجة، وكانت هذه الزاوية قائمة بعدُ ومتمتعة برصيد من الهيبة والحصانة والنفوذ ينبئ أنها لم تكن حديثة عهد بالظهور ولا بالبناء، ممّا يرجّح أنّها من مآثر القرن 18، أوائل هذا القرن بالتحديد أي بدايات العهد الحسيني الأول، إن لم يكن قبل ذلك بقليل، الربع الأخير من القرن 17 تحديدا أي أواخر العهد المُرادي حيث أشار المؤرخ نفسه إلى أنّ الشيخ الصمادحي كان حاضرا في المشهد السياسي العامّ لسنة 1057/1686 لمّا اضطلع بأدوار الوساطة والتحكيم بين سكان المدينة وحاميتها فيما عُرف بنكبة كوارغلية باجة وتنكيل محمد باي بهم:»اجتمع(= الكوارغلية) عند الشيخ بلقاسم الصمادحي وقالوا له المطلوب منك أن توصّلنا لطبرقة نركب منها البحر، فأجابهم بعد تمنّع، ووصلهم الشيخ إلى مأمنهم ورجع لأخذ ما يكسبون».

على أنّ هذه الإشارة تقتصر على شخص الوليّ دون زاويته بما يترك السؤال مطروحا حول تاريخ تأسيس هذه المنشأة الروحية في علاقة بتاريخ انفصال الوليّ عن الزاوية الأمّ واستقلاله بزاويته الخاصة به عنها، وبالتالي فإنّ تاسيسها يكون في تاريخ وإن تنزّل في نفس الحقبة الزمنية تقريبا إلا أنه ليس بقريب من تاريخ تأسيس زاوية الصمادحي الأولى، وإن كنا قد رجّحنا من موقع افتراضي أنّ الزاوية الصمادحية الكبرى قد بنيت قبل 1031/1622 بناءً على تتلمذ الوليّ أبي الغيث القشّاش المفترض للشيخ الصمادحي بها، وهو ما أنكره الشيخ القشّاش ولكنه أفادنا عن غير قصد منه طبعا أنّه كان معاصرا للوليّ الشيخ علي الصمادحي من ناحية، بدليل اعتراف القشّاش نفسه بوجود «براوات» أو مراسلات بينه وبين الشيخ علي الصمادحي، على غرار المراسلات المتبادلة بينه وبين الشيخ المرديني أحد مشاهير صلحاء القيروان، كثيرا ما كان يضيق بمضامينها النقدية وإنحائها باللائمة على شخصه، كما كان منافسا له من ناحية أخرى منافسة يشهد عليها وجود فرع للزاوية القشاشيّة بباجة إلى حدود سنة 1622 كانت» تطعم الفقراء والمساكين» وكان فيها للشيخ القشّاش «حزبٌ من الفقراء» يحيي حلقات الذكر»ونقيبٌ على الزاوية والفقراء» يبدو أنّ علاقتها بالزاوية الصمادحية لم تكن علاقة ودّية، ناهيك أنه كان صاحب فضل عليه، إن لم يكن قد بلغ قبله أعلى درجات سلّم التراتب المعرفي والسلوكي عند الصوفية نعني القطابة، فقد صار متأكدا لدينا اعتمادا على الفرمان السلطاني الصادر عن الباب العالي إلى»قدوة الصلحاء والسالكين» الشيخ علي الصمادحي، وفيه حديث عن زاويته، أنّ هذه الزاوية قد تأسست قطعا في تاريخ قريب من رمضان 1034/ جوان 1625 أي في بدايات عهد الدايات.

خاتمة

الثابت إذن أنّ الزاوية الصمادحية الكبرى قد بنيت قبل عام 1031/1622، وأنّها كانت تتمتع بمجال تنفّذ واسع منذ 1629 على أدنى تقدير وأنّ علاقة الوليّ المؤسّس فيها، قد كانت وطيدة بالحكم التركي خاصة مع بداية استقرار السلطة ولا سيما مع أعلى هرمين فيها يوسف داي، الحاكم العسكري للإيالة، ومراد كورسو باي المحالّ(ج. محلّة)، بما يشهد على تنامي رصيد الهيبة الذي كان الولي المؤسّس وهو الشيخ بابا علي الصمادحي يحظى به: «حُرمة» و»شُهرة»، وتوسع دائرة المكانة التي باتت زاويته تتمتع بها، وأنّها شهدت حوالي سنة -1077 1078/ 1667-1666 مع الشيخ علي الصمادحي الحفيد في سياق رهانات البايات المراديين على مدينة باجة في إستراتيجيا تدعيم سلطتهم الصاعدة أشغال بناء وتجديد، وأنّ الزاوية الصّمادحية الصغرى بمقتضى ما ظلّ شيخها المؤسس أبو الفضل قاسم الصّمادحي يتمتع به من مكانة وحضور في المشهد الاجتماعي والسياسي المحلّي على امتداد 5 عقود (-1686/1057 1737/1149 أو1738/1150)، من مآثر القرن 18، أو الربع الأخير من القرن 17، كما أنّ فرضية انتماء زاويتي الصمادحي وإن بشيء من التباعد إلى نفس الفترة تجد مشروعيتها في المميزات المعمارية التي تختصان بها وتشتركان فيهما وتتفردان بها عمّا سواهما من المنشآت الروحية القائمة بالبلد، وهي مميزات تحيل بوضوح على العمارة العثمانية.

الزاوية الصمادحية، البوابة الخارجية وهي مؤرخة بسنة 1306/ 1888م.

فُسحة لغويّة مع عبارةٍ عاميّةٍ شائعةٍ 28

فقرة «فسحة لغويّة مع عبارة شعبيّة» هي فقرة تأتي على العبارة من مختلف جوانبها، كأصل استعمالها وعلاقتها باللّغة الفصحى نحوًا وبلاغةً وما تكتسبه من معنى حسب المقام الّذي قيلت فيه. كلّ ذلك يرد بأسلوب طريف ظريف بعيدًا عن التّقعيد النّحويّ والتّنظير البلاغيّ أو الإطالة المُملّة، ليجد القارئُ نفسَه في فسحةٍ لغويّة جديرة بالاهتمام، يتذكّر خلالَها مقولةً شعبيّةً أو عبارةً متداولةً ويغوص أحيانا في بعض المدلولات دون أن يبتعد كثيرا عن شاطئ واقعه بكلّ تفاصيله ورهاناته.

"ولدها فوق ظهرها وهي تلوّج عليه"

هشام الهرّابي (كاتب)

مثلٌ يقوله أغلبُ التّونسيّين للتّعبير عن موقفهم مِن شخصٍ يترك السّهلَ المُمكنَ ويظلّ يبحث عن كلّ شيء يصعُب تحقيقُه أو يُرهِقُ إنجازُه.

نحويًّا:

"ولدها فوق ظهرها وهي تلوّج عليه" جملة اسميّة، ولو قرّبناها لأنْ تكون فصيحة سنقول: ولدها فوق ظهرها وهي تبحث عنه" رغم أنّ فعل تلوّج موجود في الفصيح.

• ولدها: مبتدأ، مركب إضافيّ (ولد: مضاف+ الهاء: ضمير متّصل، مضاف إليه)

• فوق ظهرها: خبر، مركّب إضافي (فوق: مضاف+ ظهرها: مضاف إليه ورد مركبا إضافيًّا، "ظهر: مضاف و"الهاء" ضمير متّصل مضاف إليه)

• وهي تبحث عنه: حال مركب بواو الحال (الواو: واو الحال+ هي تبحث عنه: متعلق بها، مركب إسنادي اسمي: هي: مبتدأ+ تبحث عنه: خبر، مركب إسنادي اسمي...

والجملة اسميّة مركّبة لاحتوائها على نواة إسناديّة فرعيّة.

صرفيّا:

• ولدها: اسمٌ مفردٌ جمعُه أولادٌ مشتقّ من فعل ولد يلد ولادة، وهو فعل معتلّ الفاء مشتقّ من مادّة [و،ل،د] وهو ثلاثيّ مجرّد ويسمّى مثالا.

• فوق: من فاق يفوق فواق، فهو فائق ومَفُوق.. ومادّة الفعل [ف،و،ق] وهو فعل ثلاثيّ مجرّد معتلّ اللام ويسمّي فعلا أجوفَ واويًّا.

• ظهرها: اسمٌ مشتقٌّ من فعل ظهر يظهر ظهورا، فهو ظاهر ومظهور.. ومادّة الفعل [ظ،ه،ر] وهو فعل ثلاثيّ مجرّد صحيح سالم.

• تلوج/ تبحث: لاج يلوج لوجا، فعل مضارع ماضيه لاج ومادّته [ل،و،ج] وهو ثلاثيّ مجرّد معتلّ العين ويُسمّى فعلًا أجوفَ واويًّا. وإن عوّضناه بالفعل (بحث) الّذي هو مادّته [ب،ح،ث] فإنّ هذا الفعل ثلاثيٌّ مجرّد وصحيح سالم.

لغويًّا:

"ولدها فوق منها وهي تلوج عليه" سنكتفي بالبحث عن معنى تلوّج/ تبحث، فالفعل موجود في العربيّة في مادّة [ل،و،ج] ولاج يلوج لوْجًا، ولاجَ الشّيءَ بمعنى أَداره في فِيهِ واللَّوْجاءُ: الحاجةُ، ورد هذا عن ابن جنّي. ويقال: ما في صدره حَوْجاءُ ولا لوجاءُ إلاَّ قَضَيْتُها.

وعن اللّحيانيّ قال: ما لي فيه حَوْجاءُ ولا لَوْجاءُ، ولا حُوَيجاءُ ولا لُوَيجاءُ، كلاهما بالمَدِّ، أَي ما لي فيه حاجةٌ

غيره: ما لي عليه حِوَجٌ ولا لِوَجٌ.

ولَوَّجَ بنا الطّريقَ تَلْويجًا بمعنى عَوَّجَ.

لسانيًّا:

"ولدها فوق ظهرها وهي تلوج عليه": عبارة أهمل فيها صاحبُها أغلبَ القواعد اللغويّة:

• ولدها: نطقها المتكلّم بكسر الواو بدل فتحه، وسكون اللام بدل فتحه، وسكون الدّال بدل رفعه، مع الحفاظ فقط على (هاء) الضمير المنسوب إلى الغائبة المؤنث المفرد. (وِلْدْهَا بَدَلَ وَلَدُهَا)

• فوق: نطقَ المتكلّمُ هذه اللّفظة بضمّ الفاء في حركة طويلة بدل فتحها بحركة قصيرة، فضمّ بذلك الواو بدل أن يسكّنها، وجعل القافَ ساكنةً بدل أن تكون حركتها هي الفتحة الّتي هي أصل النطق، لأنّ "فَوْقَ" ظرفُ مكان مبنيّ على الفتح (فُوقْ بدل فَوْقَ)

• ظهرها: خالف المتكلّمُ في نطقها اللفظة الفصيحة ولم يراع النِّظامَ النَّحويّ، حيث سكّنَ أوّلَ حرف والأصلُ فيه الفتحُ وفَتَحَ الهاءَ بدل تسكينها، وجعل الراء ساكنة بدل جرّها ع الإبقاء على الهاء مفتوحة كما عي في الفصيح.

• وهي: تمّ تسكينُ الواو بدل فتحها، وكسر الهاء بدل تسكينها مع الإبقاء على الياء مفتوحة مثلما هو الحال مع الضمير في اللغة الفصيحة.

• تلوّج: نُطقتْ ساكنة الأوّل وهو نطقٌ مخالف للفصيح الّذي لا يبدأ بساكن إطلاقا. ونُطقت ساكنة الآخر وهذا ممكن في الفصيح.

• عليه: مركّب حرفي بالجرّ نطقه المتكلّم بطريقة تُخالف الفصيح، حيث جعل الحرف الأوّل ساكنا بدل فتحه، وكسر الحرف الثّاني بدل فتحه أيضا ووقف على السّكون بدل الكسر (عْلِيهْ بَدَلَ عَلَيْهِ).

بلاغيًّا:

"ولدها فوق ظهرها وهي تلوج عليه" صحيح أنّ العبارة هي جملة خبريّة غير أنّ المتكلّم لم يقلها للإخبار، بل إنّه يقولها مجازا وكناية عن كلّ شخص يكون الحلُّ قريبًا منه أو ماثلًا بين يديه، ولكنّه ينسى ذلك أو يتناسى ليبحث عنه في المدى البعيد، فيشقى كثيرًا حتّى يبلغ مراده وأحيانا يعود "بيدٍ فارغة وأخرى لا شيء فيها" كما يقال ولا يَظفر بشيء. إذن هي كناية عن كل إنسان عنيدٍ بلا جدوى، عنيدٍ عنادَ عبث، عنيدٍ عنادَ جهلٍ لا تعقّل وتأمّل وتأنّ... كناية عن كلّ شخص يترك السّهل الممكن ليذهب بعيدا إلى الصّعب العسير -إن لم نقل المستحيل- وما أكثر النّماذج من هؤلاء النّاس في حياتنا اليوميّة!

وقد قيل إنّ للمثل حكايةً مستمدّةً من الواقع قد جدّت في غابر الأزمان: كانت هناك امرأةٌ قد مات بعلُها وترك لها ستّة أطفال سادسُهم كان لا يزال رضيعًا، لم يحُل عامَهُ بعدُ. فكانت ضعه فوق ظهرها وتشدّه بلحافٍ حتّى يثبت مكانه ولا يزعجها. ومن ثمة تنطلق في قضاء شؤون بيتها الّذي لا عائل لها فيه سوى جسدها المنهك، لأنّ عقلها أتلفه نشاطُ أطفالها الّذين بالغوا في الشّيطنة، فجعلوها تفقده (العقل). وذات مرّة، وبينما كانت تنكس أمام ساحة منزلها البسيط، فإذا بامرأة عابرة سبيل تقول بصوت عالٍ وكأنّها تنبّه كلّ من يسمعها: "يا أهلَ القرية، إنّ وحشا ظهر هذه الأيّام. قيل إنّه يختطف الأطفال كلّما رآهم بمفردهم أو ابتعدوا عمّن يحميهم". فجزعت المرأةُ للخبر الجزع كلّه وهرعتْ فازعةً تبحث عن أطفالها وقد كانوا منشغلين عنها باللّعب والعبث كدأبهم، فما إنْ بلغت العدّ خمسةَ أطفال حتّى جُنّ جنونُها وأخذتْ تَلطم وجهَها وتندب حظَّها وتجدّ في البحث عن ولدها وأطفالُها يتصايحون إنّه فوق ظهرك وأنت تبحثين عنه. ومنذ تلك الحادثة صار هذا القولُ مثلًا سائرًا على ألسنة أهل القرية، ثمّ ردّده النّاسُ فيما بعد كابرا عن كابر كنايةً عن كلّ إنسان تلف عقلُه، فأهملَ الحلَّ القريب منه وذهب شأوًا بعيد في البحث مضنيًا نفسَه أيّما إضناء.

أربعة عقود من العلاقة بين اليسار والاتحاد العام التونسي للشغل:

مساهمة اليسار في تغيير الخطاب النقابي و تجذير الممارسة النضالية

علي بودربالة

الكتاب من الحجم الضخم 450صفحة بعد حذف الفهارس والملاحق يوفر مادة كثيفة تتفرع إلى خمسة فصول وفي كل فصل مبحثان وهي :

اليسار التونسي يسارات:

مدخل نظري حول مواقف الشيوعيين من النشاط في النقابات

تحليل لمشهد اليسارات في تونس من سنة 1970 إلى 2011.

اليسارات التونسية وأحداث 26 جانفييه:

اتحاد الشغل من 1970 إلى المؤتمر الرابع عشر

انقسام اليسارات في مواجهة وضع ما بعد إضراب 26 جانفي 1978

من مؤتمر قفصة إلى الهجمة الجديدة ضد الاتحاد:

اليسار يرفض أن يروض

اليسار أمام متغيرات سريعة في المشهدين السياسي والنقابي

التنازلات والانقسامات تضعف تأثير اليسارات في عشرية صعبة 1988-2000:

كيف واجه الاتحاد العولمة وسلطة 7 نوفمبر

تصحيح المسار النقابي ام ترتيب البيت الداخلي

من مؤتمر جربة إلى مؤتمر المنستير ومن انتفاضة الحوض المنجمي إلى سقوط جناح في السلطة:

من المجلس الوطني 2001 إلى مؤتمر جربة 2002

محطات سبقت العاصفة.

تصدّر الكتاب إهداء تدرج من الخاص إلى العام .. بدا بالزعيمين الشهيدين فرحات حشاد وحسن السعداوي .. الأول معلوم مشهود له بالزعامة والريادة اما الثاني فلا يعرفة إلا الخاصة ممن لهم شغف بالتاريخ النقابي والوطني في بلادنا وهو مناضل نقابي وسياسي كان من ناشطي وقادة الحزب الشيوعي ومن مؤسسي جامعة عموم العملة التونسية الأولى سنة 1924 من قادة العمل النقابي ضمن الكنفدرالية العامة للشغل إلى حدود سنة 1946 لما أسس الاتحاد

رضا مقني

النقابي لعملة القطر التونسي في اكتوبر 1946 ..

الإهداء العام كان لعموم مناضلي اليسار النقابي الأوفياء لمصالح الشغالين وهم رغم التعميم – كما سيبدو لنا من الكتاب- قلّة لأسباب ستتضح أثناء الكتاب..

تلا الإهداء تقديم وهو على درجة عالية من الأهمية في رأيي إذ يؤطر المسألة في مسار تآليف الكاتب فالكتاب مواصلة لاهتمام صاحبه بالتأريخ لمسيرة الحركات اليسارية في تونس وكان قد صدر له سابقا كتاب بعنوان: اليسار التونسي والقضية الفلسطينية 1947-1988 ويؤطر المسالة في سياق ما أثاره الكتاب الأول من جدال وحتى اتهامات نالت المؤلف بسبب آرائه ومواقفه وتفييماته .. ينبهنا الكاتب إلى أنه يتحدث عن يسارات .. وان اليسار ليس مجموعة واحدة ولا كتلة متجانسة بل هو مجموعة حركات بينها تباينات واختلافات.. ستؤثر على علاقتها بالاتحاد العام التونسي للشغل تأثرا وتأثيرا..

احتوى التقديم أيضا إشارة إلى عدد من المبادئ والمعايير التي استند إليها هذا العمل من قبل الوفاء لمنهج الكتابة العلمية والارتكاز على الوثائق والمصادر والمراجع وحتى الشهادات الشفوية والمكتوبة وإنتاج نص يتوفر على الحد الأدنى من الموضوعية ..

يشير الكاتب في المقدمة انه لا يكتب تاريخا فقط بل يصنعه وسيستند إلى تجربة نقابية وسياسية ثرية وممتدة تقريبا على كل الفترة الزمنية التي يغطيها الكتاب ..

تثير المقدمة في ذهن القارئ أسئلة كثيرة اهمها اثنان يتصلان بنمط الكتابة ونوع الكتاب والثاني وهو الأهم مدى وفاء الكتاب للمبادئ والمعايير التي وضعها لنفسه..

نوع الكتاب:

تصنيف الكتاب مسألة في غاية الأهمية ومثيرة للفضول .. تريحنا حين ندرك أي نوع نقرأ وبأي أدوات سنحلل ونواجه ما قد يشكل علينا فيه .. مسالة الجنس او النوع لا تطرح من خلال العنوان لكنها تطل علينا خفية في المقدمة لنها تصير أكثر إلحاحا كلما تقدمنا في القراءة ..

الكتاب من عنوانه في التاريخ لكن إقرار الكاتب بأنه سيستند إلى تجربته وما عايشه من أحداث كان فاعلا فيها بيسار من اليسارات التي يتحدث عنها بانتماء مزدوج لليسار فكرا وفصيلا سياسيا وسيرورة تشكل جسما سياسيا وتنظيميا وللاتحاد العام التونسي للشغل فاعلا في كل محطاته ومراحله..

يضع الدكتور فتحي ليسير لكتابه تاريخ الزمن الراهن عنوانا فرعيا «عندما يطرق المؤرخ باب الحاضر» ويصدّر كتابه بقولة لمارك بلوك: إذا كان الزمن الراهن قريبا جدا كي يشرع في كتابته، متى يبدأ الزمن الماضي الذي يبلغ فيه المؤرخ نوعا من الحال الموضوعية الطبيعية» .. إذن ا نحن إزاء زمن ماض بلغ فيه المؤرخ الحال الموضوعية الطبيعية أم امام مؤرخ يطرق باب الحاضر؟ .. بل الإشكال يشتد حين نجد انفسنا أمام فكر سياسي وموقف من حدث له امتدادات

وتأثير في علاقة النقابي بالسياسي أو حتى في تقييمات تتصل بمبادئ حيوية لدى منظمتنا النقابية مثل الاستقلالية والديمقراطية والنضالية .. هل نحن اما صنف من الأدب الذاتي القريب من الشهادة وحتى السيرة ..

الكتاب هو كل ذلك وهو ايضا ذو قيمة علمية كبيرة يغطي فترة هامة من تاريخ تونس المعاصر لا يغطيها التاريخ الرسمي وظل غائبا لفترة طويلة على كل الأنشطة التوثيقية علمية أكاديمية أو إعلامية أو روائية وحتى فنية تهتم بالأرشفة والتوثيق.. الكتاب إلى ذلك لطيف قريب من نفوسنا نحن الجيل الذي عشنا جزء من هذه الفترة في الجامعة والنقابات .. احببت الكتاب كما أحببت رواية الطلياني لشكري مبخوت وشريط «عالبار» لسامي التليلي .. ينبش الكتاب ذاكرتنا ويحيي فينا مسيرة حياة ثرية باحداثها وأخطائها ، بأحلامها الكبيرة ومنجزاتها القليلة لأسباب تعود إلينا ، إلى تفرع مساراتنا وتفرع يسارنا إلى يسارات سيتحدث عنها كاتبنا في الفصل الأول من الكتاب..

اليسار التونسي يسارات

هذا الفصل وثيقة قيمة ودقيقة وثرية لكل من ينشد معرفة بفصائل اليسار التونسي وتفريعاته وتاريخ النشاة والتطور ويضع الحدود بينها ويفصل في اختلافاتها وسببها ونتائجها ..

لم يكتف المؤلف بالتاريخ بل أجرى تقييمات حددلها مجموعة من المحاور في شكل عدد من الأسئلة أوردها في الصفحة 31كلها ذات علاقة بالعمل النقابي وبالاتحاد العام التونسي للشغل ووضع لها معايير منها ما يتعلق بقضية الهوية وبالتعامل مع اليمين واليمين الديني والموقف من القضية الفلسطينية وحتى العلاقة مع الاتحاد السوفياتي والصين والحسم في مسألة طبيعة المجتمع والعلاقة بالنظام ..

تحول هاجس التقييم وإقامة المفاضلات والموازنات إلى ما يشبه البحث عن «الفرقة الناجية» وإلى أداة للتبخيس والاستنقاص حينا وإلى التثمين والإشادة حينا يذكرنا بما كنا نعيشه من صراعات بين تلك الفصائل في الملتقيات وحلقات النقاش في رحاب الجامعات وساحات الكليات .. طبعا هذا الفضاء السجالي يفقد المشارك فيه موضوعية تتلاشى مهما حرص وتتبدد مهما سعى وعمل ..

بقية فصول الكتاب راعت الترتيب الكرونولوجي التاريخي فانقسمت حسب المراحل والأحداث الكبرى التي عرفها الاتحاد وعرفتها البلاد : الإضراب العام 26 جانفي 1978/ أزمة 85/ الاحتواء والتنازلات في العشرية الأخيرة من القرن الفارط/ التصحيح وترتيب البيت الداخلي /انتفاضات 2008 و2011

تقول هالة اليوسفي في كتابها الصادر عن دار محمد علي سنة 2016 بعنوان الاتحاد العام التونسي للشغل قصة شغف تونسية عن الاتحاد بداية من سبعينات القرن الماضي :»و بذلك لم يعد الاتحاد يشبه تلك النقابة العمالية المحدثة في 1946 فالتحولات السوسيولوجية والسياسية جعلت منه فضاء جامعا لكل الحساسيات السياسية وجميع الأصناف الاجتماعية ، أصبح الاتحاد احد الأمناكن النادرة الحاضنة للاحتجاجات ضد السلطةو بات بمثابة الملجا، ممارسة السياسة فيه لا تعرض لنفس المخاطر التي تحصل خارجه. لكن الاتحاد كان عليه الدفاع لا ضد هيمنة السلطة فحسب بل كذلك ضد خطر الاحتواء من طرف الاتجاهات السياسية المنضوية تحت رايته»

بعد حضر الحزب الشيوعي التونسي ظهرت آفاق تعبيرا عن المد اليساري الماركسي لدى الطلبة في الجامعات الذين التحقوا بمراكز العمل والعمل النقابي فتسربت للنقابات تيارات وحساسيات وطاقات عمالية شابة ومناضلة سياسية يسارية طبعت الخطاب النقابي وأثرت في تجذير منحى الاستقلالية وساهمت في الإسراع نحو التصادم مع السلطة وهو ماحدث في 26 جانفي 1978 .. تعتبر تلك اللحظة أهم حدث نقابي وطني منذ لحظة التاسيس وبقطع النظر عن تقييمات اليسارات للقيادة النقابية واتهامها بالتذيل للسلطة إلا أنها جميعا تجندت للدفاع عن الاتحاد واستعادته سواء بالسعي إلى افتكاك هياكله من الداخل حتى بالتعامل مع هياكله المنصبة كما فعل جماعة العامل التونسي او بتكتيك المقاطعة والعمل السري «تجربة الشعب السرية» .. هذه الوحدة النقابية التي ظهرت بعد أحداث الخميس الأسود والتضامن النقابي والمدني الدولي دفع النظام إلى التراجع وإعادة القيادة الشرعية والعفو على المساجين والمعتقلين.. كانت أحداث 26 جانفي لحظة فاصلة بين اتحادين : اتحاد التأسيس والمساهمة في بناء الدولة الوطنية عبر الشراكة والاحتواء واتحاد ساع إلى تحقيق الاستقلالية عن السلطة والحزب..

هذا النفس النقابي الجديد سرع بفتح أزمة جديدة وهجمة اخرى من السلطة على الاتحاد وكان للقيادات النقابية الوسطى والأساسية دورا كبيرا في الإسراع بالتصادم مع السلطة في ظل الاختيارات اللاشعبية التي لجات إليها السلطة بسبب الأزمة الاقتصادية الخانقة ..

أعتقد أن الفترة الممتدة بين سنوات 77 و85 قد طبعت الاتحاد بما سيصبح مقوما له ومكونا اساسيا له وأعلى من شأن قيم الاستقلالية والنضالية والديمقراطية ووسم تاريخ الاتحاد في المراحل التالية في لحظات قوته او وهنه بمدى سعيه إلى تجذير تلك القيم والمقومات او غيابها .. فالعشرية الأخيرة من القرن الفارط تم تدجين الاتحاد وإضعافه ووضعت السلطة يدها عليه وانفض النقابيون من حوله بسبب ضعف الحياة السياسية وقلة تاثير النخب اليسارية في المشهد السياسي والنقابي بل إن الكثير من القيادات السياسية اليسارية تحولت إلى أعوان للنظام واليد الطولى التي أخمدت كل نفس نقابي وسياسي مناضل ..

استعادت جدلية التاثير والتاثر بين اليسارات والاتحاد جزء من عنفوانها بعد الحركة التصحيحية فقد استعاد الاتحاد بعض عافيته واستفاق اليسار النقابي وانتشر في كثير من الهياكل النقابية خاصة نقابات التعليم وحتى في بعض الاتحادات الجهوية بن عروس ، قفصة وبنزرت والقيروان والكاف ..

فوت النقابيون عن أنفسهم فرصة انتفاضة الحوض المنجمي ولم يكونوا في مستوى ما عاشته الجهة من حراك بسبب الأزمة الاجتماعية والاقتصادية وكاد ان يعيد نفس الخطأ أثناء أحداث 17 ديسمبر 14 جانفي لولا تمرد القيادات القطاعية والجهوية وانخراطها بل قيادتها للتحركات والاحتجاجات وكان للقيادات التقدمية اليسارية (ليس الماركسي فقط) دور محدد في تنامي الاحتجاجات وانتهائها إلى سقوط جناح من السلطة والتعبير للمؤلف..

الكتاب وثيقة تاريخية لا غنى عنها لمن يروم معرفة أو بحثا في تاريخ بلادنا المعاصر هو مرجع أساسي غني بالتفاصيل الدقيقة وبالإحالات على المصادر والوثائق النادرة وبقطع النظر عن التقييمات والحكام التي قد نتفق فيها او نختلف مع صاحبها فإن المادة التاريخية والعلمية المتوفرة تمكن الباحث فهم دقيق للتأثير المتبادل بين الاتحاد العام التونسي وللشغل ومختلف الحساسيات اليسارية التي طبعت مسار الاتحاد ومسيرته خاصة في مستوى الخطاب والقيم والممارسة النضالية لكنها عجزت عن احتوائه والسيطرة على هياكله وسلطات قراره ..

وبالعموم نظرا لحالة التشضي التي كان عليها اليسار وعجزه عن تطوير تجربته السياسية والاستفادة من المحطات التاريخية التي كان يمكن ان يتحمل فيها مسؤولية القيادة الثورية فقد مثل اليسار النقابي إضافة غيرت من وجه الاتحاد العام التونسي للشغل ومكنته من القطع مع لحظة التأسيس والبناء والسعي نحو تجذير ممارسة نقابية قائمة على مبادي النضالية والديمقراطية والاستقلالية ودفعت بالاتحاد إلى أن يكون نصيرا مبدئيا للمهمشين والطبقات المسحوقة ولحركات التحرر في العالم ..

نصر العماري يعيد بناء المدينة الصرح في رواية «سونس انتردي»

مصطفى المدائني

"سونس انتردي" {1} نص سردي جديد ألفه الشاعر نصر العماري الذي أراد بهذه الرواية أن يخفف ممّا ضمّخه به شعره من انطلاق في مدى رحب فمن "العنقود"{2} الذي حمّله رؤاه للكون والعالم محددا قيمه مع بحث عن أصالة عميقة الجذور في الوجدان الإنساني الذي تملكه تونس الأعماق باغتنا الشاعر في توغّله في حقول مدينة حالمة في ربوع الوسط الغربي.

لماذا جنح الشاعر للرواية؟ ولم وسمها ب "سونس انتردي"؟

وكيف غيّب لنا الأسرار وفضح منّا الدواخل؟ كيف خلق من شارع رئيسي كئيب شخصية قائمة الذات تتحول وتتغير تدريجيا أسوة بالشخصية الأسطورية؟

نحاول في هذه الكلمة الموجزة أن نشير دون توضيح نقدّم دون غوص نلمّح دون بيان. لذلك ننطلق من سبر أغوار ما يسميه النقاد "البناء" وننطلق من "العنوان" ثم نحدد "البدايات" وصولا إلى "النهايات" مرورا بذلك الانتقال الذي انشغل به الكاتب وطرقه المبدع... وقد كان الشاعر يعلم أنه في حقل ألغام فنية فبين الحالة الشعرية والحالة السردية بون شاسع حد القطيعة وتقارب متين حد التماثل... لا يعرف سره إلا من تمرس بفن القول خاصة أن الرواية كما هو معروف آكلة أجناس لأنها بطبعها تستنزف الطاقة وما فوقها{3}. ولن نهمل الحديث عن "الأسلوب والمداليل" حتى نبلغ "المغنى". ويكون الحديث مقتضبا نافذا.

البناء:

العنوان:

سونس انتردي {4}: مصطلح فرنسي يدل على الطريق الممنوع ويحمل في طياته ضمنا وجود طريق آخر يوازيه "سونس اونيك" طريق ذو اتجاه وحيد. العنوان يحيل باللغة الفرنسية إلى منع السير في الاتجاه الامامي لكن السير عكسه مباح هو الاتجاه الوحيد وهو بلا شك إجباري وهو ضديد "سونس دوسو دوسي" {5} أي فوق تحت وهو ذلك الاتجاه الفوضوي.. أما في اللغة العربية ووفق الفهم الدارج فإن المعنى يتخذ شكلا قاطعا مع دعوة ضمنا للانتباه والتفطن والوعي بوضع الحال {6}.. ولعل الكاتب أراد أن يوضح لنا بأنه سيكون معنا صريحا بمعنى أدق - وهنا استعير كلمة يتداولها مبدعون ملتزمون -: "أقولها وأمشي..."

البداية:

اشتمل النص على عشرين فصلا. اختلفت بين الطول والقصر {7} وكأن الكاتب أطال الحديث كلما كثرت الأحداث وقصر كلما وجب الاقتضاب. لكنه خلال هذه الفصول أراد أن يكون ساردا موضوعيا تابع الاحداث بدقة وراوغ القارئ بميله الدؤوب لتلك الفكاهة الصفراء فكاهة المسرحي الذي يتقبل الأحداث ويجد لذة أن يداري الآلام بضحكه الاحتفالي، ضحك المشهد النفس الأخير.

تنفتح الرواية بتصوير الشارع الكبير شارع الجمهورية مع تمرير مقارنة منذ البداية بينه وشارع الزعيم بورقيبة. وهذا المكان سيصبح تدرجيا حمال معان. ففيه الحياة السليانية في أجلى مظاهرها وقد سعى الكاتب أن يقدم لنا ضِمنا جل الشخوص: ولد الزدي الخبير العارف بأصول اللحام الملاخ الحاج عمر والكوّاش

نصر العماري

رحمان القطقاطي مع ذكر حمّامين الأول في بداية الشارع والثاني في آخره {8}.

النهاية:

وينهي الرواية بصورة عكسية، ففي الفصل الأول تبدو الحياة طبيعية مطمئنة، الأمن مستتب والناس في حالة مونوتونية عفوية بسيطة هانئة. وفي الفصل الأخير {9} يتوجه خلف الله وحمدان إلى حمّام الحاج صميدة ليستريحا مما نزل بهما من نوازل ليتطهرا لكنهما يعيشان تجربة مريعة فقد انفجرت نحاسة الحمّام "فالميتور تفلق". وكانت سليانة تعيش الثورة وقد عمتها من أقصاها إلى أقصاها.

وعبر هذه المسيرة تعيش الشخوص أحداثا هي صور من التمرد والفوضى لعل أجلاها احتلال الجامع وطرد الإمام...

لن نبوح أكثر في فضح مسار الأحداث وإنما أردنا الإلماع دون كشف والإسرار دون تعمق ونترك للقارئ الكريم عملية الكشف والاستكشاف..

الأسلوب:

وما يبهر القارئ هو الأسلوب الذي أراده صاحبه بسيطا فجاءت الكلمات سهلة تأخذ من الدارجة نصيبا واللهجة الدارجة قريبة من العربية الأصيلة فقد ورد الحوار في أغلبه باللهجة الدارجة المهذبة حاول الكاتب أن تكون أقرب إلى واقع الحال. فصوّر شخوصه مبرزا تلك التعابير ذات المنحى الفكاهي خاصة حادثة دخول الحمار الجامع وما فعله به كل من الحاج خلف الله وحمدان وما استتبع ذلك من أحداث..

وقد اعتمد الكاتب على الجمل البسيطة لكنه كثيرا ما يستعمل الاستطراد. فتتوالد الجمل وتتطور الأفعال لكن جمله في الغالب غير معقّدة. والكاتب ميّال للوصف وهو ما جعل نصّه وصفيا خاصة إذا أراد أن يعطي قيمة لموصوفه وبالأخص الأمكنة. لذلك نعتبر ضمنا الطرق الرئيسية لسليانة تكاد تكون شخوصا متحركة بتحرك أهلها {10}..

وتتميز الرواية بأسلوبها الشاعري فالكاتب وإن بدا لنا محايدا في تقديم أحداثه فإنه كان يتميز بتلك العين الرائية تلك العين القانصة فتقترب من الشخصية وتتبعها بوصفها الدقيق بل إن العقدة المضمّنة في العلاقات بين الابطال كثيرا ما تنطلق من النعوت والأوصاف.

والحاصل:

لقد غامر الكاتب بهذا النص ولعله وهو ينطلق في مشروعه كان يهدف أن يحرك السواكن في مدينة جاهدت من أجل حضورها وانفتحت ضمنا فاكتشفت في لحظة مّا أنها لم تكن منتمية إلا للعمل في حين كان أهل الساسة يفعلون فعلهم وكأن الناس نيام. لقد فضح الشاعر حقيقة الواقع وقالها بصوت جهوري صادق "أوَخِّي أشْكُون يَذِّنْ تَوَّه؟ ما زال وقتْ الظهر، تقريبْ خْلِتْ يا حاج" {11}..

إننا مع نص متنبئ بالحقيقة التي تتأكد مع الايام... وهو عين ما نستشفه من رواية "شمس آل سكورتا" {12}. وهي رواية ارّخت لمدينة جنوب ايطاليا وتابع تطورها وكان الكاتب مفعما بقيم أهل الجنوب وهو عين ما كان عليه الشاعر نصر العماري الذي يتضح أنه قرأ نفسية السلياني أو لعله يعتبر نفسه أنه السلياني المتحدث عنه.. إننا أمام رواية لا تقرأ متقطعة وإنما هي رواية تقرأ دون وعي بالزمن لأننا معها نكون الزمن نفسه وهو زمن استطاع الروائي بذكاء نادر أن يدخلنا بوتقته ولا نستطيع منه فكاكا...

هوامش:

1 – سونس انتردي- نصر العماري – نص روائي – {مخطوط}.

2 – العنقود – نصر العماري – ط1 – دار سنابل للنشر – 2019.

3 – انظر: دراسات في السرديات – مصطفى مدائني – ط1 الدار العربية للكتاب – 2007. ص 62.

4 – Sens interdit – قاموس لاروس.

5 – Sens dessous dessus – قاموس لاروس.

6 – Etat des lieux – وضع الحال حقيقة الحركة الاجتماعية العميقة وصراع البواطن المسكوت عنه لعدم فهمه أو التحسس به في الإبان.

7 – انظر الفصل الحادي عشر {صفحتان}– الفصل العشرون {ست صفحات}.

8 – الفصل الأول.

9 – الفصل العشرون.

10 – "عمد أحد رواد الشارع ومن حرفائه الأوفياء إلى قلع علامة المنع {سونس انتردي} من مكانها على حافة الرصيف... فقد كان على عجلة من أمره." الفصل الأول.

11 – الفصل السابع عشر.

12 – رواية: "شمس آل سكورتا" لـ: لوران قوداي ترجمها إلى العربية بسام حجار ونشرتها دار الآداب سنة 2005 وهي حاصلة على جائزة غونكور لسنة 2004

مقاصد المشهدية وخصائصها الفنية في «عبوة السعادة» للروائي الأزهر الزناد

مفيدة الجلاصي

تضمنت المجموعة القصصية «عبوة السعادة » اثنتي عشرة قصة قصيرة، والمعنى اللغوي للفظ العبوة هو مقدار ما يملأ الشيء، يقال :عبوة هذه القارورة مثلا مائة جرام أو عبوة كيس القطن قنطار. والعبوة بهذا المعنى هي الإناء ولقد كان العنوان جامعا من حيث يلخّص كل المجموعة في مضامينها ودلالاتها التي رام المؤلّف الاهتمام بها وإثارتها من خلال ما أسميته بالمشهدية في الأقاصيص.

ومن هذا المنطلق اختار أن يجعل أقصوصة «عبوة السعادة» بمثابة النص الجمع فكانت الأولى، ومثلت مفتاح الولوج في ما يأتي بعدها. وفيها نجد الكل يبحث عن عبوة للسعادة ويلهج باسمها في جري محموم للظفر بها مهما كان الثمن، ولو على حساب القيم والمبادئ الأخلاقية، وتلك هي الحقيقة المرة الّتي انبثقت حين حدث الانفجار وتعكرت الأوضاع، وتبين كما ورد في صفحة 13 «أن حي السعادة ما عاد حيا لها كما كان.» فقد وقع انقلاب كلي حين «تباعدت عربة السعادة وراح صوت البائع يتردد ضعيفا من بعيد... لعب السعادة.... لعب السعادة!» (ص 12).

وهنا يصبح للسعادة عند الأزهر الزناد، علاوة على معناها النفسي، معناها الاجتماعي والاخلاقي بكل ما تحمله من معان إيجابية إذ تتحول إلى النقيض بأن «حالت شقاء ما انفك يتضاعف ويسري كالنار التي يزداد سعيرها بازدياد الحطب» (ص 13). وكأنّنا هنا بالكاتب يورط القارئ المتلقي في رحلة بحث عن هذه السعادة التي تغدو حلم كل إنسان لأنها تمثل الخير بكل معانيه، بل هي رمز للجمال الأخلاقي بكل أبعاده في مقابل القبح بمختلف مظاهره في حي سكنيّ يرى مقوّمات السعادة في مقابل التعاسة، وإن لم تذكر لفظا.

ويكتمل المشهد الجميل بظهور صاحب العربة في بداية هادئة جدّا، قبل أن يحدث الانقلاب، كما بينا سابقا ليعري الواقع البائس ويكشف لنا حجم معاناة الناس ليرسم لنا صورة مجتمع يشهد تحولات جذرية، ولكن إلى الأسوأ فكريا وأخلاقيا وثقافيا واجتماعيا، وحتى سياسيا في رحلة البحث عن السعادة التي ذكرت 41 مرة في صيغ مختلفة من الجذر (سعد) (يسعدون /يسعد / سعدون /سعيد /...)

وهنا يؤكد على هذا الانفجار العظيم والمدمر في النواة الأولى «الأسرة» التي منها يكون رقي المجتمع أو انحطاطه حيث نجد المجرم الحقيقي غير معروف حين قرر القاضي القبض على بائع اللعب، بل «راح ذهنه بعيدا في اتجاه المؤامرة... خراب المجتمعات يكون بتخريب النواة.... والنواة هي الأسرة وتخريب الأسرة جسر إلى الخراب الكبير.» (ص 18)

إنه الاستغباء المجتمعات بمنتجات بسيطة في مكوناتها، ولكنها مؤثرة جدا في مخلفاتها الخطيرة. انها المجتمعات التي لها استعداد لذلك الاستغباء، ولذلك كان التأكيد في آخر القصة على إدراك سر هذه اللعبة الخطيرة حين يصرح الأب مخاطبا نفسه:» الآن فهمت ما حدث في حينا... حي السعادة... هذه العبوة أداة لتقويض السعادة.. ولا يمكن للمرء في جميع الأحوال أن يعرف

الأزهر الزناد

خبايا شخص آخر مهما كان قريبا منه... فالسعادة لا تعدو أن تكون فقاعة.... والحياة فقاعة تملأ بما حضر وبما ظهر!» (ص 21).

في مقاصد المشهدية في عبوة السعادة

في ترصد المقاصد ارتأينا أن ننطلق من رأي للمؤلف ذاته الأزهر الزناد، في حوار أجرته معه الجامعية منية العبيدي بعنوان: الروائي الأزهر الزناد: الكتابة هي عملية تذكير بالغائب فينا» (الحياة الثقافية العدد 324 أكتوبر 2021) حيث يشير إلى مقاصده من الكتابة فيقول: «لكل كاتب مقاصد، وهناك مقاصد واعية يسعى إليها فيدركها وهناك مقاصد أخرى يجدها القراء في أعماله وليس من الضروري أن يكون قد قصد إليها. وفي بعض الأحيان لا يمكن التصريح بالمقاصد حتى لا يفسد الأمر على الناقد والقارئ بمعنى زوال المتعة واللذة في الاكتشاف والغوص على المعاني.» ثم يضيف مستدركا: « المقصد الكبير الذي أسعى إليه هو تذكير الإنسان بإنسانيته وقيمه وما به كان إنسانا لأنها في ما أرى أخذت تزول بحكم نسيانها وانشغالنا بالسطحي من الأشياء.»

وانطلاقا من هذا المطمح في تناول الأشياء بعمق كان انطلاق المؤلف الأزهر الزناد في مجموعته من عالم الواقع الاجتماعيّ في مختلف تجلياته ليتخذه القاعدة الأساسية لإقامة كونه الإبداعي سردا من خلال نصوصه القصصية. وأكد ذلك في قوله في الحوار الذي أشرنا اليه آنفا: «يؤسر القارئ بما يقرأ أو في ما يقرأ عندما يجد شيئا من نفسه في ما يقرأ... وذاك هو النهج الذي أسلكه في أعمالي الروائية والقصصية ويمكن أن نسميه «الواقعية الرّمزيّة.»

وهنا يؤكد الكاتب على أن القارئ لا يكتفي بالواقع الحقيقي والتاريخي لأنه مطالب بأن تكون قراءته منفتحة على عدة آفاق تتجاوز ذلك الواقع إلى الرمز والخيال فيصير هذا القارئ «– على حدّ عبارته– «شريكا للكاتب في بناء المعنى، وتجاوز الواقع لاستكمال الرمز الكامن في النّصّ. فالواقع هو الطعم الذي يغري والرمز هو الشرك بحبائله الفكرية التأملية. وكلاهما كاف بنفسه في الإمتاع. فالواقع ممتع، والرمز ممتع أيضا. ولكن متعة الرمز ولذته أعمق وأكثف بكثير من متعة الواقع المجرد.»

وهنا تنكشف رؤية « الأزهر الزناد « في نظرته إلى الحياة التي تتبدى لنا من خلال نوافذ متعددة ومن زوايا مختلفة، في سعيه إلى إنتاج المعرفة من خلال سبر الواقع في مختلف مظاهره باعتباره المبدع المثقف الحامل لموقف معين هاجسه الأسمى هو الانخراط في تشخيص العلل المستفحلة في الجسم الاجتماعي ليشخص الأسباب عله يجد العلاج اللازم بتقديم رؤيته الفكرية لإصلاح ما فسد وتذكير الإنسان بإنسانيته وبقيمه التي أخذت تزول أو هي في طريقها إلى الاندثار كما قال بحكم نسيانها وانشغالنا بالسطحي من الأشياء، وذلك من خلال القصة القصيرة خاصة والتي ترتكز على فكرة موحدة مكثفة تنقدح بمناسبة ما.

وهنا لا بد من التأكيد على ما يمتلكه المؤلف «الأزهر الزناد» من الوعي الفاحص للفكرة والإحساس المرهف بها. لذلك وجدناه يصوغ تلك الفكرة في مجموعته «عبوة السعادة» في لغة تميزت بالدقة والتدفق التعبيري النابض بالعمق في طرح القضايا التي سلط عليها مبضعه التحليلي بقوة الإدراك لما سيخلقه في القارئ المتلقي من تأثر وتفاعل مع خطاب سردي له خصوصيته التأثيرية. ولعل كل هذا يسلمنا إلى ضرورة التركيز على ما اتسم به هذا الخطاب المشهدي من خصائص فنية تتصل أساسا بالشخصيات في مرحلة أولى ثم بالبنية السّردية المعتمدة في المجموعة في مرحلة ثانية.

الشخصيات في مجموعة عبوة السعادة

تنوّعت الشخصيات في مجموعة عبوة السعادة واختلفت أدوارها في مستوى حركتها، وحيويتها، وتصنيفها اجتماعيا، وفكريا، وأخلاقيا وثقافيا وسياسيا كذلك. وقد اتّخذها المؤلف مدارا للمعاني والأفكار التي رام التعبير عنها من خلال القضايا المطروحة. لذلك لم يفصلها عن محيطها الحيوي الذي تتحرك فيه ولم يجعلها في قطيعة مع المجتمع الذي تعيش فيه بكل قيمه السائدة. فكانت في تفاعل مباشر مع مختلف الأحداث والمتغيرات الطارئة عليه إذ تتأثر وتؤثر بحسب أهداف الكاتب ونظرته إلى تلك القيم، بل إنه حاول أن يخلق نوعا من الانسجام بين الأنساق القيمية والأغراض الفنية، فبدت مظاهر سلوكهم معللة بالدوافع العامة وبنوازعهم وصراعاتهم. لذلك حاول المؤلف أن يسبر الأغوار النفسية ويغوص في أعماقها دون تعقيد الوضعيات في ظل الوعي الإنساني بواقعها المعقد، من قبيل ما ورد في أقصوصة «ضمير للبيع» مثلا، حيث كانت الوقائع صادمة، ولكنها معبرة جدا ومثيرة تعكس أزمة أخلاقية عنيفة وخطيرة جدا من خلال شخصية «الطاهر» وقصته المؤثرة، ذاك الرجل الذي يمتلك ضميرا في منتهى النقاوة والطهر، فهو اسم على مسمى، في زمن انقرض منه الضمير أصلا كما

أقر رئيس الفريق المختص في تحليل الضمائر بعد أن اطّلع على نتائج التحليل المخبري متعجبا ثم معتذرا من عدم إمكانية شراء ضمير الطاهر إذ يقول: «ضميرك غير مطابق للزبون فهو شخص قد اهترأ ضميره وألف بدنه الضمير المهترئ، نحن نبحث عن ضمير مهترئ فيه بقية باقية لا عن ضمير حيّ!» (ص 77).

وبهذا نرى تجارب الشخصيات ماثلة أمامنا ينقلها لنا المؤلف متعقبا أسبابها وحيثياتها ونتائجها الطبيعية عبر تداعياتها على أصحابها، مع أنه لا يتدخل بالتبرير للدوافع بالفلسفة أو المنطق لما تأتيه الشخصيات كي لا يقع في منزلق خطير وهو أن يقحم نفسه في تلك التجارب أو يفرض نفسه عليها ويحيد عن الموضوعية. فهو يخلق شخصياته بالاعتماد على الواقع وقد يستعين بالتجارب التي قد يكون عاشها ولم يصرح بذلك ليضعها في إطارها الاجتماعي بطابعه الإنساني فتغدو القصة كما أقر محمد غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي الحديث (ص 564): «القصة بمثابة لوحات تشريح خلقي اجتماعي وفيها ينقل المؤلف الواقع إلى عالم الفن لتصور المعاني الإنسانية وتجاربها عن طريق الإيحاء.»

والمقصود الإيحاء هو أن لا تكون الشخصيات صورة طبق الأصل من الواقع، بل تتخذ بعدها الفني والخيالي بتصوير المعاني الإنسانية بعيدا عن الإغراق في تلك النزعة المادية المقيتة لذلك اعتمد الرّنّاد على الشخصيات ذات الأبعاد المتنامية في غير تعقيد لأن المتلقي القارئ لن يجد عسرا في إدراك ملامحها وفهم سلوكها. فهي تتطور مع الأحداث، وتتفاعل مع محيطها القيمي في إطار من الوعي الفردي والجماعي في انسجام مع ذاتها وقناعاتها الفكرية لتظل واضحة المعالم في مجرى الأحداث لأنها بدت قريبة من إدراك القارئ المتلقي. ولعل هذا ما مثله معظم الكتاب الواقعيين من أمثال نجيب محفوظ أو بلزاك أو دوستويفسكي.

وهكذا فإن الأزهر الزناد قد نوع في الشخصيات، وصنّفها واقعيا ورمزيا فمثّل وجودها في حد ذاته فكرة ذات أهمية مما يجعل السارد يوليها اهتماما كبيرا عندما يركز على سماتها في مستوى القول والفعل والحال ليشكل هويتها في صراعاتها التي تخوضها مع الطبيعة والمجتمع أو حتى في صراعها الداخلي مع ذاتها. فتكون مثيرة للجدل، فتغدو محورا للحديث لدى بقية الشخصيات.

وتبقى الشخصيات أهم العناصر في المجموعة بنوعيها الإنساني والحيواني (القنفد /الحلزون المنتظر) مع أننا لا نجد في القصة القصيرة تعددا في الأصوات فالشخصيات قليلة ولذلك تكون الشخصية الرئيسية بمثابة المحرك الأساسي أو المحفز الحراري أو القادح لكل الأحداث ولكل القضايا المطروحة في كل أقاصيص المجموعة من البداية إلى النهاية، وهي المؤثرة في الفكرة الرئيسية. وهذا يجعلها مؤهلة للتبرير والتعليل لمختلف الأحداث والمراحل المرتبطة بها وأيضا هي القادرة على تشكيل مواقفها من كل القضايا المطروحة، وبالتالي تكون مطالبة بتقديم حلول لتلك القضايا والمشكلات التي يعاني منها المجتمع الحديث، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بينها وبين أدوات السرد القصصي عند المؤلف لأنه سرد في علاقة جدلية مع الواقع الذي يلامسه عبر تلك الشخصيات في مزج طريف بين الواقع والتاريخ الموثق من جهة، وعنصر التخييل من أخرى.

البنية السردية في مجموعة عبوة السعادة

مما لا شك فيه أن البنية السردية في القصة القصيرة تختلف في آلياتها الفنية، لذلك تتميز الكتابة فيها بنوع من الصعوبة بالمقارنة مع الرواية أو المسرحية ذلك أن الكاتب يمتلك حيزا ضيقا ومحدودا في الوصف أو في تكرار المشاهد التي يجب أن يخرجها في صورة محكمة خالية من الإسهاب في السرد مع التركيز على حدث معين يسلط عليه الضوء بطريقة مكثفة لأن القصة القصيرة لا يمكنها أن تستوعب الاهتمام بالعديد من القضايا.

ومن هذا المنطلق وجدنا الأزهر الزناد يعتمد في مجموعته «عبوة السعادة» على بنية سردية ذات نظام مخصوص سواء في مستوى تخير الشخصيات أو تحركها في فضاءات مختلفة كما في بائع عبوة السعادة / الصياد السّمك/ لسان البحر/ صاحب الدمية الروسية / لاعب السرك / المشي بالمقلوب.

ومن هنا ارتبطت البنية السردية بالمضمون المراد التعبير عنه وانتقى له شخصياته التي كانت لسان حاله في تمثيل الواقع الاجتماعي أو تمثله بالطريقة أو الأسلوب المناسبين له وفي علاقتها بالأحداث التي تتواتر منتظمة في تطوّرها التصاعدي وفي تأطيرها زمانا ومكانا، إذ لا يمكن طبعا أن تكون الأحداث خارج الزمان والمكان.

ويجد القارئ يجد نفسه في بنية قصصية مؤسسة على هذا الثالوث: الحدث /الزمان /المكان. وهو ثالوث، نراه يتحكم في تحرك الشخصيات واستمرارها العلائقي بوضع البداية، ثم التحول، ثم الختام أو النهاية. وهنا نقف على تطور الأحداث على مستويين اثنين: بنية خطية -بنية غير خطية. وعبر هاتين البنيتين يركّز السّارد على الوصف المكثف للشخصيات في أقوالها وأفعالها وأحوالها وكذلك للفضاءات الزمانية والمكانية التي تتحرك فيها بكل ما تتسم به هذه الفضاءات من تنوع من حيث انفتاحها او انغلاقها او في أبعادها النفسية الفكرية، كما في أقصوصة «حبي يتبدل يتجدد» أو أقصوصة «العاصي» أو «مراتيج صماء». ويقف القارئ أيضا على بدايات كانت في أغلبها عادية جدا لتتحول إلى تأزم شديد عندما يجعلها السارد تسير بحسب منطق آخر مغاير تماما لتلك البدايات التي يسودها الهدوء والسكون، بل والاطمئنان لتغدو في وضع انفجار يشي بحدوث الكارثة.

ولا ينتابنا هنا أي شك في أن المستوى الفني يؤثر بصفة مباشرة في المسار السردي لمجموعة «عبوة السعادة» مما يجعلنا نقف على تقنيات متنوعة عبر السرد والحوار والوصف وهي تقنيات ارتبطت بأدوات مخصوصة للمؤلف في امتلاكه ناصية الكتابة السردية وقدرته على وضع استراتيجيته السردية التي نزلها في علاقة بالأنساق الفكرية والأدبية في أطر متنوعة اجتماعيا وفكريا وسياسيا وتاريخيا وأخلاقيا وهي أنساق تمثل السياقات الحيوية التي انبنت عليها مضامين القصص إذ تختزل الرؤية الأدبية للمؤلف بكل سماتها وتجلياتها الجمالية والإبلاغية المرتبطة بمعالم تاريخية تعيّن زمن الكتابة في آخر كل قصة فيما أسميته بالمشهدية المتحركة المتحولة لأنه مدرك بأنها غير ثابتة بعناصرها المتنوعة التي تلامس الذات والجوهر أو الباطن بعمقه بما يمكن أن نسميه «الفتنة الإشارية» في سردية مخصوصة اعتمدها في المونولوج أو الحوار الباطني الذي ينقل لنا ما يدور في فكر الشخصية من أفكار أو ما يعتمل في النفس من مشاعر تكشف لنا أحوالها الداخلية سلبا أو إيجابا كما في «حبي يتبدل يتجدد»، مثلا، ومن هنا يتضح لنا الخيط الناظم بين البنية السردية والمجتمع اعتمادا على مقولة لوكاتش الذي رأى أن السرد عموما هو «حكاية بحث متهافت عن قيم أصيلة في عالم متهافت.»

وهذه القيم الأصيلة ليست تلك الموجودة في ذهن الناقد او القارئ، وإنما هي تلك القيم التي لا نراها بشكل ظاهر ومجرد، بل هي تلك التي تنظم عملية السرد من الداخل من خلال التشكيل المنطقي للعلاقات بين الشخصيات. وهو الذي يكمن في ذهن الكاتب في إطار بنية عقلية واضحة وجلية المعالم ينقلها سردا في مستوى الخلق الفني برؤية عميقة في اتساق وتوافق مع البنى الفكرية بدرجة أولى داخل مجتمع معين. وكذا كان الأمر عند المؤلف «الأزهر الزناد» في رأينا فقد حاول أن ينوع في طرق العرض للأحداث بحسب القضايا المطروحة استهلها بحلم منشود يراود الإنسان منذ بدء الخليقة، هو البحث عن السعادة، ثم عبر مجموعة من الشخصيات النامية بتصرفاتها ومواقفها المرتبطة بمنظومة اجتماعية وأخلاقية محددة بزمانها ومكانها لذلك انخرط في صوغ أفكاره وتجاربه في بنية فنية تجسدت في تلك الشخصيات والأحداث في غمرة من الإحساس المتدفق بالمتعة الفنية والوعي بقدرته على توسيع مدارك القارئ وآفاقه في فهم الواقع بكل إرهاصاته وبنهايات مباغتة سار فيها على نهج علي الدوعاجي حين يفاجئنا بحدث غير متوقع ولكنه في انسجام مع الأحداث السابقة كما في «مراتيج صماء» أو «لا شيء» أو «قاهر الكوبرا»

لقد نزع الأزهر الزناد في مجموعته عبوة السعادة منزع السرد الحديث في انتهاج التصوير للوعي الإنساني من خلال الواقع الاجتماعي تصويرا عميقا يجسد مواكبته لما طرأ من متغيرات وتحولات سريعة في المجتمع بفعل ما تشهده البشرية من انفتاح وتفتح لتتحول الأسئلة البسيطة في معناها وتتخذ أبعادا فكرية فلسفية. ففي قصة «حبي يتبدل يتجدد» نجد «سالم « وهو الموظف بالبنك يفكر (كما ورد في صفحة 100) في، التقسيط والتأجيل وهو، يعلم أن تسديد الديون لا يكون إلا بالتقسيط ثم يتساءل مستدركا تساؤلا بسيطا، ولكنه ألبسه سمة فلسفية وجودية، في رأينا، حين قال في نفسه: «لكن لم لا يكون التقسيط مبدأ في الوجود وفي الحياة وفي الممات وفي اللذة وفي الألم؟!»

على سبيل الخاتمة

إن القارئ لمجموعة «عبوة السعادة» يكتشف صدق التجربة السردية وعمقها لدى المؤلف الأزهر الزناد. والصدق هنا ليس بمعنى نقل الواقع وحكايته كما هو في حقيقته الملموسة المجردة أو نسخه مثلما حدث، وإنما كان نقلا واعيا باختيار الأحداث فكان ترتيبه للقصص ترتيبا محكما فنيا وجماليا إذ لم يكن ذلك اعتباطيا كما تبين لنا بتصوره المدرك للقضايا التي سلط عليها الضوء فتجاوز العالم الواقعي كما هو في إطاره الحسي الملموس وقدمها من منظوره المفهومي المرجعي بما اكتسبه من مهارة فنية تجاوز فيها مجرد سرد ما يقع ليضعنا، أمام مقولة «جورج دوهاميل» وهو بصدد تقديم نصيحة لأديب شاب ناشئ في شكل تساؤل «أو أنت صادق النية فيما تريد؟ إذن تعلم كيف تكذب» (Charles Lalo, Notion d'esthétique p 29-30). والمقصود بالكذب هنا هو البراعة في سبك الأحداث المختارة من الواقع وتبريرها فنيا على نحو مقنع للقارئ الذي يدرك بأن الكاتب له إلمام معرفي بذلك الواقع في مختلف تمظهراته كما هو الأمر في أقصوصة» المشي بالمقلوب « أو « قاهر الكوبرا « مثلا.

لقد كان للمؤلف «الأزهر الزناد» نظرة خاصة إلى الأشياء في مجموعته القصصية بعيدا عن تلك السطحية في الموقف بل هو قد أضفى عليها من أفكاره وخياله ليكونها تكوينا منطقيا وفلسفيا بتعمقه في الحادثة وعرضها من جوانبها المختلفة باعتبار أهميتها حين يترصد أحوال الشخصيات وأفعالها وأقوالها كما هو الحال مثلا في قصة «لسان البحر» التي بدت لنا بطعم الوصف الدقيق في متابعة الصياد ورصد حركاته التي توحي بالرمز الكائن فيها والمتمثل في ذلك الصراع الأبدي للإنسان مع الكون والطبيعة من أجل البقاء بكل ما ينطوي عليه هذا الوجود من أسرار وألغاز ومفاجآت. كما أنّ المؤلف عمل على نقل الأحداث والحوادث من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية لتأخذ في الكثير من القصص داخل المجموعة بعدا كاريكاتوريا كوميديا ساخرا مضحكا، ولكنه ضحك كالبكاء لأنه ينطلق من المعاناة الإنسانية المريرة فينصب اهتمامه على الموقف وعلى الشخصية في الآن نفسه كما في (ضمير للبيع ص 78 إلى ص 81 /العاصي ص 84 / مراتيج صماء 111/ القنفد ص 139 /قاهر الكوبرا ص 153). وبهذا الأسلوب الكاريكاتوري جرد المؤلف الشخصيات والمواقف من العناصر المادية ليجعل المتلقي مركزا بدرجة أولى على ملامحها البارزة والمميزة ذات الدلالة الخاصة «فيجسمه ويفخمه لكي يلفت النظر إليه تماما كما يصنع رسام الكاريكاتور، مثلما قال عز الدين اسماعيل في كتابه «الأدب وفنونه « (ص208). وهكذا يتضح لنا أنّ الأزهر الزناد قد وضع لنفسه استراتيجية فنية مخصوصة سار على نهجها وعمل في ضوئها عن وعي بعناصر الكتابة القصصية وأدواتها ومادتها باعتبار القصة القصيرة جنسا أدبيا له مقوماته الفنية التي أدركها المؤلف بخلفياتها الفكرية والمعرفية.

قراءة في «مراوغة حلم» للأديبة لين هاجر الاشعل... نحو كتابة أقصوصية جديدة

عبدالرزاق القلسي

إننا لا نكف عن قراءة الأقصوصة ونعتبرها الجنس الأدبي والسردي الودود الذي يستطيع اي كان ان يمارسه وان يستودع فيه ابعادا من خبرته في الحياة والمجتمع مهما كانت ثقافته السردية ومهما كانت دربته على الكتابة فالأقصوصة جنس أدبي مشاع يهب نفسه إلى جميع القراء والى كل أحباء الكلمة وعشاق الحرف ومن كتابة اقصوصية تقليدية وكلاسيكية الى كتابة جداثية مشرعة على كل أشكال التجديد والتحديث ...تلك هي المسيرة الممكنة التي يتوغل فيها كتاب الأقصوصة ليصلوا يوما ما الى العالمية وليكونوا في وقت من الأوقات حجة في هكذا نمط من الكتابة مثلما تكون لكتابتهم الاقصوصية الحجية في التأريخ لتطور هذا الجنس الأدبي سواء على صعيد المنجز السردي المفرد أو على صعيد النوع والجنس الاقصوصي برمته .

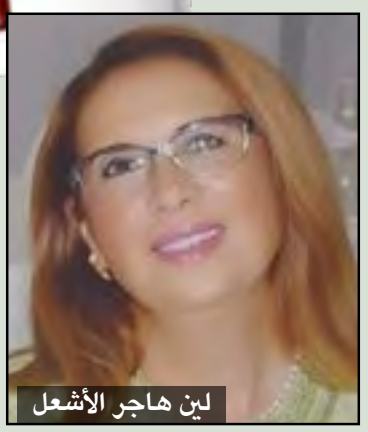
لين هاجر الأشعل

ولكن

هل يمكن ابتداع بنية اقصوصية بكر ؟ لم يشهدها اي كان ولم يكتب على نهجها احد أم إن ذلك يعد مبالغة في التقويم وشططا في الاستنتاج والحكم .؟طالما ان للاقصوصة ذاكرة فنية وجمالية لا يمكن للأديب إلا الأخذ منها والتاثر بها غير أن قراءتنا للمجموعة القصصية للأديبة والشاعرة لين هاجر الاشعل والموسومة ب «مراوغة حلم « والصادرة عن دار الأمينة للنشر 2023 تجعلنا نقر –ولو بحذر – ان التجديد والكتابة على غير نموذج سابق امر ممكن ولو نسبيا فهذه الأديبة الروائية قد كتبت لنا مجموعة قصصية تنتمي الى ما يطلق عليه بالقصة القصيرة جدا وهي نمط من الكتابة الوجيزة التي تتطلب قدرا كبيرا من التكثيف والاختزال والاقتصاد في الوصف وفي التعبير وفي الخطاب بل ان التقشف اللساني هو القانون الأسمى الذي يحكم هكذا نمط من الكتابة ولكن ذلك لا يحجب عنا السؤال المشروع التالي :اقتصاد في الكتابة على حساب ماذا ؟ ولكن يبدو ان السؤال المركزي الذي يقود عملية الكتابة لديها هو في أن تكتب أقصوصة بالغة في القصر ومع ذلك تستوفي بها العناصر الجمالية والتكوينية في اية عملية سردية تستهدف القص عن شيء ما ولكن الاستراتيجية التي رسمتها الكاتبة لنفسها لا تنهض فحسب على عملية سرد خطي وتعاقبي لحدث من الأحداث او لواقعة من الوقائع مثلما يدعونا إلى ذلك نظرية الاقصوصة حتى تنشا عن ذلك وجدة الانطباع لدى القارئ وإنما عمدت الكاتبة الى الاشتغال على التيمات في كل صفحة من الصفحات ومن بينها تيمة :الولادة / الغرام / الخيانة / المعاشرة / الحب / الصداقة / العنوسة / الموت / الحرية / السجن ومن خلال هذه التيمات تنشأ عملية الكتابة عبر الفكرة وضدها او نقيضها في حيز لساني محدود :نعت ومنعوت ،مضاف اومضاف اليه ثم تنخلق عملية القص من خلال ذلك التضاد الأصلي والتكويني الذي يشق كل النصوص لديها وهذه النصوص ذات طبيعة شذرية وهي تتوالد بنوع من الفوضى المقصودة والنشاز الجمالي الذي تحرص الكاتبة على التعاطي معه وبتطور عملية القراءة نلاحظ أن الكتابة لدى لين هاجر الاشعل تنهض راسيا وعموديا على تظافر قصتين اومحكيين اثنين تبدو العلاقة بينهما قائمة على البعثرة والتشظي وعدم الانتظام الذي ترى الكاتبة انه من مهمة القارئ وليس من وظائف الكاتب الذي يغير موقعه في عملية الكتابة باستمرار وهذا في ذاته أمر مستحدث ولكنه عملية شاقة بالنسبة للقارئ الذي يجب ان يكون ذهنه متيقظا مع تطور عملية الكتابة والتخييل .

إننا نقرا أقاصيص «مراوغة حلم « وفي الآن نفسه نعي تماما اننا بصدد قراءة أقاصيص تنتمي اجناسيا إلى النمط الوجيز من الكتابة مثلما تنتسب إلى ضرب من الحكي غير التقليدي الذي لا يتخذ من الحدث البؤرة السردية الأولى وإنما يخلق حركة ذهاب وإياب بين حكاية أصلية وأخرى متوازية معها وإذا بالقراءة هي في الأصل حركة ذهاب وإياب بين الحكاية الأولى والحكاية الثانية خاصة وأنهما لا تتداخلان لا على صعيد الخطاب ولا على صعيد الزمن فالحكاية الأصلية تنهض على حكي لعملية تحرش كانت الكاتبة (أو من ينوب عنها في عملية السرد) عرضة لها في عز شبابها وهي تتهيأ لانجاز أطروحة الماجستار وهذا التحرش هو السر السردي الذي انعقدت عليه عملية السرد ويبدو لنا نحن القراء أن الكاتبة أو الذات المتلفظة قد بحثت عن نوع من التحرر من عبئ إخفاء هذا السر لسنوات من الزمن وإذا بعملية الكتابة فيه تمسي عملية تطهير من شيء ما وإذا بالكتابة كلها تستحيل إلى ومضة اوتوبيوغرافية تحيل الى ذات مرجعية وتاريحية التي هي ذات الكاتبة بشحمها ولحمها .ولكن عملية الكتابة في هكذا موضوع حميمي ومخصوص وذاتي ليس بالعملية الهينة وليس بالبوح اليسير الذي لا يحقق مراده في التطهير –الكاترزيس_ بمجرد التعبير والتلفز وإنما يمتد إلى معرفة ردود الآخرين واستقراء مواقفهم من هكذا لحظة اعتراف نقلت عملية الكتابة برمتها من مستوى القص الوجيز إلى مستوى الاوتوبيوغرافيا

الوجيزة التي تتطلب في الأصل أدوات أخرى في الكتابة لعل النمط الوجيز لا يسعها ولكن هاجس الأديبة لينا الاشعل لا يكمن في الوفاء بأصول الاوتيوبيوغرافيا وقواعدها وإنما في ان تكتب محكيين متوازيين وان يكون لكل محكي قفلته ولحظة تنويره في كل صفحة من صفحات الكتاب التي تبدو هي المقياس في عملية استيفاء النمط الوجيز كل شروطه وقواعده التي تمثل الهاجس الجمالي الأعلى بالنسبة للكاتبة فعلى سبيل المثال يتكلم المحكي الأول عن مسالة التحرش وعن صمود المرأة أمام المتحرش الذي كان يملك سلطة اجتماعية وأكاديمية وتقول في ذلك «أغواها ،صدته « ص.38 وفي الآن نفسه وفي الصفحة ذاتها تتكلم عن عملية اغتصاب كانت إحدى النساء عرضة لها وتتطور القراءة بتتبع مصير كلا المرأتين فواحدة تمتلك الإرادة لكي تقول لا للمتحرش في حين ان الثانية لم تسعفها الظروف بان تواجه المغتصب الذي ستلتقي به في أروقة المحكمة في محاكمة تبدو أنها لا تسير في مصلحتها وفي الأثناء يتبع السرد الحركات والمواقف والوقائع في إيجاز شديد واختصار بليغ بحيث تبدو الكتابة كما لو كانت كتابة مشفرة وملغزة وما ضاعف من الغازيتها غياب التسمية للشخصيات وللأعلام التي تبدو كما لو كانت أرقاما او علامات فهذه الإستراتيجية في الحد من حضور الشخصيات هي في الأصل إستراتيجية اقصوصية ولكن كتابة النمط الوجيز تسحب عملية التسمية لكي يكون الحدث الرئيس أو الواقعة هي البؤرة التي تستقطب النظر والتفكير وردود الفعل وان كان هذا الخيار يطرح إشكالية أخرى شهدتها فيما مضى موجة الرواية الجديدة في الخمسينات في فرنسا والعالم وهي في أزمة ضمور الإنسان أمام الأشياء (في حين انه في القص الوجيز نلاحظ ضمور الإنسان أمام الوقائع والأحداث على قلتها) .

الأديبة لين هاجر الاشعل لا تكتب نصا فحسب بقدر ما تساهم في خلق جنس من أجناس الكتابة السردية التي تنهض على نواميس تستمد بعضها من الأقصوصة : الاختزال في الوصف ،محدودية مساحة الحوار أو حتى غيابه ،الحدث الأوحد ،في حين تستمد بعضها الأخر من طابع المفارقة الضدية بين ما تقول وبين ما يقع ،ومن تسفيه انتظار القارئ خاصة في قفلة كل صفحة ،ومن وفرة الشخصيات التي يزدحم وجودها في الفضاء السردي على نقيض ما هو شائع في الأقصوصة ، ومن الفوضى المقصودة التي تسم عملية الكتابة برمتها والتي تجعل من عملية التفطن إلى التحرش أو الاغتصاب عملية تتطلب قراءة أولى وثانية لنعرف بدقة عما تتكلم الكاتبة وعما تسرد الساردة .إضافة إلى كتابة محكيين اقصوصيين بصورة متوازية بأقل ما يمكن من الكلام وبأقصى ما يمكن من الخطاب ولعل هذه هي المعادلة الفنية والنوعية التي يقوم عليها مبدأ القص الوجيز: وجود خطين سرديين يتقاربان في الموضوع والفكرة :التحرش والاغتصاب ولكن يختلفان في المعالجة الدرامية وفي الصياغة السردية وفي الشخصيات (أو الفواعل) غير المسماة التي ستنهض عليها وان كان بعضها يؤشر على كائن تاريخي (الذي من الممكن ان يكون الكاتبة ذاتها) أو على كائن ورقي نموذجي نجد أمثالا له في طول المجتمع وعرضه وفي أثناء ذلك تتخفى الكاتبة وتتوارى أمام أدوات القص الوجيز فكل ما تسعفنا به هوومضات اقصوصية وشذرات سردية تنشا من عمليات تراكم الحكي للموضوعين :التحرش والاغتصاب ولكن موقفها يخرج من صمته وحضورها يكف عن غيابه بان تصوغ لنا مآلات الأمور وهي لا تخرج عن وقوف المحكمة مع الجاني ضد الضحية وتعالي المتحرش عن أية محاسبة وفي ذلك يلوح لنا موقف الكاتبة الحقوقي والإنساني (والايديولوجي لم لا) المنافح عن قضية المرأة في المجتمع العربي من دون أن يكون دفاعها ذاك تجنيا على مفاهيم الرجولة او زجا بكتابتاتها في صراعات مع الرجل لا احد يخرج منتصرا فيها .

ان قراءة «مراوغة حلم « للأديبة والشاعرة لين هاجر الاشعل لا بد أن تقف على القوى التي تصطخب في الومضات والشذرات السردية التي تكتبها بواقعية السرد طورا وبقلق الشعر طورا آخر وبحتميات القص طورا ثالثا .فمما يلاحظ كثرة الفواعل والكائنات التي تدخل ساحة المشهد السردي الخاطف ثم ما تلبث أن تخرج منه فالحركة هي التي تحكم هذا المشهد ولأجل ذلك يقل الوصف أو ينحصر في حدود ضيقة ويتابع السرد وضعية المرأة المتحرش بها ووضعية المرأة المغتصبة في كل الفضاءات الممكنة :في الجامعة،في الأسرة،في المحاكم ،ويكون نفاذها إلى هذه الأماكن في الآن ذاته نفاذا إلى عقلية المجتمع والى الأعراف التي تسوده والى مفاهيم العدل والظلم والأنوثة والرجولة والبكارة والشرف والتدين المظهري وما إلى ذلك من المسائل التي شهدها المجتمع التونسي على امتداد عقد من الزمن .

نشير إلى أن الكاتبة تعمد إلى ضرب من الترميز الشفيف فهي لم تتكلم عن الجنس ولو بحرف واحد ومع ذلك فان تطور البنية السردية لهذا العمل الإبداعي تنبثق من علاقات جنسية اكتفت الأديبة بالإشارة اليها اوالتلميح لها طالما ان القصة القصيرة جدا تأخذ من الشعر اشاريته وصوره مثلما تأخذ من الأقصوصة بعدا من واقعيتها ومثلما تأخذ من الواقع المعيش ومضات خاطفة كأنها أحلام اليقظة التي نراها ماثلة في حياتنا ولكن من دون أن تستوعبها ادراكاتنا العرفانية .

وفي آخر هذا المقال الذي أردنا أن يكون مصافحة أولى لإبداعات الأديبة لين هاجر الاشعل يجدر بنا أن نبدي هذه الملاحظات :

- ان النمط الذي انتخبته الأديبة لكتابة «مراوغة حلم « يطرح جملة من الصعوبات أهمها أن القارئ يجد نفسه أمام نص متعددة السجلات الواقعية والعجائبية والقانونية والرمزية وهوما يجعله يسعى إلى تغليب سجل على آخر حتى يكون هو السنة أو الشفرة التي تسمح له بالفهم لما تكتبه الكاتبة بلغة يتزاوج فيها البعد الشعري مع البعد السردي ضمن عملية كبرى من الكتابة التي تحتفي بالنشاز الجميل .

- العناوين لوحدها برنامج سردي خاطف ولكنه زاخر بالمعنى ولهذا النص الأدبي عناوين عديدة تيسر الفهم ولكنها أيضا قد تربك القراءة لأنها تقترن عادة بتغير سريع في الفواعل التي تنهض بالحدث الرئيس وهذه الفواعل ليست معلومة بالضرورة سلفا بل قد تكون ناشئة لحظة القراءة مما يطرح سؤال وظيفتها في صلب المحكي الأول أو المحكي الثاني اللذين تنتظم عليهما عملية السرد .

-إضافة الأديبة تتمثل في رأينا في أن الكتابة لديها توفق بين أمرين لا تنهض بدونهما عملية القص والقص الوجيز وهما :القفلة التي يجب أن تخلق لدى القارئ انطباعا جميلا ومدهشا وغير منتظر ثم إن هذه القفلة ليست مؤشرا على نهاية القص كما هو الأمر في القصة القصيرة وإنما عبور إلى قص جديد ذي قفلة أخرى وهكذا على امتداد صفحات الكتاب .وهذا من شانه أن يخلق وعيا بان هذا المقروء لم يكن وفق نموذج سابق تحاكيه الكاتبة .

إصدارات

«غريب بين العابرين»: جديد الكاتب السوري حسن المير أحمد... رحلة في ثنايا النفس

منية كواش

صدر مؤخّراً للكاتب حسن المير أحمد كتابا بعنوان «غريب بين العابرين» ، عن دار أوستن ماكولي للنشر – الإمارات العربية المتحدة-، ويتضمّن هذا الكتاب مجموعة من القصص القصيرة والخواطر، التي تتمحور حول رحلة في ثنايا النفس والمشاعر.

اتخذ الكاتب حسن المير أحمد لكتابه عنوان «غريب بين العابرين» وهو عنوان جذّاب ومميّز لمجموعة من القصص القصيرة والخواطر التي تأخذ القارئ في رحلة مؤثّرة عبر ثنايا النفس البشرية.

تعكس هذه القصص قوة وسحر قلم الكاتب حسن المير أحمد بوصفه ونقله للمشاعر الإنسانية بشكل مؤثّر وجذّاب ،فتحدث عن الوفاء والكبرياء والحب وآلامه وبهائه وجماله، وعن عنفوان القلب والحنين الذي يجتاح الإنسان لتخلد له الذكرى مرة أخرى، وتجتاحه المشاعر من جديد.

أبرز كتاب»غريب بين العابرين» موهبة حسن المير أحمد الأدبية وقدرته الكبيرة على جذب القارئ والتأثير فيه من خلال تقديمه لسيمفونية من الأحاسيس ومن المشاعر الفيّاضة.

جاء الغلاف معّبراً ومتناغما مع محتوى الكتاب بشكل لافت وواضح فقد إعتمد الكاتب حسن المير أحمد لغلاف كتابه لوحة رائعة للفنان التشكيلي السوري: إبراهيم الحميد.

عرض هذا الكتاب في معرض الشارقة الدولي للكتاب في دورته الحالية 2023، من خلال جناح الدار Hall No. 2 – D-21، خلال فترة المعرض من 1 نوفمبر إلى 12 نوفمبر 2023، وقام الكاتب بتوقيع كتابه في الجناح المذكور يوم السبت 4 نوفمبر 2023.

إنّ الكاتب حسن المير أحمد هو كاتب وصحافي سوري مقيم في الإمارات العربية المتحدة، عمل في العديد من المطبوعات المعروفة، وتبوّء مناصب مرموقة فيها، وله مجموعة قصصية بعنوان «الأشلاء»، وإسهامات في القصة والشعر والنصوص الأدبية في العديد من الصحف والمجلّات والمواقع الإلكترونية. كما أنه حاصل على الإقامة الذهبية من هيئة الثقافة في دبي.

حسن المير أحمد

متابعات

«بين المقروء والمرئي» للفنان التشكيلي سمير التريكي :

جمع بين جماليّة الإبداع والبعد الفكري التنظيري

يمارس التأصيل التشكيلي، لوحاته الفنيّة تضيئها تجليات صوفيّة، يبني منجزه التشكيلي بناء على تفاعل بين التأمّل النظري والفعل الفني التجسيدي، كذا هو الفنان التشكيلي والأكاديمي سمير التريكي كما قدّمه الأستاذ والمبدع علي اللواتي في لقاء تقديميّ، نظّمه قسم الفنون بالمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون «بيت الحكمة» يوم الجمعة المنقضي لتقديم كتاب بين المقروء والمرئي، الذي اختزل فيه الباحث سمير التريكي مسيرته على امتداد نصف قرن، تلك التي جمعت بين الفن التشكيلي والبحوث الفكريّة في مجالات عابرة للاختصاص.

افتتح الأمسيّة رئيس القسم الأستاذ سمير بشة، منزّلا اللقاء في إطار الاهتمام بمنجز فكريّ وفنيّ مفعم بالمضامين التي تستوجب الرحلة الاستكشافيّة في تضاريس تفاصيلها، وهذا ما جسّدته مقاربة علي اللواتي المسلّمة بأنّ المبدع «إن كتب رسم وإن رسم كتب» لأنّه ينشد باستمرار وحدة العقل والوجدان.

ويعدّ سمير التريكي من الأكاديميين والمبدعين المراهنين على تلك الوحدة كما ورد في تقديم اللواتي، المؤكّد على أنّ الأعمال الفنيّة مواقف فكريّة من الذات والعالم، فهي ليست هواجس شعوريّة وجماليات محضة، بل هي تأمّلات وممارسات نقديّة وأطروحات تعالج قضايا الشأن العام، بما تعنيه العبارة من دلالات مختلفة. واحتوى الكتاب وفقا للمقدّم على مجموعة من الدراسات والبحوث والمداخلات الناطقة باللغتين العربيّة والفرنسيّة، بعضها لم ينشر، والبعض الآخر نشر سابقا في مجلاّت عربيّة وعالميّة محكّمة، وفي مؤلّفات جماعيّة صدرت في تونس وفي دول عربيّة مثل سوريا والأردن، وأوروبيّة على غرار فرنسا. لذلك يعتبر الكتاب «ثمرة المسيرة الفنيّة والفكريّة للتريكي» وفقا لعبارة علي اللواتي، وتتميّز تلك الثمرة بالتنوّع والعمق، حيث تناولت قضايا الحداثة والكونيّة والمركزيّة والصوفيّة، إضافة إلى المسائل التعبيريّة، وإشكالات التراث، والحرف الفنيّة، وعالم العمارة، والتثاقف بين الشعوب.

صفوة القول يعدّ الكتاب وفقا لمحتوى التقديم والنقاشات سيرة ذاتيّة باعتباره يتضمّن دراسات وبحوث المؤلّف على امتداد الأربعين سنة، ويعتبر مرجعا للمهتمين بالأعمال الفنيّة والإستيتيقا لأنّه يجمع بين جماليّة الإبداع والبعد الفكري التنظيري.

في اجتماع رابطة كاتبات افريقيا بتونس :

نداء إلى حكومات البلدان الافريقية لدعم مكاتبها المحلية

نهلة عنان

انتظم مؤخرا اجتماع رابطة كاتبات أفريقيا من خلال وفد مغربي يضم رئيسة الرابطة الادبية والاعلامية ربيعة الراضي و نائبتها الروائية زهرة عز وعضو المكتب الدائم الفنانة التشكيلية الكبيرة لبابة لعلج و رئيسة فرع ليبيا الناشرة فاطمة حقيق مصحوبة بالكاتبات عضوات الفرع غادة البشاري وسالمة المدني وأمينة محمد منصور اضافة الى رئيسة فرع موريتانيا الكاتبة منى بنت الداي (عن بعد) و رئيسة فرع تونس الكاتبة فاطمة بن محمود إلى جانب مجموعة من المبدعات التونسيات و من بينهن شاعرات و قاصات وروائيات و فنانات واعلاميات..

جانب من اجتماع رابطة كاتبات افريقيا

تم هذا الاجتماع في مدينة الثقافة الشاذلي القليبي بتونس العاصمة حيث استقبلهم الكاتب محمد المي رئيس منتدى الفكر التنويري. افتتحت الاجتماع و الكاتبة فاطمة بن محمود بوصفها رئيسة فرع تونس للكاتبات الافريقيات والتي عُينت بالانتخاب في مؤتمر الرباط المنعقد في 8 مارس 2023، رحبت بالحاضرين وشكرت رئيسة الرابطة بديعة الراضي لأنها اختارت أن تكون تونس أول وجهة لها خارج المغرب.

في كلمتها أكدت الكاتبة بديعة الراضي رئيسة رابطة كاتبات أفريقيا أن هذا الاجتماع يأتي في إطار سلسلة من الاجتماعات التي تهتم بكل دول افريقيا من خلال تقسيم استراتيجي (دول شمال أفريقيا/ شرق أفريقيا/ غرب أفريقيا/ وسط افريقيا/ جنوب افريقيا) ونوهت بالحراك الثقافي التونسي ودور المرأة الفاعل اجتماعيا و إبداعيا وأعربت عن سعادتها أن تكون تونس مقر لاجتماع يضم كل دول شمال افريقيا.

الثقافة عنصر تنمية:

كما أكدت السيدة بديعة الراضي على أن الثقافة عنصر تنمية و للمرأة دور طلائعي يؤهلها لتكون على رأس قافلة الثقافة تساهم في تنوير العقول و تعبيد طريق الكرامة و الحرية ومواجهة العنف والفوضى بقيم الابداع ونشر الجمال. وشجعت كل الكاتبات الحاضرات من أجل دعم العمل الثقافي لأنه الواجهة الحقيقية لكل نظال من أجل الانسان، وهذا يعني أن العمل صلب منظمة مثل اتحاد كاتبات افريقيا يضمن النجاعة والفاعلية. لهذا توجهت السيدة بديعة الراضي في كلمتها الى كل الحكومات من أجل دعم معنوي و مادي لكل المكاتب المحلية لرابطة كاتبات افريقيا من أجل تشبيك علاقات ثقافية بين مختلف البلدان ترفع من قيمة المرأة المبدعة وتكشف عن قدرتها على تشكيل صورة لها بعيدا عن الصورة النمطية التي يكرسها الغرب والذي يحرص أن يرى افريقيا على الصورة التي يريدها هو، لهذا بإمكان المرأة المبدعة ان تجعل العالم يعيد اكتشاف أفريقيا بما هي موروث ثقافي يضم مواهب ابداعية، كما أن للإنسان الافريقي قدرات على الخلق والابتكار و بإمكان افريقيا أن تضيف للعالم أبعادا جمالية مختلفة .

وفي هذا الصدد أشارت الراضي رئيسة رابطة كاتبات افريقيا إلى ضرورة التسريع لاستكمال تأسيس بقية الفروع، وأكدت على ضرورة تنظيم الصف الليبي لتساهم المرأة المبدعة في خلق اجواء ثقافية تعبر عن عمق ليبيا وثرائها بعيدا عن التجاذبات السياسية وهو ما يعني انه بامكان الرابطة تجميع كل الكاتبات و المبدعات الليبيات تحت راية الثقافة والانتصار لقيم الابداع.

نداء تونس الثقافي:

في ختام مداخلتها نوهت بديعة الراضي بمكتب رابطة كاتبات افريقيا بتونس وعن نشاط رئيسته الكاتبة فاطمة بن محمود التي تفاعلت مع هذا المشروع الثقافي منذ أن كان في شكل رابطة مغربية بقيادة المرحومة عزيزة يحضيه عمر وأسست بن محمود جمعية الكاتبات المغاربيات بتونس وقامت من خلالها بندوات كثيرة اهتمت فيها بالادب التونسي و العربي استضافت أسماء ابداعية كثيرة.

وتم صياغة بيان تحت عنوان «نداء تونس» الثقافي وفيه تأكيد على ضرورة دعم معنوي و مادي لهذا المشروع الابداعي الكبير والذي من شأنه أن يساهم في تفعيل الثقافة بما هي رهان اجتماعي وتعزيز مكانة المرأة المبدعة.

تفاعل الحاضرات:

أبدت الكاتبات الحاضرات تجاوبا مختلفا عبرت جميعها عن تفاعل جيد مع فكرة الرابطة من ذلك نوهت الكاتبة مسعودة بوبكر بفكرة رابطة تجمع كل كاتبات القارة واعتبرتها مشروعا مهما يستحق الدعم وقد ساندتها في هذا الرأي الكاتبة نهلة عنان والرسامة حياة مدب القاسمي الا أن الكاتبة آمال مختار أشارت الى حجم الصعوبات التي قد تجعل من هذا الحلم يمكن أن يواجه عراقيل شتى.

تكريم الضيفات:

في ختام الاجتماع اختارت الكاتبة فاطمة بن محمود أن تكرّم رئيسة رابطة كاتبات افريقيا السيدة بديعة الراضي بتقديم درع و شهادة تكريم كما وزعت على بقية الحاضرات من الضيفات المغربيات و الليبيات شهائد تكريم اعتزازا بمساهماتهن في انجاح فكرة الرابطة وإثراء المكتبة العربية بمنجز إبداعي مهم.

هذا الاجتماع الذي حضره العديد من الاسماء الادبية والثقافية البارزة في تونس مثل فتحية بروري ومسعودة بوبكر وأمال مختار وكلثوم عياشية وسعاد الفقي بوصرصار ونهلة عنان ومن الفنون التشكيلية حياة المدب القاسمي ومن الاعلام منى الدريدي وعواطف البلدي ولسعد المحمودي وايضا الكاتب محمد المي والناقد حمد الحاجي والشاعر نجيب المليتي وصاحب دار الكتاب الناشر الحبيب الزغبي والمصورة الفوتوغرافية رؤى الطوصلي والكاتبة سعاد الجبير الخ..

رئيسة رابطة كاتبات افريقيا ربيعة الراضي والكاتبة فاطمة بن محمود ممثلة فرع تونس

الصالون الدولي للصناعات الغذائية بالحمامات :

ترسيخ ثقافة إبتكار الحلول التكنولوجية في مجال الغذاء

محمد رضا البقلوطي

اختتمت فعاليات الدورة الأولى للصالون الدولي للصناعات الغذائية بمدينة ياسمين الحمامات التي أقيمت الأسبوع الفارط بمشاركة مهنيين وفاعلين من تونس ومن 17 دولة عربية وإفريقية وأوروبية وأمريكية. وكانت هذه التظاهرة مناسبة لعرض المنتوجات التونسية والتعريف بخصوصياتها وبالأسواق التصديرية التي اكتسحتها وبالتجربة التونسية في مجال تسويق المنتجات في الدول الأوروبية وغيرها.

كما مثل الصالون مناسبة مهمة لبناء شراكات واستثمارات باعتبار الوفود المشاركة والتي هي رفيعة المستوى وحضور مكثف لرجال الأعمال نذكر بالخصوص مشاركة وفد جزائري يضم 13 رجل أعمال و34 رجل أعمال من ليبيا ومصر والإمارات والسعودية وإيطاليا بالإضافة إلى إسبانيا ودول إفريقية عديدة من ذلك الكامرون، البنين، ساحل العاج، الكونغو ووفد رفيع المستوى من السوق المشتركة لشرق وجنوب أفريقيا (الكوميسا) وكذلك الأردن .

مشاركة تونسية متميزة بتشجيع شركات ناشئة في مجال إبتكار الحلول التكنولوجية في مجال الغذاء:

وتميزت المشاركة التونسية بحضور أكثر من 80 شركة تونسية لعرض منتجاتها فضلا عن تخصيص جناح لعرض المنتوجات المحلية .

هذا وقد تجاوز عدد العارضين 150 من بينهم 15 شركة ناشئة في مجال إبتكار الحلول التكنولوجية في مجال الغذاء كما تم عقد 200 لقاء ثنائي بين مختلف الوفود وتضمن الصالون ثلاثة منتديات تعلقت بالسيادة الغذائية في إفريقيا والتحديات المطروحة لتطوير الإنتاج باتجاه تعزيز قدرات الدول الإفريقية على تأمين حاجياتها الغذائية كذلك عقد الشراكات الدولية والاستثمار وتنشيط للاسواق التصديرية الجديدة في القطاع.

تحقيق السيادة الغذائية والأمن الغذائي للشعوب الأفريقية يعد أكبر تحد لدول المنطقة:

وشارك ممثلو منظمة الأغذية والزراعة ومركز التجارة الدولية بجينيف والهياكل والمنظمات المعنية في قطاع الفلاحة والصناعات الغذائية في تونس وباقي الدول الإفريقية في برنامج المنتدى الأول بمداخلات حول الحلول والسياسات الناجعة من أجل تحقيق الأمن الغذائي في المنطقة.

في حين محور الشراكة الدولية ودورها في تنمية قطاع الصناعات الغذائية في تونس وأبعاده كان موضوع المنتدى الإقتصادي الثاني وبالنسبة للمنتدى الثالث موضوعه نحو أسواق تصديرية جديدة للصناعات الغذائية وذلك بهدف إثراء النقاش بحضور ممثلين عن المهنة والأطراف الحكومية والمنظمات بشأن الفرص المتاحة في الأسواق العالمية الجديدة والواعدة لتصدير المنتوجات الغذائية...

هذا وقد تم التأكيد خلال أشغال الدورة على أن تحقيق السيادة الغذائية والأمن الغذائي للشعوب الأفريقية يعد أكبر تحد لدول المنطقة اليوم اعتبارا للتداعيات المنتظرة للتغيرات المناخية ولنقص الموارد المائية على وفرة الإنتاج وعلى تأمين الحاجيات الغذائية للدول .كما شدد المشاركون على أن مواجهة التحديات تستدعي تكثيف مثل هذه التظاهرات والمنتديات لتعميق الوعي وتبادل الآراء والخبرات حول الحلول الممكنة لهذا القطاع الاستراتيجي وتطوير مجالات البحث العلمي والتعاون الدولي لتطوير القطاع ولاكتساح الأسواق الواعدة وتطوير المبادلات التجارية معها بما يسهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء لكل الدول .

إعداد جيل يدرك أهمية الغذاء وقيمته، لديه القدرة على إنتاجه بكل الوسائل:

إن ترسيخ ثقافة إبتكار الحلول التكنولوجية في مجال الغذاء أصبحت من الأولويات في الوقت الراهن وذلك بفضل حلول تعتمد على التكنولوجيا الرقمية، والتكنولوجيا القائمة على البيانات، والطاقة الشمسية، واستخدام الموارد الغذائية البديلة والسعى إلى تعزيز الأمن الغذائي بوسائل وآليات ضامنة لاستدامة القيمة الغذائية في البلاد، وتعد التكنولوجيا إحدى الممكنات لتعزيز منظومة الغذاء، وإحدى الركائز الأساسية للاستراتيجية الوطنية للأمن الغذائي ؛ كذلك توفير كل السلع الغذائية الأساسية بكل الأسواق ، ما يعكس الجاهزية لمواجهة مختلف المتغيرات في قطاع الغذاء بالمستقبل والسعى كذلك من خلال التحدي ومختلف الجهود إلى ترسيخ تكنولوجيا إنتاج الغذاء وتكنولوجيا الفلاحة في كامل السلسلة الغذائية، لاسيما تجاه المستهلكين فمن خلال المبادرات والجهود المشتركة يمكن تشجيعهم على تبني وسائل تكنولوجيا الزراعة داخل المنازل، من خلال استخدام التقنيات الحديثة، وتحويل المستهلكين إلى منتجين قادرين على إنتاج غذائهم داخل المنزل، ليسهموا في سد احتياجاتهم الغذائية بنسب معقولة في المستقبل، وهو هدف يتم من خلاله أيضاً خلق جيل يدرك أهمية الغذاء وقيمته، بل لديه القدرة على إنتاجه بكل الوسائل...

وفي ختام الدورة تم الإعلان على عقد الدورة الثانية من الصالون في خريف 2024 بمدينة ياسمين الحمامات وستكتسي توجها دوليا أشمل بهدف أن تصبح تونس عاصمة للنقاش السنوي في مستجدات هذا القطاع الحيوي وللتحسيس بأهمية الاشتغال على قضية السيادة الغذائية و تطوير التعاون.

قصص الرسالات السماوية وأثرها في أساطير الشعوب

دراسة مقارنة بين ما جاءت به الرسالات السماوية من قصص وما ظهر منها بأساطير شعوب العالم

الناصر التومي

قصص خلق الأرض وانفصالها عن السماء في الرسالات السماوية وفي أساطير الشعوب

خاض في خلق الأرض، رجال الدين، والجيولوجيون، وكل أدلى بدلوه، وكل له براهينه المستمدة من اختصاصه هو لا غير. فرجال الدين اليهود والمسيحيون والمسلمون، استمدوا نظرياتهم من الكتب المقدسة، العهد القديم، والقرآن، وهي لا تختلف كثيرا في قصة خلق الكون، أما علماء الجيولوجيا فيستنبطون آراءهم من التجارب والاختبارات العلمية. وقد اتفقوا جميعا على أن الأرض تشكلت من تراب أولا، ثم رويت ماء لتستقبل الحياة فيها.

قصة خلق الأرض في العهد القديم

رغم ما تعرض له العهد القديم من تحريفات سواء من أحبار اليهود، أو من قساوسة النصارى بعد ذلك، ليتماشى ومخططاتهم في العقيدة والحياة، فقد حافظ سفر التكوين وهو من بين خمسة أسفار التي أنزلها الله على موسى على حقائق إلهية لم يكن لهم مصلحة في تحريفها كخلق الكون. وتطابق ما جاء بهذا السفر في هذا الشأن، وما جاء به القرآن الكريم بنسبة عالية.

في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه، وقال الله ليكن نور فكان نور،. ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارا والظلمة دعاها ليلا، وكان مساء وكان صباح يوما واحدا، وقال الله ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلا بين مياه ومياه، فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد، والمياه التي فوق الجلد.وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح يوما ثانيا، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة،وكان كذلك، ودعا الله اليابسة أرضا، ومجتمع المياه دعاه بحارا، ورأى الله ذلك أنه حسن، وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا وشجرا ذا ثمر يعمل ثمرا كجنسه بزره فيه على الأرض، وكان كذلك، فأخرجت الأرض عشبا وبقلا يبزر بزرا كجنسه، وشجرا يعمل ثمرا بزره فيه كجنسه، ورأى الله ذلك أنه حسن وحسن جدا. (سفر التكوين الإصحاح الأول)

وقد فسر الغمر في الكتاب المقدس:معنى العمق والتشويش، وهي كلمة الغمر مستخدمة لأن المياه كانت تغمر كل شيء بعمق، والظلمة نشأت من أن حرارة الأرض الشديدة جدًا في بدايتها جعلت المياه تتبخر وتكون ضبابا وأبخرة منعت النور عن وجه الأرض.

قصة خلق الأرض في القرآن

وبين الله في القرآن الكريم لعباده بإطناب كيف تشكلت الأرض في كثير من الآيات، ضمن خلقه لكامل الكون، منها قوله سبحانه:

ـ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء ـ الآية 30)

وقوله:وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (30) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (31)(النازعات).

وقوله:وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ(المؤمنون الآية 18) .

وهذا دليل أن لا اختلاف في الكتب المقدسة في أن الأرض بدءا كانت صخورا وترابا ولم تبعث فيها الحياة إلا بعد نزول الماء، لتأخذ شكلها الحالي.

خلق الأرض في القصص القديم

حدث كعب عن خلق الأرض قال(بتصرف)(1): لما أراد الله تعالى أن يخلق الأرض أمر الريح أن تضرب الماء بعضه في بعض فاضطرب وأزبد وارتفعت أمواجه، وعلا بخاره، فأمر الله الزبد أن يجمد فصار يابسا، فهو الأرض فرجها على وجه الماء في يومين، فذلك قوله تعالى:قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(فصلت الآية 9)ثم أمر تلكم الأمواج فسكنت، فهي الجبال جعلها عماد الأرض، فذلك قوله تعالى»وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (الأنبياء الآية 31) فلولا الجبال لما ثبتت الأرض بأهلها، قال وعروق هذه الجبال متصلة بعرق جبل قاف وهو الجبل المحيط بالأرض، ثم خلق الله سبعة أبحر، صلب الأرض، وأما هذه البحار التي على وجه الأرض التي نراها إنما هي بمنزلة الخليج لها، وفي تلك البحار من الخلائق والدواب ما لا يعلم عدده إلا الله، وقال وهب خلق الله هذه البحار وما فيها من دواب في يومين ثم خلق أرزاقها وقدرها في اليوم الرابع فذلك قوله(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ(الأنبياء الآية 10).

ـ حدث ابن عباس قال: إن الله تعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين/ فخلق الأرض على الحوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن»نون والقلم وما يسطرون»والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح. (تاريخ الطبري الجزء الأول).

قصة خلق الكون لدى أساطير ما بين النهرين(2)

جاء في اللوح الأول من ملحمة «إينوما إيليش» حينما في الأعالي:

« حينما في الأعالي» لم تكن السماء بعدقد سميت، وفي الأسافل لم تكن الأرض بعد قد ذكرت باسم، حينما كان» أبسو» الأول منجبهم، و» مموـ وـ تئامت» التي ولدتهم جميعا، ما زالت أمواههم خليطة ببعضها، ولم يكن قد تشكل مرعى ولا كان بالإمكان رؤية هور قصب، حينما لم تكن أية آلهة أخرى قد جاءت إلى الوجود، حينما لم يكونوا قد أطلقت عليهم أسماؤهم ولم تتحدد مصائرهم بعد، حينئذ خلق الآلهة فيما بينهما.

اكتشف المؤرخون والباحثون، وعلماء الآثار أن ثمة تشابها بين سفر التكوين في العهد القديم وبين ما جاء بسفر التكوين البابلي بالملحمة البابلية « إينوما إيلش» حينما في الأعالي، واستخلصوا أن ثمة قاسما مشتركا في عملية خلق الكون بين مادتي كل منهما، لكنهم اختلفوا في من تأثر بالآخر، وخاصة أن حضارة ما بين النهرين أسبق تاريخيا، ولما حمل نبوخذ نصر العبرانيين إلى بابل كانت الحضارة البابلية في أشدّها، وأثناء هذا المنفى وبعد فقدان التوراة وضع أحبارهم وعلماؤهم العهد القديم. ونورد المخطط البياني الذي وضعه ـ ألكساندر هيدل ـ في كتابه ـ سفر التكوين البابلي ـ ، قصة الخليقة ملحمة «حينما في الأعالي» ترجمة سعيد الغانمي نشر دار الجمل سنة 2007 .

سفر التكوين في العهد القديم:

1)ـ الروح الإلهية تخلق المادة الكونية وتوجد بمعزل عنها.

2)ـ الأرض خراب مهجور، والظلام يغطي الأعماق (التيهوم)

3)ـ النور مخلوق.

4)ـ خلق القبة السماوية.

5)ـ خلق اليابسة.

6)ـ خلق الأجرام المضيئة.

7)ـ خلق الإنسان.

---

1) كتاب بدء الخلق وقصص الأنبياء للكسائي. تحقيق ودراسة الدكتور الطاهر بن سالمة . تونس ـ دار نقوش عربية. ص 97.

2) الكسندر هايدل ـسفر التكوين البابلي ـ قصة الخليقة ـ ملحمة ـ حينما في الأعالي ـ ترجمة سعيد الغانمي ، منشورات الجمل، بغداد اللوح الأول ص 35ـ

8)ـ الله يرتاح ويقدس اليوم السابع.

ملحمة « إينوما إيلش» البابلية.

1) ـ الروح الإلهية والمادة الكونية متلازمتان ومشاركتان في الأزلية.
2)ـ العماء الأول: «تئامات» تكتنفها الظلمة.
3)ـ النور يفيض من الآلهة.
4)ـ خلق القبة السماوية.
5)ـ خلق اليابسة.
6)ـ خلق الأجرام المضيئة.
7)ـ خلق الإنسان.
8)ـ الآلهة ترتاح وتحتفل.

وأورد ـ ألكسندر هايدل ـ في كتابه سفر التكوين البابلي قصة الخليقة مقطعا من رقية كانت تنشد للتطهير في معبد « نبو «(3).

« لم يكن قد وجد بيت مقدس بين الآلهة في مكان مقدس ـ لم تكن قد ظهرت قصبة، ولم تكن قد خلقت شجرة، لم تكن قد وضعت آجرة، ولم تكن قد بنيت آجرة مفخورة، لم يكن قد صنع بيت، ولم تكن قد بنيت مدينة، لم تكن قد صنعت مدينة ولم يكن قد وضع فيها مخلوق حي، لم تكن قد وجدت « نيبور» ولم يكن قد بني « إيكور» ولم تكن قد وجدت « أوروك» ولم يكن قد بني «إينانا» ولم يكن قد صنع ال « أبسو» ولم تكن قد بنيت « أريدو» لم يكن قد وجد بيت مقدس، بيت الآلهة سكناهم، كانت الأراضي كلها بحرا.»

وفي رواية أخرى بسفر التكوين البابلي عن خلق الأرض وردت بلوح اكتشف بين خرائب مدينة «آشور» تقول:

« حين فصلت السماء عن الأرض، التوأم المؤتمن البعيد، وجيئ بأم الإلاهات إلى الوجود، حين أحدثت الأرض وصنعت الأرض، حيث ثبتت مصائر السماء والأرض، حين أعطي للأخدود والقناة مجراهما الصحيح، وكونت ضفتا دجلة والفرات، حينئذ فإن «أنو» و» إنليل» و « شمش» و «إيا» الآلهة الكبار و» الأنونكي» الآلهة الكبار أجلسوا أنفسهم في الحرم المكرم وتداولوا فيما بينهم عما خلق.»

في أساطير ما بين النهرين:

أسطورة أولى(4): بدأ طول «كومي» يبلغ السماء، فاجتمعت الآلهة في بحر « أبزو» العذب لوضع خطة، وذهبوا إلى « أبي لوري» وقال لم أكن أعلم بما حدث، وعند قطع الأب وابنه السماء والأرض بقرص نحاسي لم يكن لي علم بذلك.

أسطورة ثانية(5): في البدء خلقت المياه الأولية جبلا كونيا ضم السماء والأرض، ومن اتحادهما الممثلة بالإله « آن» والإلهة الممثلة بالأرض « كي» خلق « إنليل» إله الهواء الذي فصل والداه السماء عن الآرض.

قصة خلق الأرض وانفصالها عن السماء في الأساطير المصرية القديمة(6)

أصل الوجود محيط أزلي من الماء يسمى « نون» فانبثقت منه ربوة من الغرين وارتفعت عن الماء عند مدينة «هيراكليوبوليس»(إهناس المدينة) فكانت العرش الذي ظهر عليه الإله « رع» إله الشمس. ثم وضعت « نون» ابنيها الإلهين « جب» و» نوت» إلهي الأرض والسماء « توأما» في جسد واحد قام بفتقه الإله « شو» إله الريح لترتفع « نوت» السماء عن «جب « الأرض بفضل « شو» الذي تخيله المصريون على هيئة بقرة ترفع السماء بظهرها وتتلألأ نجوم الليل من صدرها المواجه للأرض.

أسطورة خلق الأرض في الأساطير اليونانية(7)

أسطورة إغريقية جاءت في قصيدة «ثيوجوني»للشاعر الإغريقي «هيسيود» التي تعتبر واحدة من الأساطيرالتي بقيت لتشرح ظهور الأرض لدى الإغريق القدامى(بتصرف).

«كان الفراغ يهيمن على كل شيء، وفي هذه الفترة لم يكن هناك أي نوع من التنظيم، مجرد فراغ وفوضى، لم يكن هناك قمر أو شمس، لم تكن هناك جبال وأنهار أو أي ميزات على وجه البسيطة، في الواقع لم تكن هناك حتى الأرض، كل ما كان موجودا هو فراغ عظيم، حتى إنه لم يكن هناك زمن، في الأخير هذا الفراغ قسم نفسه إلى الأرض والسماء والبحر.

وبعد هذا الانقسام، ظهرت آلهةإلى الوجود دون أن تولد من أي أم، اسم هذه الإلهة كانت «جايا» الأرض، وقد بسطت سيطرتها على الأرض بينما تشكلت الجبال وانفصلت عن السهول، وتشكلت البحار والأنهار، انشغلت «جايا» بخلق هذه التحفة الجميلة، لم يمر الكثير من الوقت حتى بدأت ترغب في الإنجاب لمساعدتها في إعمار وحكم هذه الأرض البديعة.»

أسطورة نيوزيلالند وتهيتي وجزر كوك في خلق الأرض وانفصالها عن السماء(8)

بعد أن اتحدت السماء بالأرض أنجبتا عددا من الآلهة الصغار الذين كانوا يعيشون في ضيق وظلمة لشدة التصاق السماء بالأرض، قرروا التمرد على هذا الوضع بزعامة الإله الجريء «تانى» الذي رفع السماء بقوة ذراعيه حتى استقرت مكانها، ثم قال لتبق السماء بعيدة عنا، أما الأرض فلتبق قريبة منا أمّا رؤوما.

قصة بداية خلق الأرض عند شعوب المايا(9)

في البداية كان هناك بحر مظلم و هادىء، في هذا البحر كانت الآلهة موجودة، ثم تشكلت الجبال و الوديان و السهول و انقسمت المياه، ثم خلقوا الحيوانات، طالما أن الحيوانات لم تكن تستطيع الكلام و بالتالي لا تستطيع أن تعبد و تحترم خالقيها و لا تستطيع أن تطلب من خالقيها أن يتركوها على قيد الحياة قررت آلهة الخلق صنع البشر.

أسطورة الشمال الغربي الأمريكي(10)

تروي أساطير قبائل «سنوهومش» أن الإله الخالق لم يكن راضيا عن أعمال»دوهك وبوج « إذ لم يتكلم البشر لغة واحدة وعم سوء التفاهم واكتشف أنهم يضربون رؤوسهم في السماء التي كانت منخفضة، وتسلق الرجال الأشجار وذهبوا إلى السماء مما دفع أحد الحكماء إلى نصحهم بالاجتماع سوية لرفع السماء وقرروا جميعا أن يصرخوا صرخة واحدة « ياهو» كعلامة لرفع أعمدة السماء، وتمكنوا من القيام بهذا العمل، ولكن البعض لم يعرف أن السماء أصبحت مرتفعة فانشغلوا بمطاردة الصيد وتعلقوا بعدها في السماء وأصبحوا نجوم الدب الأكبر.

أسطورة من تاهيتي في فصل السماء عن الأرض(11)

يعتقد السكان الأوائل لتاهيتي أن الإله «تيني ماهوتا» فصل السماء عن الأرض وبعدها فقد مكانته لأبي البشر « توما ـ تووينغا».

قصة انفصال الأرض عن السماء في الأساطير الصينية(12)

يحكى انه في العهود الموغلة في القدم كانت السماء والارض صنوين لا ينفصلان، وكان الفضاء يشبه بيضة كبيرة، في داخلها ظلام دامس، لا يمكن من خلاله تمييز الاتجاهات.ونشأ في هذه البيضة الكبيرة بطل عظيم اسمه «بان قو» يفصل الارض عن السماء. واستيقظ «بان قو» بعد 18 الف سنة من النوم، ولم ير الا ظلاما حالكا، وشعر بحرارة شديدة حتى كاد يختنق، وكان يريد النهوض، لكن قشرة البيضة كانت تلف جسده بشدة، ولم يتمكن من مد يديه ورجليه، فغضب «بان قو» وأخذ يلوح بفأس كانت معه، وبعد ذلك سمع صوتا مدويا وانشقت البيضة فجأة، وتطايرت المواد الخفيفة والصافية الى الأعلى لتشكل السماء وسقطت المواد الثقيلة والعكرة الى الأسفل لتكون الأرض. وكان «بان قو» سعيدا جدا بعد انفصال الارض عن السماء، لكنه خاف من امكانية التقاء السماء والارض مرة اخرى في يوم ما، لذلك، وقف بين السماء والأرض، وكان طوله يزداد عشرة أمتار يوميا، ويزداد ارتفاع السماء وسمك الأرض عشرة أمتار يوميا أيضا، وبعد 18 ألف سنة، أصبح «بان قو» عملاقا، وبلغ طوله 45 الف كيلومتر، وهكذا استقرت السماء والارض أخيرا، ويشعر»بان قوه» بالتعب الشديد لكنه مطمئن نسبيا، أما الاسطورة فقالت ان جسده الضخم انهار فجأة.

أسطورة قبائل أمريكا الأوائل في خلق البشر(13)

أعلى آلهة لدى قبائل «الغونكوين» يقولون أن «كيجي مانتو» خلق السماء والأرض والحيوانات والنباتات وخلق البشر من الأرض ونفخ فيهم الروح .

نقاط التشابه

ـ سواء في العهد القديم أو القرآن أو أساطير ما بين النهرين أو الإغريقية منها في البداية لم توجد أرض ولا سماء، كان ثمة الفراغ، والغمر والماء، ثم بعثت الأرض وجرت فيها المياه، فكانت الحياة، لاحقا وهو دليل على أن الإنسان مهما انغلق عليه فهم وجوده فإن بذور المعرفة الأولى تبقى تسري في موروثه الذهني من جيل إلى جيل.

ونلاحظ من خلال الأسطورة البابلية المشار إليها أعلاه انفصال السماء عن الأرض، وكذا الأمر في الأسطورة المصرية، و أسطورة الإله ـ تاني ـ في الأسطورة النوزيلندية في رفع السماء بقوة مبعدا إياها عن الأرض حيث كانت ملتصقة بها كثيرا، ونفس الشيء بالنسبة لأسطورتي قبائل أمريكا وتاهيتي. وخلق البشر لدى المايا بعد خلق الأرض والجبال والأودية والحيوان، نلاحظ إن علما متوارثا من الأزل يتردد من قبل الرسل والأنبياء من قبل نوح ينبئ بأن الأرض والسماء كانتا متحدتين فتم فتقهما إي إبعادهما عن بعضهما، كما تقول الآية القرآنية: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء الآية 30). وهو دليل أن علم الله المشاع قد يتسرب حتى إلى أساطير الأقوام الوثنية دون وعي منها.

---

3) ألكسندر هايدل . سفر التكوين البابلي . ص 93.
4) قاموس أساطير العالم ـ ص 20 ـ
5) قاموس أساطير العالم ـ ص24 ـ
6) رشاد سلام ـ كتاب ـ كهنة في كل العصور ـ بيروت ، الانتشار العربي ـ الفصل الرابع ص 40 .
7) الدكتور عماد حاتم ـ كتاب أساطير اليونان، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1988 الباب الأول، فصل أصل الكون والآلهة.ص 53.
8) موقع الإنجيل والأجيبة. كتاب النقد الكتابي. مدارس النقد والتشكيك والرد عليها(العهد القديم من الكتاب المقدس. أ . حلمي القمص. هل أخذ سفر التكوين قصة الخلق من أساطير الأولين.ـ فراس السواح .ـ مغامرة العقل الأولى صفحة 20 تمت الزيارة 24 سبتمبر 2018
9) موقع الشاهد ـ أسطورة الخلق عند مختلف الأديان ـ حمدي الراشدي ، تمت زيارة الموقع 9/26/ 2018.
10) قاموس أساطير العالم الألكتروني. ص195.
11) قاموس أساطير العالم صفحة 241
12) موقع الحوار المتمدن: سامي المنصور ـ الأساطير الصينية أيضا موجودة في القرآن.
13) قاموس أساطير العالم ص 200.

صورة سينمائية أجنبية مختلفة وعادلة للصراع مع الهمجية الاسرائيلية

محمد عبيدو (ناقد سينمائي سوريا)

بعد هذه الهمجية اللامتناهية التي أبدتها اسرائيل وما زالت تبديها في اعتداءاتها على غزة المحاصرة، وبعد الاعتداءات الوحشية الاجرامية التي ترتكبها اسرائيل ليس الآن وحسب، وانما منذ عشرات السنين، ضد الشعب الفلسطيني في البقية الصغيرة الباقية حتى الآن من وطنه التاريخي فلسطين.

كان للانتفاضة في فلسطين وقع الزلزال الذي اخترق كلّ بيت ، وهزّ كلّ إنسان معادٍ للاستعمار والقمع و الإرهاب في العالم .

وهنا برز الدور الفعال والمهم للأفلام الوثائقية والتسجيلية التي صوّرت أحداث الانتفاضة وتفاصيلها كما صورت معارك المقاومة ضد الاحتلال، والتي عرضت على شاشات التلفزيون العالمية وفي المهرجانات السينمائية ، وبدت في هذه الأفلام المعالجة النضالية الخلاقة والمبدعة للواقع والحوادث الجارية وتصوير المنظر الحي والحدث الحقيقي.

والجميع يذكر ما أثاره في الرأي العام العالمي الفيلم الوثائقي الذي صوّر سياسة تكسير العظام التي اتبعها المحتلون الصهاينة لقمع مظاهرات الانتفاضة الأولى ، وما أثاره مجازر صبرا وشاتيلا , وما أثاره الفيلم الذي صوّر مجزرة الحرم القدسي الشريف أثناء عرضه في

من إخراج الايطالي سافيرو كوستانزو

اجتماعات هيئة الأمم المتحدة ، والتأثير العالمي الذي تركه الفيلم الذي صوّر استشهاد الطفل محمد الدرة . والصورة التي التقطتها الكاميرا في مجزرة قانا عام 1996 للأب الحامل طفلتيه، صارخاً، متوجعاً من الألم، متضرعاً إلى الله. والتي صارت عنواناً لتلك المجزرة .

تحت عنوان " إرهاب إسرائيل " كتب المخرج السينمائي اليوناني " يانيس سكاريدس " : (التاريخ يعيد نفسه. القصف الراهن هذه

المخرج الشيلي ميغيل ليتين

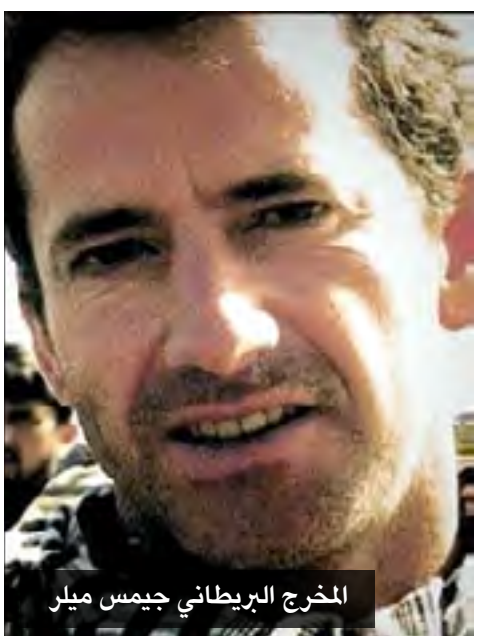
المخرج البريطاني جيمس ميلر

الالمانية مونيكا مور مخرجة فيلم «فلسطين تشتعل»

المرة، هو عمل إرهابي من الدولة الاسرائيلية. تفتعل الولايات المتحدة وحلفاؤها حروباً اختبارية ضد أهداف سهلة. ومع أنهم يزعمون أنهم ضد حزب الله، سوريا أو إيران، فإنهم يقصفون مناطق مدنية للطبقات العاملة في بيروت. وهكذا، علينا أن لا ننسى أن هناك الكثير من الاستثمارات العربية التي قد ذهبت أو سوف تذهب إلى لندن أو إلى نيويورك بسبب القصف.

لم يكن جورج بوش وتوني بلير واعيين أن كاميرات التلفزيونات والميكروفونات تراقبهما، أثناء مؤتمر قمة الدول الثماني. كنت أشعر بخوف شديد. إن مضمون لغتهما وحوارهما يذكرني بفيلم "العرّاب"، الجالس إلى جانب مساعده الأيمن. الفرق الوحيد هو أن عائلة كورليوني عندها شرف أكثر وتفهم أكثر للطبيعة الانسانية. في أحاديثهما الخاصة يسمي المستر بوش المستر بلير بعبارة "يو توني".

نحن نفهم أن القصف سوف يتوقف فقط عندما تدعو الى تنفيذه الولايات المتحدة الاميركية يوماً ما.

أصلي مع ملايين المتفرجين أن يأتي ذلك اليوم حالا وبدون تسويف.)

الصهيوني لم يعد يحتكر الصورة السينمائية :

إن الانتفاضة الفلسطينية والعدوان الاسرائيلي الهمجي على لبنان والمقاومة البطولية اللبنانية في وجه هذا العدوان على لبنان الذي قامت وما زالت إسرائيل تقوم به، والذي استهدف مئات وآلاف المدنيين الأبرياء من أبنائه، وتدميره الوحشي للمدن والقرى وتحطيم بنيته التحتية الأساسية اللازمة لتحقيق المدنية الحديثة فجّرت مضامين الصور وأشكالها التي كانت ترسل من الشرق الأوسط إلى عيون العالم منذ أكثر من أربعين عاماً . فالمشروع الصهيوني الذي كان قد فرض صورة بقوة الإعلام وإعلام القوة ، وجد نفسه مهدّداً بنجاعة أهم العناصر التي كان يتوهم أنها من احتكاره الخاص ، لقد أصبحت "الكاميرا هي الشاهد المحايد" حيث حرّرت والعربي من التزييف المتراكم على صورته ، وأصبح الصهيوني يخوض صراعاً مع صورته الحقيقية في الصورة المتخيّلة التي أنتجها بأداة لم يعد يحتكرها ، وفي شرطٍ لم يعد قادراً على تحديد هويته السابقة ،

ولا قادراً على تبرير كلّ ما يفعل .. إن ما كان سلاحه الخاص صار سلاحاً عليه ، وما كان يصوّره "جماله و كماله" صار يصوّر بشاعته .

ومن الأفلام العالمية التي قدمت صورة مختلفة وعادلة عن الصراع مع الهمجية الاسرائيلية واطلقت سهاما نارية تضيء سماء الظلم و صرخة للعالم ربما يفيق ضميره.. الفيلم التسجيلي "فلسطين تشتعل" للمخرجة الألمانية مونيكا مور ، وهو سادس فيلم لها عن القضية الفلسطينية استطاع أن يشدّ الانتباه وهو عبارة عن نشيدٍ حي للغناء اليومي والبطولة وللعذاب الذي يلقاه المواطن الفلسطيني والقمع الذي تلاقيه الانتفاضة الفلسطينية في فلسطين المحتلة .

كما استطاع المخرج الهنغاري "لا يوش كروديناك" في فيلمه التسجيلي "الانتفاضة" أن ينقل صورة حقيقية عن النضال اليومي الفلسطيني وعن يوميات الانتفاضة الشعبية . بل استطاع من خلال الفيلم أن يستهدف الفكر الصهيوني من خلال قادة العمل والليكود وتعريته للصهيونية كامتداد لعصابات الشترين والكاخ.

"المجرم يرتعب من شهادة الشهيد وشهادة السينمائي":

وقد روى المخرج ,لايوش كروديناك" أنه أثناء القيام بتصويره الفيلم كان مواجهة دائمة مع الجنود الصهاينة الذين أصبحوا يحاربون أصحاب آلات التصوير كما يحاربون أطفال الحجارة . روى هذا المخرج أنه في إحدى المرات أراد أحد الضباط منعه من التصوير لكنّه تحت إلحاح المخرج صرخ الضابط بغضب هستيري قائلاً : "إذهب من هنا إنك تزعج حربنا" ، فأجابه الكورديناك : " أنتم إذاً في حرب ضد العزل وتقتلون أيضاً .. هذا أنتم واكننا نحن لا نقتل فلماذا أنتم خائفون ؟" لاحظوا كيف يرتعب المجرم من شهادة السينمائي .. وكيف يخاف من تحالف العدالة الفلسطينية مع الرصد المحايد.. بل يخاف من ذلك لأنه لا يعرف أن الصورة العادلة حتى ولو كان صاحبها محايداً فإنها تتضامن حتماً مع العدل .

العمق الداخلي للإنتفاضة سينمائياً :

الفيلم الألماني "الانتفاضة الطريق إلى فلسطين" للمخرج "روبرت كريغ" يبدأ بمشهد الأرض والمحراث والزيتون تعبيراً عن أصالة شعبٍ وجذوره الراسخة ثم يتابع الحياة الداخلية اليومية للمخيم ، تشكّل الانتفاضة والمواجهات جزءاً استطرادياً خلفياً للفيلم . فقد أراد مخرج الفيلم أن يرينا أولاً كيف تتصادم الحياة اليومية ، العمل ، لعب الأطفال ، التبضع مع وجود الاحتلال في تلك الصورة الثابتة للحواجز ومفارز القمع ، مشهد لقوات الاحتلال ومشهد للحياة اليومية في تقاطع سريع .

وفي الفيلم مشهد لجنود الاحتلال فوق أحد السطوح برشاشاتهم و خوذهم ، يحاولون اعتقال شابٍ لمجرد الاشتباه بأنه ألقى حجراً ، ويرينا المخرج كيف أن الحجر سقط

صورة لانتفاضة الحجارة

تلقائياً من عمارة قيد البناء ، لا شيء في منطق الاحتلال يفسّر بالصدفة نفسها قابلة لأن تكون سبباً في الاعتقال .. يتابع الفيلم بالتركيز على البنية التحتية للانتفاضة ، فيرينا كيف يعمل الشعب الفلسطيني على استمرارية الانتفاضة ويحسب لأسوأ الاحتمالات في المواجهة الشاملة مع الاحتلال .. قيمة الفيلم تكمن في طابعه الريبورتاجي والمعلوماتي الذي قدّمه فريق عمل عاش داخل المخيم ، ورأى الأمور من جانبها غير المرئي العمق الداخلي للانتفاضة .

أما فيلم "الانتفاضة طريق الحرية" فإن مخرجته البريطانية (جيني مورغان) لها موقف واضح من قضية الصراع العربي – الصهيوني ، فهي تقول عن الاحتلال الصهيوني : "إنه نقطة مؤلمة في التاريخ الإنساني ، وأردت في هذا الفيلم أن أبرز كيف يواجه الفلسطينيون الاحتلال الصهيوني في مواجهة غير متكافئة ، ولكن هناك إصراراً من قبل أهل أرض فلسطين على استعادة حقوقهم ووطنهم . ولذلك أردت من الفيلم أن أنفي صفة الإرهاب التي تلحقها الصهيونية بالعمل الفلسطيني" .

مدة الفيلم (22) دقيقة .. وهي كما تقول المخرجة : "كافية لتوضيح الحالة التي لا تطاق للوضع الفلسطيني تحت الاحتلال" ويصوّر الفيلم دور النساء الذي تبدّل في الانتفاضة وأصبحت أهميته مهمة بالنسبة للمجتمع والانتفاضة ، وفي الجانب الآخر الوحشية والهمجية الصهيونية والتعصب الأعمى الذي يسيطر على عقلية العسكري والسياسي الصهيوني على حد سواء .. وقد لاقى الفيلم قبولاً واستحساناً واسعاً وحاز على جائزة الحمامة الفضية في مهرجان لا يبزغ .

ومن الأفلام التي لاقت اهتماماً واسعاً عند عرضها في الولايات المتحدة الأمريكية الفيلم التسجيلي "أيام الغضب – الشبيبة الفلسطينية" من إعداد وإنتاج الصحافية الأمريكية "جوفر انكلين تروست" و الذي عرض على شاشة القناة العامة (PBS) في نيويورك ، وفي بقية المدن والولايات الأمريكية ، وقد أثار الفيلم على الرغم من كلّ التحفظات التي يمكن قولها حوله ضجة كبيرة ، كما واجه حملة من قبل أنصار الكيان الصهيوني والمنظمات اليهودية التي حاولت أن تبذل كلّ جهدها دون عرضه .

ينفتح الزمن السينمائي على توهج عصر الانتفاضة عارضاً مجموعة من الصور المعبرة عن إصرار الفلسطيني على الدفاع عن قدسية حقّه في الوجود برشق الجنود الصهاينة بالحجارة والمظاهرات والأغاني .

فيلم "قطاع غزة" للمخرج الامريكي جيمس لونغلي. يحكي عن معاناة المواطن الفلسطيني تحت سيف الاحتلال الاسرائيلي من خلال عرض يوميات مجموعة صبية فلسطينيين يبيعون الصحف في ازقة غزة المحتلة. ويدخل الفيلم في تفاصيل يوميات الاطفال الذين ينامون على صوت هدير الدبابات ويستيقظون على دوي الصواريخ ودخان القنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي القاتل، فلا يبقى امام الطفل الفلسطيني الا ان يكتشف معاناته اكثر كي يتلاءم معها ويرسم خطط استراتيجية ليعيش حياته حاضراً وماضياً ولكنها خالية من اي مستقبل. كل تلك المعاناة تنقلها كاميرا المخرج لونغلي الى المشاهد الاوروبي الذي لا يمر يوم الا وتكتب صحفه عن قطاع غزة. وعلى رغم ان الفيلم لم يحصل على جوائز سينمائية الا انه تمكن من استنهاض مشاعر متضامنة وأخرى معادية.

اثار الفيلم غضب اللوبي اليهودي في مدينة غتنبورغ المعروفة بكرم اهلها وطيبتهم، ولكن المميزة ايضاً بأنها مركز للوبي يهودي فاعل. وانهمرت على بريد مديرة المهرجان جانيكي اولوند الالكتروني رسائل كثيرة معترضة على عرض فيلم "قطاع غزة" واصفة اياه بأنه احادي الرؤية ولا ينقل الا صورة المعاناة. كما ارتفعت اصوات متهمة اولوند بأنها اعطت الفرصة لعدد من الافلام الفلسطينية ولم تسمح، بحسب تعبيرهم، الا لفيلم اسرائيلي واحد يحكي عن العنصرية الداخلية في المجتمع الاسرائيلي. ولكن اولوند لم تتأثر بالأصوات المعارضة التي خرجت من بعض الصحف المساندة لاسرائيل وردت على الانتقادات شارحة انه "عندما يتعلق الامر بعدد الافلام المشاركة التي تعرض في المهرجان، فالقضية محصورة بنوعية الافلام التي تقدمها كل دولة. بكل صراحة انا لم اشاهد افلاماً اسرائيلية نوعية اكثر من الفيلم الذي سمح له بالمشاركة".

المخرج الإيطالي الشاب 'بيبو ديليونو' الذي قدم لنا ملحمة رائعة في فيلمه "حرب" فأثار مواجعنا وشجوننا بما قدمه بصورة جمالية معبرة وصادقة في كل لقطة من اللقطات التي عرضها علينا علي مدي الواحد والستين دقيقة التي استغرقها عرض الفيلم..

إن 'بيبو' الذي قدم فيلمه بكلمات

بسيطة بأنه ليست له وجهة نظر مسبقة وليس له موقف سياسي محدد يجعلنا لا نصدقه ونحن نصفق معه، لأن الصورة التي قدمها لنا لا تعرف الحياد.. بل هي صورة منحازة توضح معاناة الشعب الفلسطيني وتظهر بصدق مدي جبروت وعنف المواطن الإسرائيلي المحتل.. اختار 'بيبو' أن يقدم رؤيته من خلال رحلة لفرقته المسرحية التي عرضت تجاربها في فلسطين وإسرائيل والأرض المحتلة وهي فرقة تضم من بين أعضائها بعض الممثلين ذوي الاحتياجات الخاصة وقد أخذ بيبو علي عاتقه أن يقدمهم بعفوية وتلقائية مدروسة.. فكان الأداء متناغما في الصورة التي تتعرض للدمار والخراب من جراء العنف الإسرائيلي..

إن صور 'ديليونو' ومدير تصويره 'رودريجو بييتو' هي معزوفة متفردة بجمالها حتي لو كانت صورا سبق وأن شاهدنا البعض منها.. إن 'حرب' رغم مشاهده التي تبدو منفصلة عن بعضها إلا أنها تحكمها رؤية لواقع ظالم في سراييفو.. وفلسطين وكل مناطق النزاع في العالم حيث سقط شهداء.. وسيسقط غيرهم كثيرون.. لكن حياتهم لا تضيع هباء لأنهم جميعا باستشهادهم يجعلون النهار يأتي مبكرا.. وهو ما تحمله كلمات 'فيروز' في قصيدتها الرائعة 'لا أحد يعلم من الآتي من الأصيلة'.. بينما أننا كلنا نعلم أن الدور آت علي كل من يحاول الصمود والمقاومة ويسعي للشهادة التي من خلالها يمنح الحياة للآخرين..

إن شوارع المدن الفلسطينية الغارقة في الظلام.. وميزان العدالة الذي اختل حتي جعل القط لا يهرع لاصطياد الفأر الذي يسير أمامه الهوينى.. ويترك مساحة لممثل 'منغولي' رغم ما يعانيه من 'تخلف' عقلي.. إلا أن إدراكه وإحساسه العميق وهو ربما أصدق من العقل جعله يدرك بحركاته العفوية التي تعبر عن اليأس من عنف بعض البشر.. لكن هذا لا يمنع أبدا أننا سنظل دائما وأبدا نسعي 'للحرية' وسنظل نقاومه لأن في المقاومة 'حياة'..

فيلم PRIVAT للمخرج الايطالي سافريو كوستانزو. يستعرض حياة عائلة فلسطينية مثقفة يحتل الجنود الاسرائيليون الطابق الاعلى من بيتها ويمارس كل الوسائل الوحشية لارغام افرادها على ترك البيت لكن محاولاتهم لجر العائلة لاستخدام القوة كمبرر لترحيلهم تبوء في نهاية المطاف بالفشل اذ يصر رب العائلة "محمد" على ممارسة الطرق السلمية وفي مقدمها الحوار مع الجنود المحتلين.

وفي مشهد من فيلم PRIVAT يتجه رب العائلة الفلسطينية محمد وبسبب السهاد والارق الى طاولة الطعام في مطبخ بيته المحتل من قبل الجنود الاسرائيليين حيث يصادف آمر الجنود مستيقظاً هو الآخر وقد كان التعب بادياً على ملامحه ويبدأ الحوار بسؤال يشترك في الاجابة عنه كل من صاحب الدار والجندي المحتل: ماذا تفعل هنا؟ يصوّب صاحب الدار محمد نظراته الى عيني المحتل الذي بدا غارقاً في هلوسة تدل على ضياعه وعدم قدرته على مواجهة محمد ونظراته المتسائلة. من هذين المشهدين يمكن الدخول الى الاضافة التي قدمها لفيناس عن دور الوجه في تقديم وفضح المشاعر الداخلية للكائن البشري. يقول لفيناس في حوار أجري معه: "ثمة علاقة وطيدة بين الوجه والحوار. الوجه هو الناطق والمتحدث هو الذي يتيح امكانية التحاور ويبتدئ الحوار... ان القول الاول الذي يطلقه الوجه هو: "لا تقتل!" وهو فعل آمر. في تجلي الوجه ثمة حكم وفعل أمر كأنه يصدر من السيد (المتعالي) وفي الوقت نفسه يمكن وصف نداء الوجه برجاء مستنجد انه ذلك الضعيف الذي يتعين على ان اخدمه بكل ما استطيع وأظل مداناً له في الوقت نفسه".

المخرج التشيلي العالمي، ذي الأصول الفلسطينية، ميغيل ليتين عاد إلى فلسطين ليصور فيلمه الذي يحمل رقم 21 بين أفلامه، ليس كسائح، ولكن كفنان يصور حياة الشعب الفلسطيني، خلال النصف الأول من القرن العشرين. واعتبر ليتين "القمر الأخير" فيلمه الفلسطيني الأول، مؤكدا انه لو لم يكن مقتنعا بعدالة القضية الفلسطينية لما صنع هذا الفيلم.

وحول موضوع الفيلم الذي شارك فيه العشرات من الفنيين والممثلين والكومبارس الفلسطينيين، قال إنه يجمع بين الوثائقية والروائية، ويحمل رسالة إلى العالم بأن الحياة في فلسطين ليست فقط عنفاً وحربا..

صورة لمجزرة صبرا وشاتيلا

يقول: أشعر بأن هذا الفيلم جزء من تاريخ أجدادي الذين لم يستطيعوا العودة إلى هنا.. صنعت الفيلم لهم ولذكرى جدي ميخائيل اليتيم.

واسم الفيلم مأخوذ من أغنية قديمة لطفل فلسطيني يخاطب جده قائلا: "لا تدع التنين يأكل قمرنا"، وحسب ميغيل ليتين فان هذه الاغنية الشعبية الفلسطينية كان الأطفال يغنونها في بداية القرن الماضي .

كان المصور البريطاني جيمس ميلر يعتزم تصوير فيلم عن الاطفال عندما قتل بالرصاص في قطاع غزة. وبدلا من فيلمه افتتح في مهرجان برلين العرض الاول لفيلم وثائقي عن استشهاده. ويبدأ فيلم "الموت في غزة" بقتل ميلر في ماي عام 2003 والذي يقول معدو الفيلم وشهود ان جنديا اسرائيليا أصابه بطلق ناري في الرقبة عندما كان يحاول مع اثنين اخرين مغادرة منزل أثناء الليل.

وينتهي الفيلم بتمجيد ميلر (34 عاما) كشهيد في مخيم رفح للاجئين بقطاع غزة حيث تضاف صورته الى صور شهداء ومهاجمين معروفين الصقت على الجدران. والى جانب تسجيل مقتل ميلر يمثل الفيلم تسجيلا مزعجا وان كان جذابا لفكرة الثأر والشهادة التي تجتذب بقوة جيل الشبان في الاراضي الفلسطينية.

وموقع التصوير مخيم مضطرب على الطرف الجنوبي من قطاع غزة حيث تظهر الجرافات الاسرائيلية تحت وابل من حجارة يلقيها الشبان الفلسطينيون وهي تمهد الارض التي يخشى الاسرائيليون أن تكون تستخدم في تهريب السلاح من مصر المجاورة. والشخصيات التي يصورها الفيلم التسجيلي هي للاطفال الفلسطينيين الذين يظهرون في لقطات تصور حصارهم وسط العنف والكراهية المحيطة بهم يحملون بنادق من خشب يقلدون بها أبطال المقاومة.

ويروي الفيلم قصة صبيين يبلغان من العمل 12 عاما مولعان بكرة القدم يحاصران وسط الصراع وفتاة تبلغ من العمر 16 عاما تخشى ان تهدم الجرافات الاسرائيلية منزلها وصبي (13 عاما) يستشهد برصاص الاسرائيليين. ويحب نشطاء المقاومة المحليون الملثمون أحمد (12 عاما) ويعلمونه كيفية استخدام قاذفة صواريخ ويستخدمونه كمراقب اثناء دورياتهم الليلة غير عابئين باحتمال أن يقتل. ويقول أحد النشطاء "هناك الف طفل مثله".

ويقول محمد صديق احمد امام أمه التي لا ترضى عما يقول انه مستعد لتضحية بحياته من أجل القضية الفلسطينية. ويحضر سالم (13 عاما) وهو ينزف ويتشنج الى مستشفى محلي بعد أن أصابه جندي اسرائيلي ثم يموت بالفعل وتقام له جنازة شهيد. وتقول ابنة عمه نجلاء (16 عاما) التي فقدت بالفعل ثمانية من أقاربها انها تريد أن تعمل محامية للدفاع عن حقوق شعبها.

وتقول منتجة الفيلم سايرا شاه التي تظهر في لقطات من الفيلم انها وميلر كانا يعتزمان اعداد فيلم اخر يصور الاطفال الاسرائيليين في المستوطنات القريبة عندما توقف التصوير بمقتل ميلر. لكن اللقطات القوية التي كان ميلر قد صورها بالفعل دفعتها بمساعدة أسرة ميلر للمضي قدما في اعداد الفيلم التسجيلي الذي يظهر جانبا واحدا من الصراع.

«عصابات» للمخرج المغربي كمال لزرق يتوج بالجائزة الكبرى لمهرجان الفيلم ببروكسل

فاز الفيلم الطويل "عصابات" للمخرج المغربي كمال لزرق بالجائزة الكبرى للدورة الثامنة من المهرجان الدولي للفيلم ببروكسل.

كما حظيت السينما المغربية، التي بصمت على حضور قوي في هذه النسخة من المهرجان، بجائزة أفضل ممثل، والتي ذهبت إلى محمد بوشايت عن دوره في الفيلم الطويل "صحاري سلم وسعى" لمخرجه مولاي الطيب بوحنانة.

وأشاد سلفاتوري ليوكاتا، المؤسس المشارك ومدير المهرجان، بجودة السينما المغربية والمكانة المتقدمة التي تحتلها على الساحة الأفريقية، لافتا إلى أن المهرجان الدولي للفيلم ببروكسل مستعد لمواكبة نشر وتعزيز إشعاع الأفلام المغربية ببلجيكا.

ويحكي "عصابات"، أول فيلم طويل لكمال لزرق، قصة حسن وعصام، الأب والابن، اللذان يحاولان كسب قوتهما اليومي في إحدى الضواحي الشعبية للدار البيضاء، فيقومان بأعمال إجرامية صغيرة لصالح أحد رؤساء العصابات المحلية. وفي إحدى الليالي، يموت في سيارتهما عن طريق الخطأ رجل كانا يقصدان خطفه، فيجد حسن وعصام نفسيهما أمام جثة يجب التخلص منها، ومن هنا تبدأ مغامرتهما الليلية الطويلة في أسوأ أحياء المدينة.

وكان الفيلم قد فاز، بجائزة لجنة التحكيم ضمن فئة "نظرة ما" في مهرجان كان السينمائي 2023، كما تم اختياره للمسابقة الرسمية برسم الدورة العشرين للمهرجان الدولي للفيلم بمراكش، الذي ستقام فعالياته خلال الفترة ما بين 24 نوفمبر الحالي و2 ديسمبر المقبل.

أما فيلم "صحاري سلم وسعى" لمخرجه مولاي الطيب بوحنانة فيروي قصة أحمد وسلكة وعمار، وهم ثلاثة أشقاء ينحدرون من الأقاليم الجنوبية للمملكة، والذين قرروا بعد المسيرة الخضراء أن يفترقوا ويعيش كل واحد منهم حياته بمفرده.

وبعد سنوات من الفراق سرعان ما ستجتمع مسارات الأشقاء الثلاثة، بعد أن تعرضت والدتهم لوعكة صحية، حيث قرر الابن أحمد بذل ما في وسعه، في سبيل البحث عن شقيقيه، ولمّ شمل الأسرة من جديد.

ويعد المهرجان الدولي للفيلم ببروكسل، المنظم من قبل الجمعية التي تحمل نفس الاسم، حدثا يركز بشكل خاص على السينما الأفريقية وذلك بهدف تحسين ظهورها وتعزيز توزيع أفلام المخرجين الأفارقة الشباب في أوروبا.

صورة تتحدّث

مقهى المرابط

رسم جميل ونادر لمقهى المرابط، ونشاهد في هذا الرسم كيفية اعداد القهوة، عند طريق الوجق والوجق هو بمثابة فتحة صغيرة في الحائط على شكل قوس وعميقة بعض الشي يضع فيه الفحم ونسكب البن في الزوة، والزوة ليست كما نعرفها اليوم تتمتع هذه بيد طويلة لتسهيل عملية الطهي، و بالنسبة لمقهى مرابط هي اول مقهى تفتح في تونس و يعود تاريخ فتحها الى بداية القرن السابع عشر وهي من انشاء يوسف داي عن طريق وزيره علي ثابت، وهذا حسب القاضي ابن ابي دينار الذي ذكر في كتابه (المؤنس في اخبار افريقية وتونس) وهو المؤرخ الوحيد الذي عاشر القرن السابع عشر ميلادي، وكذلك ايضا ذكره الوزير السراج في كتابه، وكذلك حسب دفتر الخروبة الذي دون سنة 1843، وبالنسبة الى مقهى العنبة والاشعات التي تدور حولها على انها هي اول مقهى في تونس و يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر ميلادي، هذا غير صحيح، لانه في تلك الحقبة لايوجد شي اسمه قهوة من اساسه و كذلك الشاي، و كما نعلم الشاي ابتكر قبل القهوة، لذلك لايوجد شي اسمه وراس الشدلية و القصد منها هو ان الولي الصالح سيدي بلحسن الشادلي اول من بادر باكتشاف القهوة، و بالنسبة لقهوة العنبة لم تذكر من اساسه في دفتر الخروبة مع جميع المقاهي القديمة، و هي ليست قديمة و لا يتجاوز عمرها خمسين عام، و بالنسبة الى اول من اكتشف القهوة هو السلطان سليمان القانوني عاشر سلاطين الدولة العثمانية، و في غزوه على فينا تم هناك اكتاشف القهوة في القرن السادس عشر ميلادي، و اول من اكتشف القهوة من العرب هو حسن العيدروس من اليمن و اول مقهى كان يجلسون فيها الناس كانت في دمشق.

بقلم: Souhayeb Latrech
ذكريات تونس المنسية

سينمائيات تونسية

إعداد : منير الفلاح

فيلم " ترينو" يحط رحاله بتركيا

يشارك الفيلم التونسي "ترينو" للمخرج نجيب كثير ضمن فعاليات مهرجان سلطان بيلي الدولي للفيلم القصير الذي يُقام في الفترة من 23 إلى 26 نوفمبر في مدينة إسطنبول التركية.

"ترينو" من تأليف وإخراج نجيب كثير، ويشارك في بطولته محمد قريع، ماكس بيمبرتون، كوثر الذوادي، وإلينور كرو، ويحكي الفيلم قصة طفل صغير يهرب من جسده الفاشل وحياته المنعزلة بالسفر في أحلامه التي شكّلها من مجلات تحضرها له أمه؛ ولكن زوج والدته يحث أم الصبي على التوقف عن اهتمامها الشديد به، فيتخذ الأم والابن خطوة مهمة قد تغير حياتهما.

الفيلم شارك في مهرجان أفانكا السينمائي ، وشهد عرضه العالمي الأول في مهرجان لوس أنجلوس السينمائي الدولي حيث كان في الاختيارات الرسمية بمسابقة الأفلام القصيرة، كما نافس في مهرجان DOKUFEST الدولي للأفلام الوثائقية، ومهرجان Show Me Shorts السينمائي بنيوزيلندا، ومهرجان القاهرة السينمائي الدولي، وترشح لأفضل فيلم طلبة قصير ضمن جوائز الجمعية البريطانية للمصورين السينمائيين، كما عُرض في مهرجان ريف السينمائي في لبنان.

يذكر ان نجيب كثير مخرج وسيناريست وموسيقي تونسي يعيش في لندن، درس الموسيقى وهندسة الصوت في جامعة ويست لندن عام 2011، ثم توجه لدراسة التصوير السينمائي، ويعمل نجيب حاليًا على تطوير أول أفلامه الروائية.

أيام الفيلم الاوروبي بتونس تعود وسط احتجاجات المناصرين لفلسطين

بعد غياب لنحو 10 سنوات، تعود تظاهرة أيام الفيلم الأوروبي بتونس من جديد لتُنتَظم هذه السنة من 23 إلى 30 نوفمبر الحالي.

وتتضمن الدورة الحالية لهذه التظاهرة التي أقيمت آخر دورة لها في تونس سنة 2014، عروضا متنوعة يناهز عددها 20 فيلما ستتوزع على الكاف ومنزل بورقيبة (ولاية بنزرت) وجمّال (ولاية المنستير) وتونس العاصمة، بحسب ما جاء في بلاغ صادر عن بعثة الاتحاد الأوروبي بتونس.

وسيتابع الجمهور عروض الأفلام في كل من قاعة (أ ب س) وسينما الريو وسينما مدار وسينما ميتروبول بمنزل بورقيبة ومسرح الجيب بالكاف ومركز فنون بجمّال.

وتقام الدورة الحالية بمشاركة عديد المراكز الثقافية والمعاهد الثقافية للبلدان أعضاء الاتحاد الأوروبي الموجودة في تونس منها إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا واليونان والمجر وفنلندا والدنمارك وهولندا وبولونيا والسويد وكرواتيا، كما تُقام بدعم من مهرجان الفيلم الأوروبي.

وقال محمد زغل المكلف بالإعلام والاتصال ببعثة الاتحاد الأوروبي بتونس إن الافتتاح تم مساء الأربعاء في تونس العاصمة من دون مظاهر احتفال.

وأضاف أن البرنامج اشتمل استقبال المشاركين، وكلمتي سفيري الاتحاد الأوروبي، وإسبانيا في تونس مع عرض الشريط الإعلاني للمهرجان ثم الفيلم الإسباني "شجرة الزيتون" للمخرجة إيسيار بولان، وبطولة آنا كاستيلو، وخافيير غويتريس، وبيب أمبروس.

يذكر ان حفل افتتاح أيام الفيلم الاوروبي بتونس شهد مساء الأربعاء، بفضاء مدار قرطاج، اقتحام عدد من المحتجين المناصرين لفلسطين لقاعة العرض بعد حوالي ربع ساعة من انطلاق الفيلم الافتتاحي.

وردد المحتجون، رافعين العلم الفسطيني، أمام سفراء الدول الاوروبية الحاضرين في القاعة شعارات منددة بـ"الامبريالية" وبمواقف الاتحاد الاوروبي الداعمة لإسرائيل ازاء ما يحدث في غزة من قصف همجي وتقتيل للمدنيين.

كما عبر المحتجون ممثلو تنسيقية العمل المشترك من أجل فلسطين في تونس، عن استنكارهم لمساندة الدول الاوروبية "للعدو الصهيوني" وصمتها عن ما يرتكبه من مجازر في حق سكان غزة وخاصة الأطفال.

وقد حلت وحدات أمنية في الابان على عين المكان، ليغادر المحتجون اثر ذلك دون حدوث اي مشاحنات.

تعاطفًا مع غزة .. هند صبري تستقيل من منصبها كسفيرة لبرنامج الغذاء العالمي

أعلن عدد كبير من النجوم خلال الأيام الماضية تعاطفهم مع القضية الفلسطينية، وما يتعرض له أهل غزة في الفترة الحالية من قصف متواصل منذ 7 أكتوبر الماضي، وأعلنت هند صبري، عن استقالتها من منصبها كسفيرة لبرنامج الغذاء العالمي، من خلال بوست نشرته على حسابها الخاص إنستجرام.

وجاء في رسالة الاستقالة قولها:"لقد حاولت إيصال صوتي على أعلى مستوى في برنامج الأغذية العالمي والانضمام لزملائي في المطالبة باستخدام ثقل البرنامج- مثلما فعل بنجاح في السابق، للدعوة والضغط بقوة من أجل وقف إطلاق النار الإنساني والفوري في قطاع غزة، والاستفادة من نفوذ البرنامج لمنع استخدام التجويع كسلاح حرب.

لأنني كنت على يقين من أن برنامج الأغذية العالمي – الذي حصل على جائزة نوبل للسلام قبل 3 أعوام فقط – بعد أن كان مشاركا نشطا في قرار الأمم المتحدة رقم 2417 الذي أدان استخدام التجويع كوسيلة من وسائل الحرب – سوف يستخدم صوته بقوة كما فعل في حالات الطوارئ والأزمات الإنسانية المتعددة.

ومع ذلك، فقد تم استخدام التجويع والحصار كأسلحة حرب على مدى الأيام الستة والأربعين الماضية ضد أكثر من مليوني مدني في غزة.

وهو السلاح الذي قتل حتى الآن أكثر من 14 ألف شخص، وأصبح أكثر من 1.6 مليون شخص بلا مأوى، ودُمرت نصف المباني، وقصفت المستشفيات والمدارس التي من المفترض أن تكون ملاجئ آمنة.

لأجل ذلك.. أعلن إستقالتي وأتمنى لجميع زملائي في برنامج الأغذية العالمي السلامة والسلام.

مع تأكيدي أنني لن أتخلي عن دوري الإنساني والمجتمعي، لكنني سأقوم به بصيغ أخرى ومختلفة.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

مدينة تطوان المغربية تحتضن الدورة الثامنة من المهرجان الدولي لمدارس السينما

تستعد مدينة تطوان في الفترة مابين 1 و5 دجنبر 2023، لاحتضان المهرجان الدولي لمدارس السينما (فيداك) بمشاركة 36 شريطا في المسابقة الرسمية للدورة الـ8، بمسرح سينما إسبانيول التاريخي.

وتم انتقاء 36 فيلما من بين أكثر من 3 آلاف ترشيح للمشاركة في المسابقة للمهرجان الذي تنظمه جمعية بدايات للفن والسينما وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، التابعة لجامعة عبد المالك السعدي، بدعم من المركز السينمائي المغربي وبشراكة مع مؤسسات وطنية ودولية.

واعتبر المنظمون أن الأمر يتعلق بعدد استثنائي من الأفلام والمدارس والبلدان المشاركة في هذه الدورة، البعض منها يشارك للمرة الأولى، موضحين أن الدورة تشهد مشاركة 23 دولة، تمثل أعرق وأشهر المدارس السينمائية العالمية، ويتعلق الأمر بالصين، واليابان، والولايات المتحدة، وفلسطين، وكولومبيا، وبلجيكا، وجمهورية التشيك، وإسبانيا، وبوركينا فاسو، ولبنان، وتركيا، وإيطاليا، والمجر، والمملكة المتحدة، وألمانيا، وكندا، والمكسيك، وإندونيسيا، والنرويج، وإيران، والأرجنتين، وفرنسا، ومصر، والمغرب.

وتشكل الأفلام المشاركة باقة مختارة من أفلام سينمائية تتوزع على 10 أفلام روائية، و14 فيلما وثائقيا، و12 فيلما تحريكيا، بعضها يعرض لأول مرة عالميا والبعض الآخر لأول مرة عربيا وإفريقيا.

واستطاع مهرجان تطوان الدولي لمدارس السينما، حسب المنظمين، أن يثبت حضوره "النوعي خلال 8 دورات فقط من وجوده، كمرجع أساسي على الصعيد العالم العربي والإفريقي، ويصنف كموعد سينمائي مرجعي على المستوى الدولي، بفضل دقة اختياره وتنظيمه المحكم، والتوافق بين مكوناته الجامعية، ومكوناته المدنية" .

ويشكل المهرجان هذه السنة موعدا سينمائيا بامتياز لاكتشاف تجارب سينمائية جديدة ومواهب من أفضل المدارس السينمائية، والاحتفال بالسينما والفن والثقافة.

عرض نسخة مرممة لفيلم "وقائع سنين الجمر" لمحمد الأخضر حمينة بالسينماتيك الملكية البلجيكية

برمجت السينماتيك الملكية البلجيكية عرض نسخة مرممة لفيلم "وقائع سنين الجمر" للمخرج الجزائري محمد الأخضر حمينة (المتوج بالسعفة الذهبية لمهرجان "كان" السينمائي بفرنسا في 1975)، في إطار "مهرجان الترميم" الذي تعقد فعالياته ما بين 20 و30 نوفمبر ببروكسل، وذلك ضمن قائمة تضم 38 فيلما كلاسيكيا عالميا خضعت للترميم، وفق ما أعلن عنه الموقع الإلكتروني للتظاهرة.

وتم ترميم نسخة عن فيلم "وقائع سنين الجمر"، وهو ملحمة سياسية تاريخية، من أبرز الأعمال التي تركت بصمة في الساحة السينمائية العالمية، بالتعاون مع عدة شركاء بينهم "مؤسسة جورج لوكاس فاميلي للأفلام"، حسب توضيحات الموقع.

ويسعى "مهرجان الترميم"، الذي تم تأسيسه في 2018، لعرض مجموعة منتقاة من الأفلام التي قامت السينماتيك الملكية البلجيكية بترميمها ورقمنتها ب" عناية" و"دقة فائقة"، وهي "سلسلة من أفلام عالمية كلاسيكية شهيرة وأفلام غير متوفرة أو مفقودة لتقديمها بصورة رقمية للأجيال القادمة".

وضمن قائمة الأفلام المرممة المبرمجة للعرض هناك "الكلب الأندلسي" (1929) للمخرج الإسباني لويس بونويل، و"الساموراي" (1967) للفرنسي جان بيير ميلفيل، و"المحاكمة" (1962) للأمريكي أورسون ويلز، و"هاوس" (1977) لليابانية نوبيهيكو أوباياشي، و"خوف ورغبة" (1952) للأمريكي ستانلي كوبريك، وغيرها من الأفلام النادرة.

من جهة أخرى، سيعرض المهرجان أيضا دررا نادرة من روائع الأفلام القصيرة والمتوسطة على غرار أفلام المخرجة اللبنانية جوسلين صعب، كما يتضمن البرنامج تقديم محاضرة حول "الفن ومنهجية العثور واسترجاع الأفلام المفقودة".

نجل أنجلينا جولي وبراد بيت بالتبني يهاجم والده : حياتنا تحولت إلى جحيم بسببك والعالم سيعرف حقيقتك يوما ما

شن باكس بيت، هجومًا عنيفًا على والده بالتبني براد بيت، بسبب عدم اهتمامه به وبأشقائه، وهو الأمر الذي كشف عن توتر العلاقة بينهما.

وكتب باكس رسالة لوالده عبر حسابه بموقع انستجرام، وقال فيها إن والده لا يعير أي اهتمام له ولأشقائه، مضيفًا : حياتي أنا وعائلتي أصبحت جحيم بسببك، ومهما قلت أو أظهرت للعالم، فإن الجميع سيعلم حقيقتك يوما ما.

وكان تبنى براد بيت باكس رسميا عام 2007، بعد مرور عام واحد من تبنى أنجلينا جولى له في عام 2006، وخلال الفترة الماضية انتشرت العديد من الأقاويل حول أن علاقة باكس بوالده جيدة بالرغم من توتر علاقة الأخير بوالدته أنجلينا.

ويأتي ذلك تزامنًا مع نشر مجموعة من التقارير العالمية، أن براد بيت مرتبط حاليا بمصممة المجوهرات، إينيس دى رامون، والتي تصغره بـ 27 عامًا، بالرغم من وجود خلافات حتى الآن مع طليقته أنجلينا جولي.

وتعمل إينيس دي رامون، حبيبة بارد بيت في صناعة المجوهرات، حيث تخرجت من جامعة جنيف عام 2013 بدرجة البكالوريوس في إدارة الأعمال، وكانت متزوجة سابقًا من الممثل بول ويسلي، ولم يتم الكشف عن سبب انفصالهما، لكن خبر طلاقهما تصدر العناوين في سبتمبر 2022 بعد ما يقرب من ثلاث سنوات على الزواج.

ومن ناحية أخرى، عرض مؤخرًا لبراد بيت في السينمات، فيلم Babylon، وشارك في بطولته عدد من النجوم، أبرزهم مارجوت روبي، وتوبي ماجواير، فيبي تونكين، أوليفيا وايلد، وكاثرين ووترستون، من تأليف وإخراج دامين شازيل.

«أسد أسود» جديد محمد رمضان

يواصل أبطال وصناع فيلم أسد أسود، في الفترة الحالية التحضير للعمل تمهيدًا لبدء تصويره خلال الفترة المقبلة، وتعاقدت الشركة المنتجة للفيلم حتى الآن مع عدد كبير من النجوم.

وتضم قائمة النجوم المتعاقدين رسميًا على بطولة العمل بجوار محمد رمضان كل من رزان جمال، ماجد الكدواني، خالد الصاوي، شريف سلامة، علي قاسم، أحمد عبدالحميد، والممثلة إسلام مبارك، ومحمود السراج، والعمل تأليف وإخراج محمد دياب

يذكر أن آخر أعمال رمضان في السينما كان فيلم ع الزيرو، وضم في بطولته نيللي كريم، جومانا مراد، محمد لطفي، خالد الصاوي، إسلام إبراهيم، شريف دسوقي، والطفل منذر مهران، ودارت أحداثه في إطار اجتماعي إنساني أكشن، حول الـ DJ حمزة دراجون الذي يجسد شخصيته محمد رمضان ويقع في العديد من الأزمات خلال الأحداث، حيث يضطر إلى بيع عضو من أعضاء جسمه من أجل علاج نجله المُصاب بالسرطان.

الفيلم يتناول في جزء منه ثورة العبيد ويناقش بعض القضايا المهمة بطريقة مميزة بحسب مصادر من داخل الفيلم، ومن المقرر أن يتم الإعلان عن باقى فريق الممثلين تباعاً خلال الفترة المقبلة، خاصة أن مخرج العمل يعاين أماكن التصوير حالياً والديكورات الخاصة بالفيلم وخلافه.

وبسبب فيلم "أسد أسود" قرر محمد رمضان عدم خوض منافسات دراما رمضان في العام المقبل، حتى يتفرغ للفيلم، خصوصاً أن محمد رمضان لديه تحد كبير في تقديم عمل سينمائي عالى المستوى وبجودة مميزة، وهو ما دفعه لعدم تقديم مسلسل درامي في رمضان 2024.

سينمائيات

إعداد : منير الفلاح

برلين تعزز ميزانية مهرجانها السينمائي بمليوني أورو

تعهدت مدينة برلين بتعزيز ميزانية مهرجان برلينالة، مما يساعد على مواجهة التخفيضات الكبيرة التي هزت تنظيم أحد أكبر المهرجانات السينمائية في أوروبا.

وفي حدث إعلامي يوم أمس الثلاثاء، تعهدت المدينة بدعم برلينالة بمبلغ 2.2 مليون دولار (2 مليون يورو) على مدى العامين المقبلين، بدءًا من عام 2024. وينبغي لهذه الأموال المساعدة في سد الفجوة في الميزانية التي خلفتها التخفيضات التي أجرتها الحكومة الفيدرالية الألمانية.

لا تزال وزارة الثقافة الفيدرالية الألمانية هي الممول الرئيسي لبرلينالة، حيث تمول الحدث بمبلغ يصل إلى 11.8 مليون دولار (10.7 مليون يورو) سنويًا. وزادت ذلك بمبلغ إضافي قدره 2.4 مليون دولار (2.2 مليون يورو) في عامي 2022 و2023 للمساعدة في تغطية التكاليف المتزايدة، لكن هذا التمويل ينفد هذا العام.

ومن غير الواضح من أين ستأتي الأموال الجديدة، ولكن يبدو أنه سيتم تمويلها في البداية من خلال يانصيب الدولة قبل أن تصبح جزءًا من ميزانية برلين العادية في المستقبل. كان عمدة برلين كاي فيجنر صريحًا في دعمه لبرلينالة ودعم التمويل الأوسع للاستثمار في البنية التحتية للسينما في العاصمة الألمانية. خصصت برلين 5.5 مليون دولار (5 ملايين يورو) لدعم أوسع لمسارح المدينة، بدءاً باستثمار 1.1 مليون دولار (1 مليون يورو) في عام 2024.

يقام مهرجان برلين السينمائي الدولي الرابع والسبعون في الفترة من 15 إلى 25 فبراير 2024.

استبعاد ميليسا باريرا من بطولة فيلم "سكريم 7" بسبب دعمها لفلسطين

استبعدت مجموعة "سباي غلاس" الإعلامية الأميركية، الممثلة المكسيكية ميليسا باريرا من بطولة سلسلة فيلم "سكريم 7" (Scream 7) لمشاركتها منشورات داعمة لفلسطين عبر منصات التواصل الاجتماعي، واصفةً ما يحدث جراء الحرب الإسرائيلية على غزة بـ"الإبادة الجماعية".

وحسب ما ذكر موقع "فارايتي" الأميركي، فإن شركة "سباي غلاس" المنتجة للفيلم رفضت في البداية التعليق على ما نُشر عن استبعاد باريرا من طاقم الفيلم، لكنها عادت لاحقا لتبرر بأن "باريرا طُردت لإظهار دعمها للقضية الفلسطينية".

وأصدر المتحدث باسم الشركة بيانا نشرته المجلة جاء فيه، "موقفنا واضح بشكل لا لبس فيه: ليس لدينا أي تسامح مع معاداة السامية أو التحريض على الكراهية بأي شكل من الأشكال، بما في ذلك الإشارات الكاذبة إلى الإبادة الجماعية أو التطهير العرقي أو تشويه الهولوكوست أو أي شيء يوحي بشكل صارخ أنه خطاب كراهية".

وكانت ميليسا (33 عاماً) قد كتبت عبر حسابها على إنستغرام، "نجتمع معاً كفنانين ومناصرين، ولكن الأهم من ذلك كبشر نشهد الخسائر المدمرة في الأرواح والأهوال التي تتكشف في فلسطين وإسرائيل".

وسرعان ما قطعت الشركة علاقاتها مع بطلة فيلم "في المرتفعات" (In the Heights) التي كانت تستعد لدور البطولة في الجزء الجديد من سلسلة "سكريم" بعد أن جسدت بطولة الجزئين الخامس والسادس خلال العامين الماضيين.

وبينما حظي موقف باريرا بإشادة واسعة، اعتبر مدونون ونشطاء ما حدث معها "تقييداً للحريات أكثر من أي وقت مضى"، كما أدانوا الشركة لإنكارها الإبادة التي ترتكب بحق الفلسطينيين.

كريستوفر نولان لن يقوم بإخراج فيلم جيمس بوند القادم

قال كريستوفر نولان إنه لن يقوم بإخراج فيلم جيمس بوند، كمشروعه القادم.

وأسقط المخرج التكهنات بأنه قد يتحول إلى امتياز 007 بعد النجاح الكبير الذي حققته دراما الصيف أوبنهايمر.

وقال نولان في مقابلة أثناء الترويج لإصدار الفيديو المنزلي لفيلم أوبنهايمر، والذي حطم الأرقام القياسية باعتباره الفيلم الأكثر ربحًا المتعلق بالحرب العالمية الثانية وأعلى فيلم عن السيرة الذاتية: "للأسف، لا صحة لهذه الشائعات".

استبعاد أمبر هيرد من الترويج لـ "أكوامان 2"

أعادت أمبر هيرد إثارة الجدل بعد استبعادها بالكامل من الفيديو الترويجي الأخير لفيلم "أكوامان2"، المقرر عرضه في 20 ديسمبر 2023، وسط مزاعم بأن دورها قد تم تقليصه بسبب صورتها السلبية أمام الجمهور، خلال المحاكمة الشهيرة مع جوني ديب العام الماضي.

هيرد (37 عاماً) التي ظهرت في دور ميرا في أول مقطع دعائي للفيلم في سبتمبر 2023، لم تظهر في لقطة واحدة خلال أحدث إعلان تشويقي للفيلم، الذي جاء بعنوان "أكوامان أند لاست كينغدوم" Aquaman and the Lost Kingdom.

وقد تجدّدت هذه المزاعم حول تقليص دورها، بعد ادعاءات بأنها هيرد كافحت بشدة للبقاء في فيلم "أكوامان2"، خلال محاكمتها الشهيرة ضد زوجها السابق النجم جوني ديب بتهمة الاعتداء عليها.

وفي الجزء الثاني من "أكوامان"، تلعب هيرد دور الأميرة ميرا، إبنة الملك نيريوس، التي يمكنها التحكّم بالمياه بعقلها، والتواصل مع سكان مدينة أطلنطس الآخرين بشكل تخاطري، والتي أصبحت زوجة البطل "أكوامان" الأمير آرثر، الذي يؤدي دوره الممثل جيسون موموا.

بالمقابل، يبدو أن نيكول كيدمان، التي تعود بدور أتلانا، والدة آرثر وملكة أتلانتس السابقة، تتمتع بحضور أكثر بروزاً في الجزء الثاني من الفيلم.

وفي تصريح سابق نشر في موقع "إنترتايمنت ويكلي" الأسبوع الماضي، رد المخرج جيمس وان على مزاعم تقليص دورها في الفيلم بسبب محاكمتها مع جوني ديب، معتبراً أن سيناريو الأحداث لم يعد يفرض وجودها الكبير بشخصيتها ميرا.

وفسر "أن الجزء الأول كان رومانسياً، سواء من علاقة الحب بين والدي آرثر، ثم علاقة حي آثر وميرا، لكن الجزء الثاني سيكون مختلفاً تماماً، وسيكون مليئاً بالأكشن والحركة والمغامرات".

بالمقابل، ادعت هيرد على جيمس وان أنه عاملها بشكل سيئ لأنه صديق مقرب للنجم ديب، لكن متحدّث "دي سي" دحض هذه المزاعم، مشدداً على أن جيمس وان معروف بمعاملته لأعضاء طاقم عمله بأقصى قدر من الاحترام، وتعزيز بيئة تعاونية إيجابية في موقع التصوير.

هذه ليست المرة الأولى، التي تتسبب الممثلة هيرد بجدل لصناع فيلم "أكوامان2"، حيث انتشرت معلومات خلال الشهر الماضي، تنقل عن هيرد زعم أن زميلها موموا اعتدى عليها وطردها من موقع التصوير، ولكن سارع مخرج الفيلم أيضاً إلى نفي هذه المعلومات.

طرد نجمتين عالميتين بسبب تضامنهما مع الشعب الفلسطيني

وقعت سوزان ساراندون وميليسا باريرا، في مرمى نيران الجدل والتداعيات المهنية بعد تعليقهما على العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

تعد الممثلة العالمية سوزان ساراندون، نجمة بارزة في صناعة السينما وحازت على العديد من الجوائز، بما في ذلك جائزة الأوسكار عن دورها في فيلم 1995) Dead Man Walking)، ولكنها وبالرغم من كل ذلك ألا انها واجهت عواقب وخيمة من وكالة United Talent بعد مشاركتها في مسيرة مؤيدة للفلسطينيين في مدينة نيويورك.

في المسيرة، أعربت ساراندون عن مخاوفها بسبب العدوان على الأراضي الفلسطينية، وطالبت بوقف إطلاق النار في غزة، وبالتالي أثارت تعليقاتها ردود فعل عنيفة على وسائل التواصل الاجتماعي، مع اتهامات بمعاداة السامية، وأكدت وكالة United Talent رحيل ساراندون، تاركة الممثلة للتعامل مع التداعيات المهنية.

في الوقت نفسه، اتخذت مجموعة Spyglass Media Group إجراءات حاسمة ضد الممثلة الشابة ميليسا باريرا، المعروفة بدورها في سلسلة أفلام Scream، حيث وجدت باريرا نفسها مستبعدة من طاقم الممثلين بعد أن أظهرت تضامنها مع فلسطين من خلال حسابها على موقع الصور إنستجرام، حيث كتبت على خاصية ستورى "أنا أيضا اتيت من بلد مستعمر، فلسطين ستكون حرة، لقد حاولوا دفننا، ولم يعلموا أننا بذور".

ردًا على ذلك، أصدرت مجموعة Spyglass Media Group بيانًا أعلنت فيه بشكل قاطع عدم تسامحها مطلقًا مع معاداة السامية أو التحريض على الكراهية بأي شكل من الأشكال.

ووفقا للتقرير الذى نشر على موقع "dailyo"، تسلط هاتين الحادثتين الضوء على المعايير المزدوجة الصارخة التي تعمل بها هوليوود، حيث يمكن أن يؤدي التضامن مع الفلسطينيين أو انتقاد الأعمال العسكرية الإسرائيلية إلى عواقب مهنية عميقة.

في قاعاتنا السينمائية

إعداد : منير الفلاح

الفيلم الملحمي "نابليون" يغزو الشاشات التونسية

يدور فيلم Napoleon، حول القائد الفرنسي الشهير نابليون بونابرت، حيث يستكشف الفيلم ملحمة صعود نابليون إلى السلطة من خلال طبقته الاجتماعية، وطموحاته الشخصية وعلاقته بزوجته جوزفين.

فيلم Napoleon، من إخراج ريدلي سكوت، وبطولة النجم العالمي خواكين فينيكس، وتشاركه البطولة الممثلة العالمية فانيسا كيربي في دور إمبريس جوزفين، وجودي كومر، وطاهر رحيم، ومارك بونار، وماثيو نيدهام.

ويذكر أن الفيلم قد حصل على تصنيف R، وذلك بسبب ما يحتويه على مشاهد 18+، والمشاهد الدموية بسبب الحروب التي يحتوى عليها العمل.

تصنيف R هو مصطلح أمريكي، ما يعني أن أي شخص يقل عمره عن 17 عامًا يجب أن يكون برفقة أحد الوالدين أو وصي بالغ إذا رغب في مشاهدة الفيلم في دور السينما.

في المملكة المتحدة، فئة R، تكون من بداية 15 عاما، مما يعني أنه لا يُسمح لأي شخص يقل عمره عن 15 عامًا بمشاهدة الفيلم في دور العرض، حتى لو كان برفقة شخص بالغ.

ويعتبر فيلم "نابليون" للمخرج ريدلي سكوت صورة ترسم توازياً بين تعطش نابليون للسلطة وعلاقته المضطربة مع جوزفين، التي كانت أكبر منه بستة أعوام.

قال سكوت (85 عاماً) لمجلة "ديدلاين" السينمائية إن نابليون غزا العالم من أجل الفوز بحبها، وعندما لم ينجح، قام بغزوها من أجل تدميرها. وخلال هذه العملية، دمر نابليون نفسه.

وبميزانية تقدر بـ130 مليون دولار، رسم سكوت معركة عظيمة، وبالإضافة إلى الممثلة فانيسا كيربي، أعاد سكوت التعاون مع الممثل يواكين فينيكس بعد 23 عاما. وكان فينيكس قد لعب دوراً مساعداً في فيلم "جلاديتور" (المصارع) خلال عام 2000، حينما جسد دور الامبراطور المجنون والقاسي كومودوس.

وقال سكوت إنه بالنسبة له، فإن فينيكس هو الوحيد القادر على تجسيد نابليون. وأضاف سكوت أن فينيكس جسد في جلاديتور شخصية أحد أكثر الأبطرة تعقيداً في تاريخ السينما. والآن، من خلال فيلم نابليون، تمكن فينيكس من القيام بالامر مجدداً.

ويؤدي فينيكس (49 عاماً) دور شخصية صارمة وكئيبة في أرض المعركة، في دور مشابه لشخصيته في "جلاديتور". ولكن في نفس الوقت، يقوم بدور المهرج عندما يفر من الساسة أو ينظر بعمق في عيني مومياء فرعونية. ويجيد فينيكس تجسيد مثل هذه التناقضات بمهارة، كما أنه استجاب بتحد لتعليق جوزفين بأن نابليون كان سمينا: القدر أراده أن يكون هنا، القدر أراد أن يأكل قطعة لحم الضأن.

ويشتهر سكوت بأعماله التاريخية، فبجانب فيلم "جلاديتور"، الذي قام ببطولته أيضا الممثل راسل كرو، هناك فيلم " -1492 ذا كونكست اوف باراديز" لممثل جيرارد ديباردیو. ومن خلال فيلم "نابليون" يعرض سكوت ملحمة قوية بصريا، وإن كان ذلك من خلال مواقع تصوير أقل إبهارا مقارنة بفيلم " جلاديتور".

ويعرض الفيلم مشاهد معارك جعلت نابليون مشهورا، مثل انتصاره على البريطانيين في تولون خلال عام 1793، والحملة المصرية، والانقلاب خلال عام 1799 والحملة الروسية المصيرية.

ومن المحتم أن يخاطر أي شخص يعمل على تجسيد شخصية تاريخية بارزة مثل نابليون على شاشة السينما بمواجهة أحكام من جانب جمهور واسع النطاق وعدد لا نهائي من الخبراء.

وينتقد المتخصصون في شأن نابليون، من بين أمور أخرى، المشهد الافتتاحي للفيلم الذي يظهر بونابرت خلال إعدام الملكة ماري انطوانيت، حيث كان لا يفترض تواجده في ذلك الوقت.

وقد قدم سكوت فيلماً يجتاز الحدود بين التاريخ والخيال. !ذ أن نابليون لا يعد سيرة ذاتية تاريخية.

وخلال العرض الأول للفيلم في متحف الجيش في باريس- تقع مقبرة نابليون أسفل الكاتدرائية المتاخمة لمتحف الجيش، قال فينيكس إن الفيلم يركز على الشخصيات الرئيسية وعواطفها.

وقال سكوت إنه منذ وقت طويل كان مهتما بنابليون، الذي توج نفسه إمبراطوراً لفرنسا عندما كان يبلغ من العمر 35 عاماً، وقضى آخر أيامه في المنفى في جزيرة سانت هيلينا الصغيرة في وسط المحيط الأطلنطي. وأضاف سكوت أن الامبراطور شخصية رائعة، تجسد كل شيئ، الخير والشر.

وكان نابليون قد التقى جوزفين، التي كانت أرملة تبلغ من العمر 32 عاماً ولديها طفلين، خلال حفل في عام 1795. ووقع على الفور في حبها، وبعد عام تزوجا. وبسبب عدم إنجابها لأطفال منه، قام نابليون بتطليق جوزفين عام 1810 من أجل أن يتزوج ماري لويز من النمسا. وقد كتب نابليون أكثر من 200 خطاب حب لجوزفين، تم ذكر الكثير منها في الفيلم.

وتبلغ مدة عرض الفيلم 158 دقيقة، ولكنها ليست كافية لعرض تفاصيل صعود وهبوط نابليون. مع ذلك، من المقرر أن تعرض منصة "آبل تي في بلس" نسخة من الفيلم تعرض رؤية المخرج مدتها أربع ساعات. وقال سكوت لمجلة إمباير إن النسخة الكاملة "رائعة" وتحوى مزيداً من التفاصيل بشأن حياة جوزفين.

ويذكر أن فيلم "نابليون" قد أحدث ضجة واسعة بعد عرضه الأول في العاصمة الفرنسية باريس، لا سيما وأنه يلقي الضوء على جوانب خفيه من شخصة القائد الفرنسي، نابليون بونابرت.

نال الفيلم الذي يجسد خلاله الممثل الأمريكي خواكين فينيكس، في أحداثه شخصية نابليون، انتقادات كثيرة، كان أهمها وصفه بالممل من جانب أحد المراجعين السينمائيين، والذي سخر أيضا من رؤية الجنود الفرنسيين في الفيلم وهم يهتفون "تحيا فرنسا" بلهجة أمريكية.

"المال الغبي Dumb Money" في قاعات السينما

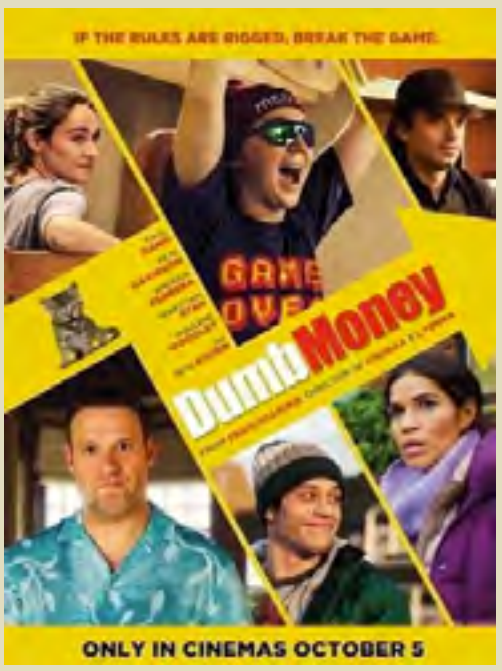

تدور أحداث فيلم المال الغبي DUMB MONEY، حول قصة حقيقية لأشخاص عاديين، أحدثوا ما يشبه المعجزة، في بورصة وول ستريت، وأصبحوا أثرياء من خلال تحويل متجر ألعاب فيديو، إلى الشركة الأكثر شهرة في العالم.

الفيلم من [illegible]خرا[illegible]: كريج جيليسبي

ومنتأليف: بين مزريتش ومن بطولة بول دانو وسيباستيان ستان وسيث روجان وبيت ديفيدسون وشايلين وودلي ونيك أوفرمان .

تدور أحداث الفيلم قبل عامين فقط، يتمكن Dumb Money من تجسيد حقبته الزمنية بدقة مدهشة، وذلك من خلال مزيج من موسيقى الهيب هوب الصاخبة (مثل ميغان ثي ستاليون) وحديث متكرر حيث تطلب الشخصيات من بعضها البعض رفع أقنعتها. (صحيح أن وباء كورونا يُؤرخ تلقائياً الفترة التي تقع بها أحداث كل فيلم يظهر به، لكنه على الأقل يفعل ذلك بطريقة مقصودة هنا). تظهر لقطات حول ميمات بشكل بارز في هذا الفيلم، وهي تقنية قد تصبح مملة بعد استخدامها الرابع أو الخامس، لكنها تجسد اللغة العامية والموقف السائد لثقافة فرعية معينة على الإنترنت في مرحلة معينة من التاريخ، وهي لحظة لم يكن فيها إيلون ماسك قد اشترى تويتر بعد، كما يصبح واضحاً كلما ظهر وجه الملياردير على الشاشة.

يتحرك الإنترنت بسرعة. ولكن الأمر كذلك بالنسبة لغيليسبي. حيث يستخدم المخرج نفس الأسلوب المبهرج الذي ظهر أيضاً في فيلمه الرائع، I,Tonya، فيتنقل في Dumb Money بين المشاهد بتكرار إيقاعي ووتيرة جنونية تضفي إثارة بصرية على قصة تدور أحداثها إلى حد كبير عبر الإنترنت. كما أن وجود مجموعة كبيرة من الوجوه المألوفة يحافظ على عامل الأصالة والإثارة مرتفعاً، حتى لو كانت خاتمة الحبكة معروفة. لذلك لا ضير من قضاء وقت ممتع على طول الطريق.

يقدم Dumb Money قصة الارتفاع الحاد قصير الأجل لأسهم GameStop الذي حدث في جانفي2021 بأسلوب ساخر يصور حقبته الزمنية بدقة مدهشة. يسلط الفيلم الضوء على كيث غيل (بول دانو) المعروف أيضاً باسم Roaring Kitty، ومتابعيه، لكن من السهل أن تبدو كشخص جيد عندما يكون أعداؤك مدراء صناديق التحوط.

عتبات الفنّان خالد ميلاد - (ج7)

كمال العيّادي (الكينغ)

- (فكّ شفرة اللّوحة رقم 25 / من ثلاثة وثلاثين)

((...عضوا... عضوا، أسلّم جسدي للمنام. شجر اللّوز ينحني بأظافره. قلبي أتبيّنه بوضوح، من بين كلّ القلوب. مصلوبا عند سور مدينة. غائرة في التّراب. أهيّ طروادة. أم هيّ القيروان؟... جثث الأهل. والأحبّة. تتكوّر تحت لحاف السّرير. جثث...جثث...تصطكّ. أسنانها من البرد. وفي رئتي يضوع بخور القيروان. أهرب لحين منها. منشغل بهمومي عنها. أقاتل وحدي. أجندل جنودا وأبطالا. على أسوارها. ولكنني, أنتهي مثخنا بالجراح. أسيرا لديها...(الكينغ)...)).

هذه هيّ اللّوحة الوحيدة، التي نرى فيها سورا غائما، بثلاثة أبواب، من بين كلّ مجموعة الثلاثة وثلاثين لوحة (المسبحة الصغيرة)، التي حصل لي شرف إقتنائها من الفنان الألمعيّ خالد ميلاد. وبما أنّه لا توجد بوّابة في سور القيروان، بثلاثة أبواب معا. فهذا يحيلنا مباشرة وبألمعيّة فنيّة، على عتبة الحلم والرّؤيا التي تكون البديل الممكن والمشروع عن حقيقة وقتامة وتجهّم الرّؤية والواقع، الذي تهان فيه القيروان بالنّسيان والجحود وتداول الحُكّام الفاسدين والغرباء عليها... كلّ شيء هائم وغير ثابت في اللّوحة، إلاّ مئذنة جامع عقبة، فهي من ثوابت القيروان. والرّكن القائم حين تميع كلّ الثوابت والقيم والأركان... فكلّ المُستحدث، يُراجع ويناقش... إلاّ ركن الأصول والمرجعيّة والوتد الأبقى و الأوّل. و الضارب في رحم القيروان... فتلك الثوابت، هيّ ببساطة: القيروان...

-فكّ شفرة اللّوحة رقم 26 / من ثلاثة وثلاثين

((فيها شيءٌ، كالقرآنْ...فيها شيءٌ، كالألحانْ...فيها سرّ، وأشجَانْ... وأوّل حروفها، ينطقُ دُفعة واحدة: -قَيْرَوَانْ-...))- (الكينغ)

ترجّل...ولا تعجّل الخطو. وأنت تدخل القيروان... ففي القيروان نور لا ينفذ لقلب لمن يُرْكِضُ قلبَهُ ويجري خلفه... أمام هذه اللوحة، لا تملك إلاّ أن تستحضر الآية الخامسة والثلاثين من سورة النّور... وتشعر أنّ نور الله يسيح من فرشاة الفنّان ليُشبع اللوحة بهالةٍ وطاقة إيجابيّة مذهلة... فهنا، أنت لا تشعر بأنّ القيروان مضيئة فقط... بل تشعر أنّها تُضيئكَ وأنّ النّور ينفذ إليك ويملأ كيانك كلّه. حتّى لكأنّك ترتفع قليلا عن أديم الأرض.. رحلة بين النّور والفيروز... بين لون الذّهب، سيّد المعادن. وبين أنبل ألوان الحجارة الكريمة وأقربها إلى قلوب العشّاق... السور والقبّة والمئذنة... والأرض المباركة نور، والسّماء رضا وصفاء وحضن لا يفتر ودّه... (النّورانيّة)... هذا أوّل إسم تبادر فورا إلى ذهني وأنا أرى هذه اللّوحة لأوّل مرّة، حال إنتهاء الفنّان (خالد ميلاد) من رسمها، وحين أرسل لي صورتها، وألوانها لم تجفّ بعد، في مرسمه، وبين فرجاتِ أصابعهِ....

فكّ شفرة اللّوحة رقم 27 / من ثلاثة وثلاثين

((ومن أسمائها: مدينة أروَى. ودار الأغلب. ووديعة عقبة. وثالثة الثلاث. وبها لكلّ لائذٍ منابْ...والقيْرَوَانُ آية بسُورٍ وَثمَانيّة أبْوَابٍ. وتعِجّ بالبَرَاهِينِ والأسْبَابِ. (الكينغ)...))

(لوحة الصّداق القيروانيّ. ومدينة أرْوَى):

على حدّ علمي،، هذه أوّل لوحة تشكيليّة عربيّة تزاوج بين القيروان وصداق أروَى الشهيّر باسم الصّداق القيروانيّ. وقد رسمها الفنّان خالد ميلاد (بطلب ورجاء مُلحّ منّي). كون صورة القيروان ستكون ناقصة من دون لوحة ترمز وتستحضر الصّداق القيروانيّ وصاحبته أروَى القيروانيّة....و كثيرون، يسمعون بالصّداق القيروانيّ وبأرْوَى القيروانيّة. ولكنّهم لا يعرفون أنّ مدينة بغداد، مثلاً، بكلّ قصورها وعراقتها و مجدها، هيّ هديّة من القيروان. وتحديدا هديّة من القيروانيّة التّونسيّة العربيّة الأسطورة

(أروى القيروانيّة)، والتى تُكنّى (بأمّ موسى بنت منصور الحميرية)، زوجة الخليفة العباسي، (أبو جعفر المنصور)، وهو الخليفة الثّاني في ترتيب خلفاء بني العبّاس، بعد شقيقه الملقّب بالسّفّاح، لكنّه المُؤسس الفعلي للدولة العباسيّة وهو الذي ثبّت دعائمها. وهو الذي أسّس مدينة بغداد وقد اختار لها موقعا على رقعة مرتفعة من الأرض على الجانب الغربي من نهر دجلة عند مصب نهر الرّفيل، وذلك كهديّة لزوجته (أروى القيروانيّة) وبطلب منها. ومن نسل أروى القيروانيّة، حكم أكثر من ثلاثمائة خليفة في فترة الخلافة العباسيّة التي دامت سبعمائة وسبعة وستّين سنة 767، ومنهم هارون الرّشيد وغيره من خلفاء الدّولة العبّاسيّة. وهي صاحبة (الصداق القيرواني) الشهير، والذي يعتبر، ثورة بالفعل، ما ستلهم الطاهر حداد والحبيب بورقيبة لاحقا، وبعد ألف وثلاثمائة سنة، ما تعتبره نحنُ (أفكارْ - ثوريّة)، مازالت تثير الجدل والغيرة في آن، عند جيراننا وأشقائنا العرب المشرقيّين حتّى اليوم....

وحكاية عقد الصداق القيرواني، أنّ أبا جعفر المنصور، كان قد هرب من ملاحقة أمراء بني أميّة إلى مدينة القيروان وهو شاب، وتخفى عند تاجر قيرواني إسمه (منصور بن يزيد الحُميريّ)، والد أروى القيروانيّة. فلمّا مرّت أشهر وهو متخفٍ عنده، أعجب بالصبيّة وخطبها من أبيها، فقالت أنّها لا تتزوّج إلا بمهر لم تسبقها انثى في الحصول عليه ، وهو أن يكتب في العقد الشرط التالي: (لا إمرأة سابقة. ولا لاحقة. وإلاّ فأمرها بيدها). ووافق الشاب المطارد الوحيد الغريب. وتشاء الأقدار أن يتولى شقيقه السّفاح الخلافة، بعد فترة وجيزة من زواجه منها، فيسافر إليه، ومعه زوجته الشابة (أروى القيروانيّة).

ولم تكد تكتمل السنة الأولى على تولي شقيقه السّفّاح الخلافة، كأوّل خليفة في الدّولة العبّاسيّة، حتّى توفيّ، وتولى أبو جعفر المنصور الخلافة. فلمّا جرت بين يديه الجواري وتدلى النّعيم صوبه، فكّر في الزواج وظنّ أنّه سيجد من يُفتيه في الزواج على أروى القيروانيّة، لكن كلّ الأئمّة اتفقوا جميعا على إستحالة العثور على ثغرة يمكن النفاذ منها لإصدار فتوى له بالزواج وفق الشرع الإسلامي على الأقلّ. ومضت عشر سنوات وهو يحاول انجبت له خلالها من الأولاد ما سيبقى نسلهم أكثر سبعمائة وستين سنة. (ويقال أنّ السبب في فشله في ايجاد من يفتيه، أن أروى القيروانيّة، كانت تسترق السمع وتبث عيونها في كل ارجاء القصر) فإذا علمت لمن من الأئمة في كلّ حدود الدولة، سيرسل له برسوله يطلب الفتوى، كانت تسبقه للإمام بالسيف والذهب. وتغريه وترهبه ان كتب فتوى اجازة زواجه من غيرها). ولكن تلك امور تحدث في القصور، والثابت فقط، أنّه لم ينجح في العثور على إمام يفتي لصالحه. وحين ماتت أروى القيروانيّة زوجته. تزوّج مائة من الأبكار في سنة واحدة. وبقي الصداق القيرواني ينسب لصاحبته أروى القيروانيّة ومازال يحفظ حتى جاءت مجلة الأحوال الشخصية في عهد بورقيبة، وانتهى الإشكال نهائيّا بمنع تعدد الزوجات في تونس، وفق القانون. ولذلك يعتبر الصداق القيرواني، أوّل بادرة نسويّة إصلاحيّة في العصر الإسلامي، أرست منع تعدد الزوجات بمقتضى عقد شرعيّ منح للمرة الأولى طلاق المرأة بيدها...ولكلّ ذلك، فهذه اللّوحة ستكون تاريخًا و منذ الآن، أوّل لوحة تشكيليّة ترتبط بالصداق القيروانيّ وصاحبته أروى معا... وهو سبق تاريخيّ. وبامتياز، وهذا حقّ، لن ينتزعه منها أحد....

إيمان السافي... جدلية المحمل التراثي والحضور الأنثوي

طارق العمراوي

للفنانة التشكيلية إيمان السافي رؤيتها الفنية والتعبيرية التي لامست بعمق الإشكاليات التي اشتغلت عليها وقد اختارت اللحفة الساحلية كخلفية إطارية وتراثية لمحملها الخاص هذه اللحفة توارثتها في عائلتها وورثتها عن جدتها لتكون الخلفية والمحمل والرؤية

وقد اختارت في لوحاتها المرأة والإرث التراثي والحضاري لتعبر بهما عن تصوراتها وزاوية نظرها المضمونية والتشكيلية .

إن جدلية التراث كحامل والمرأة ككائن تقاطع وجوده النفسي والثقافي والاجتماعي مع هذا التراث ليشكل ملامحه ومضمونه عبر الكم الهائل من المقولات والقيم والعادات والتقاليد.

فعن اللحفة الساحلية يغلب بياضها ويغطي الحجم الجملي لها مع خطين متواصلين من أول اللحفة لآخرها باللون الأخضرولحفة ثانية لكن بخطين أزرقين وبينهما البياض كرقعة يسهل العمل والاشتغال عليها وفيها .

كانت الرموز التي وضعتها الباحثة في لوحاتها واشتغلت عليها مستقاة ومنتقاة من عمق الثقافة الشعبية المتوارثة ولها دلالاتها التاريخية كالحوت هذا الرمز المتواجد تقريبا في كل الأمم والحضارات فهو رمز البركة وطرد العين الحاسدة ورمز الألفة والتكاثر والخصوبة لتتوحد هذه الصفات في المرأة خلف الشباك الحديدي الأزرق وتلتقي في نفس الأبعاد الرمزية كالتكاثر والحسد والألفة والخصوبة لكن في توزيع تشكيلي مميز 3سمكات الأولى متجذرة في إرثها الثقافي والشعبي وبالأخضر رمز الحياة والخضرة .

رغم تمكنه منها من أولها إلى آخرها وكأنه يكبلها في حين السمكة – المرأة في أعلى اللوحة متحررة من هذه القيود لكنها تتنفس بصعوبة نظرا للفقاقيع المنبعثة من فمها في حين السمكة الصغيرة – الفتاة في منتصف الطريق.هل تتشبث بعراقتها وتكون وفية لماضيها الممتد في حاضرها وتواصل مشوار القدامى محملة بتقاليدهم وعاداتهم أو تتنصل من كل هذا وتطلب انطلاقة أخرى وفي الأخير هناك نظرة حزن وألم للمرأة خلف شباكها طالبة فضاء آخر أرحب ولم تطلبه الفنانة التي طلبت هذا الشباك التونسي المرتبط بمعمار هذا القطر .

ليتواصل الضغط الثقافي والشعبي على المرأة في اللوحةالثالثة عبر تكميم الأفواه والأعين في حركة رمزية مع رموز الوشم الأمازيغي المتوارث والذي فرض على الفتاة من الأعلى إلى الأسفل تقاطرت ألوانه ومرت فوق اليد ليصل إلى أسفل اللوحة في ثلاثية تشكيلية معبرة من القماش إلى الخد إلى اليد فالأسفل محاولين أن يقع توارث هذا الشكل الزخرفي – الزيني لدى المرأة والذي توزع بين الخد وأصابع اليد .

ورغم أن المرأة مسكونة بالآخر والأخرى لكنها ترفض الخنوع وتقوم بحركة «لا»بطريقة فنية الوجه الملتفت عبر النظر إلى الأمام وغض البصر لليسار ضاربة عرض الحائط كل الأصوات والصيحات المتوارثة والجرة الفخارية لطالما تواجدت مع جمال المرأة في العديد من اللوحات لكن مهشمة هو ما يميز لوحة الفنانة إيمان السافي وتواصل الفنانة مسيرة المرأة الرافضة والصابرة وأن تكون سلعة كالجواهر المقدمة لها طالبة غدا أفضل عبر سفرها في أحلامها نهارا إذ رسمتها الفنانة وعيناها مغمضتان .

أما اللوحة الرابعة فحضر الحرف كفاصل زخرفي احتل مسافة هامة على خلفية بنية والأحرف بالأبيض وهذه إضافة تشكيلية تغني تجربة الفنانة والتي تحضر السمكة مرة أخرى وهي ترافق المرأة باللون الذهبي وفي اتجاهين مختلفين الأولى أعلى اللوحة والثانية في أسفلها مع الطاووس رمز الجمال ليعانق جمالية المرأة المطلوبة والقناع الذي ترتديه المرأة وكأنها رضيت به عكس المراة الأخرى ذات الثلاثة وجوه وفي حركة متابعة لشئ ما يجذبها لتتابعه.مع رموز الحضارة الحديثة مقابل الحروف العربية كما تواصل الفنانة تطلعاتها الحرة لغد افضل ورفضا القولبة فكانت أكبر من الدائرة التي يراد لها أن تكون وسطها كما رضيت به صاحبة القناع .

تشكل اللوحات الخمس وحدة فنية وتشكيلية وتعبيرية كانت المرأة شكلا ومضمونا .كانت وعاء لأفكار أجيالها السابقة وأحلام القادمات منهن مع تلاعب وسفر بالألوان إلى أقصى تلويناته وتعبيراته

جولة في تجربة وأعمال الفنانة التشكيلية ايناس بن قدحة بوفارس

بين الطبيعة، والواقعية تنوعت أعمالها الفنية ومواضيعها بتقنيات بين الزيتي والمائي والأكريليك ... huile hydrosoluble au pinceau et au couteau

«..كنت دائما الازم أبي وهو رسام أرصد كل حركاته خصوصا عندما يرسم لوحاته الزيتية. ولحسن حظي أنه كان يسمح لي بأن أتدرب على الرسم باستعمال كل ادواته رحمه اللّه..»

شمس الدين العوني

الفن فكرة القلب حيث الذهاب الى جواهر الأشياء بحثا ونظرا وقولا بما هو كامن في العناصر والتفاصيل من ممكنات الجمال وفق اعتمالات الشواسع ورؤاها المفصحة عن الرغبة في اقتفاء أثر الكلمات والألوان والموسيقى العالية وما يبوح في تعبيريته الفارقة بالجميل والمشرق في الذات حيث الحال في تعدد هيئاتها وتبدلاتها وهكذا...

انها لعبة الفن ومنه التشكيل وما به ترقص الألوان لتقول شيئا من دفتر الرغبات... رغبات الكائن المفتوحة على أزمنة وأمكنة هي خلاصة النشيد الفادح..نشيد الفنان في رؤيته لعالم متغير ليقول تجاهه بعض ما ينتابه من أحاسيس مثل أطفال ينشدون مرحا خالصا تلونه الأحلام وبراءة الحضور في كون يأخذه الضجيج لكن ترتع فيه الأغنيات مثل نسائم صيفية ناعمة..

في هذه الأحوال ثمة فكرة وغرام بالتلوين وحلم قائم لتأثيث الذات بشيء من البهاء والحنين والقول بما هو كامن في الذات من جمال وأصالة وطمأنينة وفق النظر الى الدواخل وهي في حوارها مع الآخرين والعالم ..هي لعبة العواطف النبيلة في مجالات الرسم والتلوين قتلا للبشاعة تتهدد العالم والناس ..الفن في هدأة الحال وفصاحة القلب نظرا بعين الروح لا بعين الوجه..و الرسم هنا ما هو الا ذاك الضرب من السفر الناعم في الأكوان حيث تفاصيل تبوح بغنائها الخافت وهي تعلي من شأن الأمكنة والمشاهد والوجوه بكثير من رغبات طفولة مقيمة من زمان تتجدد وتبتكر في شغفها الفني شيئا من النوستالجيا ..

في هذا السياق كانت تجربة الفنانة التشكيلية ايناس بن قدحة بوفارس التي تخيرت لعبة الرسم ودروبها الشتى لتأخذنا الى مناخات عملها الفني التي تمضي فيها بتقديم العديد من الأعمال الفنية لتبرز لوحاتها معبرة عن مشاهد متعددة بين الطبيعة وجمالها والمدينة العتيقة وسحرها وما علق بالذات من أمكنة منها سيدي بوسعيد والمدينة العتيقة وباريس ... وحالات منها الوجوه والمرأة العازفة على العود في اشارة للأصيل الكامن في الذات والمتصل بالتراث من لباس وغير ذلك حيث اللوحة ترجمان للذات الفنانة الحالمة باستعادة الممتع والجميل والمتصل بذكرى جميلة معانقة للفنانة ايناس التي ترى في الرسم والتلوين حيزا مهما لابراز عناوين ذاتها وشخصيتها تجاه عوالم الفن عالية الأسوار في كون من التداعيات والسقوط القيمي وهنا تصر الفنانة على ابلاغ رسالتها عبر الفن لا للقول بالجمال بوجه ما هو رديء وعابر...

تعددت بأعمال الفنانة التشكيلية ايناس ومنها ما قدمته مؤخرا ضمن النشاط الثقافي والفني والأدبي ضمن عنوان « قبق » بفضاءات « الرواق » بمدينة سوسة حبث اللوحة في الجدار والعبارة الطالعة كنشيد مكلل بالطفولة ..طفولة النظر..و طفولة الأشياء..فالفن عندها هو هذه الممارسة الجمالية في عنفوان براءتها وصفائها نشدانا لما به تسعد الذات وهي ترى العالم علبة تلوين...

الفنانة التشكيلية ايناس بن قدحة بوفارس استاذة مساعدة في الانقليزية بكلية الآداب والعلوم الانسانية بسوسة منذ 2007. متحصلة على شهادة الدكتوراه في اللغة والآداب والحضارة الانقليزية من جامعة Paris X Nanterres بفرنسا من هواياتها الرسم، العزف على البيانو والاورغ، الرقص الكلاسيكي (الباليه)، وتعلم اللغات، قراءة القصص بالعربية الفرنسية والانقليزية والايطالية، الكتابة والرحلات الاستكشافية... الا أن هوايتها المفضلة هي الرسم بكل أشكاله كما تبرز ذلك لتواصل قائلة «... كل هذه الهوايات مارستها منذ صغر سني. وقد بدأت الرسم قبل أن أتعلم الكتابة. أذكر انني كنت اقضي الساعات الطوال ارسم كل ما اجده امامي ولا اشعر بمرور الوقت. فقد ولدت وترعرعت في عائلة تملك مواهب فنية. كان والدي عزالدين بن قدحة رحمه الله مهندسا معماريا محلفا لدى المحاكم وقد كان في اوقات فراغه يعزف على الآلات الموسيقية المتعددة في بيتنا وكنت دائما الازمه في كل حركاته خصوصا عندما يرسم لوحاته الزيتية. ولحسن حظي كان يسمح لي ان اتدرب على الرسم باستعمال كل ادواته رحمه الله. كنت اود ان يكون على قيد الحياة ليشاهد ابنته الصغرى تدخل عالم الرسم من بابه الكبير. اما بخصوص تجربتي الفنية الحالية، فقد انطلقت منذ بداية جائحة الكوفيد عندما اجبرنا على المكوث في البيت. فبعد ان اهملت موهبتي لسنوات لانشغالي بدراستي وبمسؤولياتي العائلية والمهنية، كانت هذه فرصة لصقل موهبتي. وهذا كان بعون الله حيث كنت اتدرب للساعات الطوال كل يوم الى ان تمكنت من العديد من التقنيات من ، aquarelle ، acrylique ، huile hydrosoluble... وبالنتيجة وجدت نفسي قد رسمت عشرات اللوحات ولا ادري اين اضعها. فاهديت بعضها وبعت البعض الاخر. وهكذا فكرت في عرضها في المعارض بعد ان كنت اعرضها الا على متابعي تجربتي الكثر على صفحات الفايس بوك والانستغرام. وبفضل عرض لوحاتي في معرض « الرواق « مؤخرا اصبحت معروفة اكثر لدى الفنانين التشكيليين. وقد تخصصت الان في peinture acrylique et huile hydrosoluble au pinceau et au cou-teau وموضوعات رسومي تدور حول الطبيعة، والواقعية اكثر من اي موضوع آخر...».

هي فنانة تعمل على المضي أكثر في ممارستها الفنية حيث بمثل لها الفن ذاك العالم الجميل البعيد عن الهموم اليومية وتقول «..عندما ارسم مشهدا طبيعيا جميلا اشعر انني امتلكه مثل الذي يلتقط صورة فوتوغرافية لا تتحرك ويضعها في اطار ليتأملها بين الحين والآخر. عندما ارسم منظرا طبيعيا اعجبني احاول ان اضعه على اللوحة لأستمتع به ولكي يشاهده غيري مستمتعا مثلي ..انا لست من الفنانين الذين يضعون مشاعرهم على اللوحة. كمشاعر الغضب والحزن ..فتكون لوحات مخيفة احيانا. انا افضل ان ارى العالم بنظارات وردية لعله يتحسن يوما ما. مرة وحيدة اظهرت فيها شعورا سلبيا وغضبا شديدا ليبدو ذلك على اللوحة كنتيجة ...اذكر انني لست متخرجة من معهد الفنون الجميلة فعندما تحصلت على شهادة الباكالوريا آداب كان قلبي يتارجح بين اتباع هواية الرسم والالتحاق بمعهد الفنون الجميلة او تجسيم حلمي بأن اصبح استاذة انقليزية وهو ما تم ليبقي الرسم هوايتي. فأنا عصامية autodidacte لكنني تعلمت عند افضل الفنانين في السبعينات والثمانينات، وهو والدي رحمه الله...هناك من يدفعني ويشجعني في هذا الجانب وأذكر زوجي الذي شجعني كثيرا لمواصلة مشواري الفني وكان مع ابنائي من اول المتحمسين لتجربتي الفنية والمضي فيها ..».

هكذا وبروح من المغامرة والدأب تذهب الفنانة التشكيلية ايناس بن قدحة بوفارس في طريقها التي تخيرتها وهي تحاول الألوان وتحاورها نحتا لشيئ من ذاتها وقولا بما بداخلها من رغبات دفينة تجاه عالم الرسم والفن وهي تراكم التجربة نحو اقامة معرضها الشخصي لتبرز أعمالها التي تقول عنها بأنها جزء مهم من ذاتها وحياتها.

كريمة الحناشي... حفارة أعادت خلق المظاهر الجمالية للزخرفة

اكابر شلبي - رسامة وباحثة

يبدو أن الممارسة التشكيلية تقع في مركز الخصوصية الثقافية للمجتمع التونسي، ولهذا اعتبرت الفنانة التشكيلية كريمة الحناشي أن حفرا تشكيليا ذاتيا يظهر لسطح الملامح الكبرى لكل مكونات مخزونها التجريبي الذي ظهر بمعرضها سرديات ذاكرة والذي يقام حاليا بدار الثقافة أكودة تحت إشراف مندوبية الشؤون الثقافية بولاية سوسة بالشراكة مع الرابطة التونسية للفنون التشكيلية. كريمة الحناشي هي حفارة تونسية درست الحفر الفني بكلية الفنون الجميلة بتونس. تحتل الذاكرة البصرية لدى الحناشي موقعا مركزيا بحيث أن التجربة التشكيلية المعاصرة لديها هي عبارة عن تكرامات جعلت منها الحناشي مرجعا تستمد منه معطيات تجددها وتلبسها منابعها الذاتية ثم تستوحي منها عناصرها الأكثر تعبيرا عن ديناميتها الداخلية. و معرضها سرديات ذاكرة ينم عن تجربة بصرية تحمل في طياتها فنانتنا ذلك الرصيد الهائل الذي تكتنزه بصريا بين التاريخي والمتحول. على هذا النحو يمكن الحديث عن المزاوجة بين فن الحفر على الخشب والرسم الخطي بما هما أسلوبين إنتهجتهما فنانتنا كبنية جوهرية لأعمالها التشكيلية سواء في جوانبها المعاصرة أو الشعبية. فالمتأمل في لوحات الحناشي يمكنه الحديث عن فئات بصرية تبدأ فيها بالأشكال والرموز الأكثر إغراقا في التجريد أو الرمزية ، لتنتهي بالأشكال والتصاوير الشخصية النابعة من عمق واقعها المحلي المعيش . مرورا بتمظهرات تصويرية ذهنية تارة وحلميه تارة أخرى فحين تصور لنا ألف ليلة ولية فهي تستنبط من الذاكرة الشعبية الحكائية سواء المروية أو المقروءة . أو عندما تخط لوحتها شجرة زيتون ومن منا لا يعي قداسة الزيت والزيتون كتراث مادي وثقافي متأصل لدي الذاكرة الجماعية والفردية. فهي لا تحاكي ذاتيتها فقط وإنما تلمس فينا العقل الباطن عله يستفيق ليحمي ما تبقى من أصالتنا المهدورة. فالذاكرة الجماعية لدى الحناشي هي طريق تستقي منه المرئى أسلوبا تعبيريا لتأثيث لوحاتها. ومن هنا أيضا تتشكل حفرياتها الخشبية جزءا مخصوصا من مجال الصورة بمفهوميها الذهني والمحسوس والمتخيل كمفهوم عمومي.

ومن ثمة فإن الاشتغال التشكيلي وفقا للذاكرة قد شكل لديها مجالا إبداعيا مصدره الانغراس في تربة المحلية بماهية مسار يمكنها بلوغ العالمية من خلاله. ففي معرض سرديات ذاكرة تصادفنا أعمال الحناشي بنفس لوني أحادي واضح، إنها الألوان نفسها المراوحة بين الأبيض والأسود التي تجعل كائناتها وتراكيبها تبدو وكأنها تخرج من صلصال تكوين الأولين. هل هي القفزة وسط الزحام التي تجعل الفنان يناجي نفسه ويعانق كائنه المتخفي فيه بحثا عن التجديد والتفرد. هل هو ذلك الطابع الممزوج بين التعبيري والتجريدي الذي يتراءى وضوحه بين تلافيف واقعيتها المرسومة بدقة أيقونية صارخة؟ تقول الحناشي «

جميلا أن أصادق لوحتي وأحاورها لتنساق معي حينا وتضحك أحيانا على شدة بلاهتي وفي أثناء غوصي يمتلكني الخوف مما ترسمه أناملي وأخاف الفشل في أحيانا عدة لكن أنحت بقلمي هذا العالم وحينما أستوفي كل خطوطي تصدني لوحتي على بث المزيد فأركن إلى صمتي مجددا وأنتظر تصورا أخر أخوض به رحلتي من جديد».

فهي العاشقة للتفاصيل والجزئيات الصغيرة فتجربة الحناشي سمات بديهية تخصها لا يمكن لنا إلا أن نقف حدها. ونبحث في مكوناتها الموصوفة بالهوس التجريبي والهوس ممارسة فنية تنم عن اهتمامها المتواتر من التكرار والاختلاف والعودة والزيادة والنقصان والمحو والإضافة. تفسر الحناشي تعلقها الشديد بتجربة إبراهيم الضحاك بل تقول لا يمكنها تجاوزه فهي تعتبره النصف الأخر من إلهامها بل ذاكرتها التي تحاكيها . كذلك تعتبر الحناشي المرأة عالمها الأول التي تستقي منه تسلسل مكوناتها التشكيلية فأين ماوليت حد معرضها ستشاهد حضور المرأة بكل تفاصيلها الناعمة والكادحة. فهي تبني جسدها بحسب وضعياتها ووجاهتها، فهي تجعل لوحاتها في فضاء كثير الزخرفة يغلب عليه الترنيم الزخرفي ذا الطابع الشرقي بل فضاء مخملي روحاني. انه عالم عبارة عن حديقة فسيفسائية من الأزهار والورود المحملة ببناءات عفوية تلقائية.

لن أجازف إن قلت أن تجربة الحناشي التشكيلية هي اسشراق تونسي بعبق داخلي. أي أنها من زمرة كبار الفنانين بما يمكن القول أنها رؤية تقنية مرهفة ومتمكنة من سلاسة الرسم والتصوير. فهي لا تقوم على نمط مرجعي معين بل هو أسلوب يخصها فالتصوير الذي تنتهجه في لوحاتها متخيلا ذاتيا فملامح شخوصها متسامية رقيقة تمزجها حبا بمرفقاتها الزخرفية المتناسقة بكلية محبكة. إنها وضعية نساء ديلاكروا بل تغني مشهدي بالطبيعة ومكوناتها المتأصلة. إن فنانتنا تقوم بتأويل شخصي ينزعها من السياقات المتداولة بل يحفظها كي تكون متفردة فهي تتلاعب بشكل شخصي مع شخوصها وكائناتها بل تداعب تفاصيلها مداعبة متسلسة.

هكذا نصل إلى جوهر النظرة الفنية لكريمة الحناشي لنقف على تميزها الفريد. فهي رسامة موهوبة تبني رسوماتها على قدرتها البريئة الفائقة، حيث أنها لا تخلد برمجة سابقة أو تخطيطا لما سترسمه وإنما عفويتها الطفولية تقودها إلى إنتاج عالمها التشكيلي . فأسلوبها الرمزي و الحيني يقودها إلى عمق البحث الأسطوري الذي تنتهجه كي تبني من خلاله أبعادها النقدية لوقعنا فمثلا لوحتها قرنيكا في بعدها النقدي المشفوع بعصارة بيكاسو والمحمل بهموم شعب غز المضطهد. فالأسود ذاك اللون المغمور بضياء البياض الذي يكسو جل لوحاتها بل ترنيماتها الطقسية يحدث إيقاعا بصريا على حركية اللوحة ومكوناتها. لهذا نرى الحناشي قد إنفلتت من روتينية المشهد التشكيلي بل سربت لنا عوالم من الخيال بحيث ينفلت المتلقي من كل واقعية مفرطة نحو حلم لا حدود له. في هذه الأيام إكتشفت أن كريمة قد إخترقت بإبداعاتها كل مجمل ما يسوقه لنا الروتين التشكيلي المسقط على ذاكرتنا، بل نحن في حاجة إلى إعادة بناء مشهد تشكيلي ينبش هويتنا التي جالت وسطها الحناشي كي تنبئنا عن سيمات عالمها الطفولي النابع من أعماق تونسية بنسائها وأضوائها ومسالك مدنها العتيقة وبعبق رحيق أزهار ربيعها بل حتى أنها تبعث في زائر معرضها راحة الحلم من خلال خيالاتها الزخرفية .

ستظل الحناشي تؤثث عالمنا البصري بأيقوناتها الجذابة وبشاعريتها المتغنية بحفاوة النساء كما لو أنها

تطرز لنا عالما من مخيالنا التونسي المنسي، بل تذكرنا أن صدق التشكيل يكون من ذواتنا ومن الحفر المستمر علنا نكتشف عوالم نمر بجانبها ولا نستحسن رؤيتها.

جهات

تونس العاصمة

إحتفت وكالة إحياء التّراث والتنمية الثقافيّة بكتاب : Patrimoine et terroirs : saveurs et savoirs » في اطار دورها في الترويج لصورة تونس الثقافيّة والحضاريّة والتعريف بتراثنا بمختلف أشكاله في كافة ربوع الجمهورية التونسية وتماهيا مع تقاليدها في الترويج للكتاب الثقافي وسعيها للترويج للإصدارات القيّمة والكتب الحديثة التي تُعنى بتراث تونس نظّمت وكالة إحياء التّراث والتنمية الثقافيّة بالشراكة مع دار أليف للنشر حفل تقديم كتاب « Patrimoine et Terroirs : Saveurs et Savoirs »وذلك يوم 25 نوفمبر الجاري بدار شادلية بمدينة تونس العتيقة.

والكتاب المحتفى بتقديمه هو من الاصدارات الجديدة التي تجسّم شراكة وكالة إحياء التّراث والتنمية الثقافيّة مع الناشرين من ذلك دار أليف عبر إصدارين أنيقين "Sites et Monuments historiques vus du Ciel سنة 2021 وكتاب La Tunisie et la mer" الصادر سنة 2022.

وتضمّن برنامج حفل تقديم هذا الكتاب لقاءات مع مؤلفين وافتتاح معرض فوتوغرافي تحت عنوان"خمسة وخميس على تونس" إضافة إلى ورشة تذوّق للمنتوجات المحلية وورشات حيّة للتراث الثقافي غير المادي لفخار سجنان وحرفة الحلفاء بالقصرين وصناعة السمار بنابل بالتعاون مع جمعية صيانة مدينة نابل والمجمع المهني المشترك للغلال والديوان الوطني للصناعات التقليدية.

وكتاب « Patrimoine et terroirs : saveurs et savoirs » الصادر في 240 صفحة باللّغتين الفرنسية والانقليزية هو عبارة عن رحلة استكشافية للتّعرف على ثراء المخزون التّراثي للبلاد التونسية المرتبط بالمهارات والحرف المتوارثة على غرار التراث الغذائي والصناعات التقليدية التّي ولئن تنوّعت واختلفت بحكم البيئة الجغرافيّة وطبيعة التضاريس إلاّ أنّها كانت شاهدة على العمق الحضاري والتاريخي

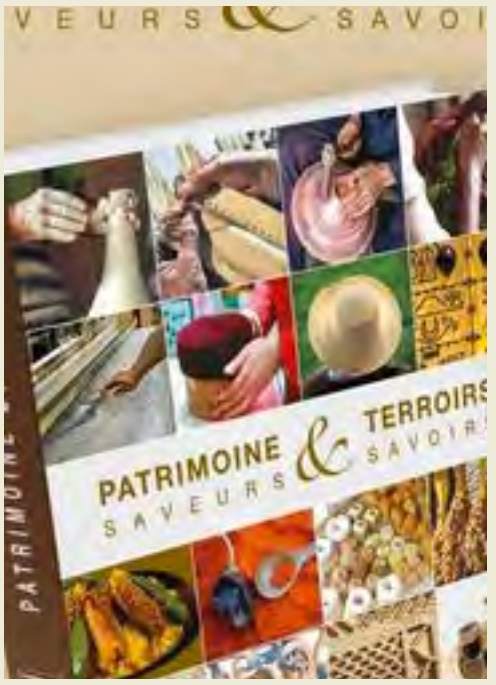

للبلاد التونسية.

ويحمل هذا الإصدار القيّم القارئ في جولة في عمق الأرياف والقرى والمدن التّونسية للتّعرف على الحرف والمهارات التي توارثها التّونسيون والتّونسيات جيلا عن جيل وتناقلوها وحافظوا عليها من الاندثار.

وقد ساهم في تأليف نصوص هذا الإصدار المرجعي مجموعة من الخبراء والباحثين وهم كلّ من ابراهيم شبوح والناصر البقلوطي وفؤاد العلاني وإسمهان بن بركة وفيفيان بالطيب والخطّاط عمر الجمني وتضمّن صورا ورسومات أبدعت في تصويرها عدسة محمد الصالح بالطيب وريشة الرّسام علي عبيد..

كما جمع هذا الكتاب القيّم بين ثراء المحتوى وأناقة الإخراج وجمال الصّور المميّزة التي بلغت أكثر من 500 صورة ممّا جعل منه موسوعة توثيقية للتّراث الثقافي غير المادي للبلاد التونسية بامتياز ومؤلّفا مرجعيّا لاكتشاف ثراء تونس الأعماق.

منصف كريمي

القلعة الخصبة

بمشاركة كل من رابطة الوسط والشمال و الساحل والجنوبي للكرة الحديدية بتونس وكل من دول مدغشقر ، ليبيا ، الجزائر وبلجيكيا وبتنسيق من المدرب واللاعب الوطني فيصل شيخاوي نظّمت آواخر الاسبوع الماضي بفضاء الملعب البلدي"مقهى الحديقة"بالقلعة الخصبة جمعية الثقافة والفكر والفنون بالكاف بالشراكة مع الجامعة التونسية للكرة الحديدية ورابطة الوسط والجنوب وجمعية القلعة الخصبة للكرة الحديدية

وتضمن برنامج هذه الدورة الى جانب المجال الرياضي برنامجا ثقافيا تنشيطيا يهدف الى تثمين المخزون الاثري للمنطقة والتسويق لتراثها المادي واللامادي خاصة من خلال معارض انتاجات المراة الريفية والاكلة الشعبية الى جانب خلق روح تنافس رياضي مغاربي في مجال لعبة الكرة الحديدية بين مختلف الفئات العمرية

وقد افتتحت التظاهرة بعد استقبال الضيوف بتحية العلم على أنغام النشيد الوطني التونسي فتدشين مجموعة من المعارض التراثية الخصوصية لينطلق إثر ذلك برنامج المسابقات ذات الصلة بلعبة الكرة الحديدية

وتواصلت المسابقات في اليوم الثاني لهذه التظاهرة ثم تم تتويجها بتقديم جوائز مادية هامة الى جانب الكؤوس والميداليات للفرق الفائزة وشهائد المشاركة بالنسبة الى كل المساهمين في انجاح برنامجها الذي تعاضدت فيه جهود السلط الجهوية والمحلية والمشرفين على التنظيم من أجل ضمان وتأمين نجاحها

منصف

زغوان

تحت شعار"فلسطين في القلب"نظّم مؤخرا المركّب الثقافي بزغوان بالشراكة مع المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بالجهة وبدعم منها فعاليات الدورة الخامسة لـ"الايام الطلابية" وذلك من خلال عدد من الانشطة التي تستهدف الفئة الطلابية وخاصة في جانبها التأطيري

وافتتحت هذه التظاهرة من المطعم الجامعي بالمعهد العالي للدراسات التكنولوجية بالمقرن بعرض موسيقي لمجموعة "أجراس"للفنان عادل بوعلاق كما انتظمت بالمركّب الثقافي بزغوان دورة تكوينية للطلبة في "ادارة المهارات الذاتية والتواصل الفعّال"باشراف المدربة أميرة الجبالي ليعرض ويناقش فيلم قصير حول المراحل التاريخية لاحتلال فلسطين وذلك باشراف الاستاذ عزيز مرجان

وكان الاختتام من خلال عدد من الورشات وهي ورشة رقص ومحاكاة فلسطين باشراف الاستاذة سيرين العباسي وورشة في صناعة الدمى بتأطير الاستاذة هاجر حاج قاسم وورشة الفنون التشكيلية حول القضية الفلسطينية من تأطير سامي مطير وورشة المسرح من تأطير أحمد بالشيخ ثم انتظم معرض لوحات تشكيلية بعنوان"كفاح"من انتاج نادي الفنون التشكيلية بالمركّب الثقافي بزغوان

كريمي

صفاقس

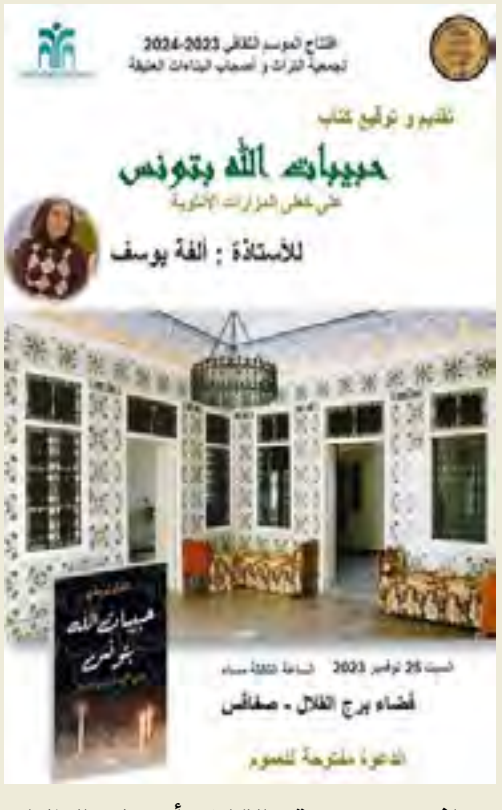

إفتتحت جمعية "التراث وأصحاب البناءات العتيقة" موسمها الثقافي 2024-2023 بتقديم وتوقيع كتاب "حبيبات الله بتونس : على خطى المزارات الأنثوية للأستاذة و الأديبة : ألفة يوسف ...وذلك يوم السبت 25 نوفمبر بالفضاء الثقافي "برج القلال".

منزل عبد الرحمان

انتظمت يوم السبت 25 نوفمبر الحالي أمسية ثقافية تم فيهاتوقيع كتـاب " رائدات تحرير المرأة العربية في العصر الحديث " للدكتورة سنـاء إلاهي بن الحاج سالم.

وقام بتقديم الكتاب الأستاذ الدكتور فتـحي القـاسمي بالمكتبـة العمـومية بمنزل عبد الرّحمان.

جهات

قصر السعيد

نظَم مركز الفنون والثقافة والآداب "القصر السَعيد" مائدة مستديرة تحت عنوان "التراث الثقافي غير المادي بتونس: الجرد والتسجيلات الوضع الراهن "

"Le patrimoine culturel immatériel en Tunisie, inventaire et inscriptions : Etat de l'art"

وتمحور اللّقاء تقديم حصيلة تقييمية للجرد الوطني لعناصر التراث الثقافي اللاَمادي ومجمل ملفات التّرشح للتسجيل على القائمة التمثيلية للتراث الثقافي اللامادي للإنسانية لدى اليونسكو، وذلك في إطار تفاعلي نشطه الأساتذة الناصر البقلوطي واسمهان بن بركة وعماد بن صولة.

باجة

نظمت جمعية أحباء المكتبة الجهوية والكتاب بباجة تحت اشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بباجة والمكتبة الجهوية بباجة قافلة توعوية حول التحسيس بأهمية الكتاب والمطالعة:

بعث نواة مكتبة بمركز التوليد وطب الرضيع بباجة

-فقرة تنشيطية للأطفال (العاب فكرية -مسابقات ثقافية....) تقديم السيد هشام الجويني

-ورشة رسم

ورشة في قراءة القصة تأطير السيد جلال الدريدي

تونس العاصمة

تحت اشراف المندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بولاية تونس، تتواصل فعاليات المعرض الجماعي في الفنون التشكيلية الذي يحمل عنوان "تلاقي" بدار الثقافة السليمانية الى غاية 30 نوفمبر 2023.

مدينة الثقافة بالعاصمة

ينظم مسرح أوبرا تونس فعاليات الدورة الأولى الأيام الثقافية للطفل "عصافر الأوبرا" في الفترة الممتدة من 17 ديسمبر الى غاية يوم 23 ديسمبر 2023 بمدينة الثقافة الشاذلي القليبي وذلك من خلال برمجة مجموعة من العروض الفنية والثقافية الموجهة للطفل.

حفوز

في إطار حرص وزارة الشؤون الثقافية على استرداد القطع الأثرية المسروقة والمنهوبة من قبل أفراد ومجموعات وعلى اثر توفر معلومات لدى المصالح الامنية بمنطقة الامن الوطني بحفوز، مفادها تحوز كهل اصيل منطقة قصر لمسة (Limisa) على قطعة اثرية قامت مصالح الامن بمداهمة منزله وحجزها.

وبعرض القطعة على مصالح التفقدية الجهوية للتراث بالوسط الغربي تبين ان القطعة المحجوزة هي تمثال من الرخام الأبيض مبتور الرأس والرجلين يصل ارتفاع الجزء المتبقي منه إلى 46صم.

ويجسد التمثال اله الخمر عند الرومان الإله باكوس BACCHUS في سن صغيرة جالسا وملتفتا إلى الجهة اليسرى وباسطا رجليه إلى الأمام.

ويحتضن الإله باكوس بيده اليمنى عنقود عنب ذو حجم كبير مميز وموشح بورقات مسننة ثلاثية الفصوص.

ويتبين من خلال جودة التمثال التنوع الثقافي الذي شهدته منطقة حوض واد معروف خلال العهد الروماني.

ويرجح ان يعود تاريخ التمثال إلى ما بين القرنين الثاني والثالث ميلادي على أقصى تقدير. ووفقا للمعطيات الأولية المتوفرة فان التمثال المحجوز هو قطعة فريدة من نوعها على غاية كبيرة من الأهمية ولم يعثر على نظير له إلى حد اليوم.

القيروان

تحت شعار"العلم رحم بين أهله"ينظم المعهد العالي للعلوم الإسلامية بالقيروان بالتعاون مع الإدارة الجهوية للشؤون الدينية بالقيروان ومركز الزيتونة العالمي للسلام وحوار الحضارات يوم 28 نوفمبر الجاري بمقرّه يوما دراسيا بعنوان"العلم أخلاق أو لا يكون والأخلاق ممارسة أو لا تدوم"

ويفتتح هذا اليوم الدراسي بتلاوة آيات من الذكر الحكيم بصوت المقرئ وليد القهواجي ليقدّم إثر ذلك الدكتور عبد اللطيف بوعزيزي رئيس جامعة الزيتونة درسا افتتاحيا بعنوان"العلم رحم بين أهله" ثم يقدّم الأستاذ شمس الدين حلاوة المدير الجهوي للشؤون الدينية بالقيروان كلمة افتتاحية تليها كلمة الدكتورة منجية السوايحي رئيسة مركز الزيتونة العالمي للسلام وحوار الحضارات ثم تنطلق أشغال الجلسة العلمية برئاسة الدكتور شكري الباجي ويقدّم خلالها الدكتور ياسين كرامتي مداخلة بعنوان"الموروث القيمي والأخلاقيات الجامعية للزيتونة:مقاربة أنثروبولوجية تاريخية" تليها مداخلة الدكتورة منية الغربي بعنوان"فصل المقال فيما ينبغي للعلم والأخلاق من اتصال" فمداخلة الدكتورة سعدية بن سالم بعنوان"القيم المرجعية وأثرها في الطالب اليوم" ثم مداخلة الدكتور الصحبي بن منصور بعنوان"كلما زادت مدة ملازمة الطالب لشيخه المُدرّس زاد نهله من علمه وأدبه" فمداخلة الدكتور عبد الله بالحاج بعنوان"البُعد الأخلاقي في علاقة الأستاذ الجامعي بطلابه وانعكاساته على نجاح العملية التعليمية: قراءة في جدلية العلمي والأخلاقي" فالاختتام مع مداخلة الأستاذ منذر العلاني بعنوان"العلاقة بين العلم والأخلاق والإيمان في المنظور الإسلامي"

منصف كريمي

فضاء الإبداع

قصة

awatefbeldi@gmail.com

الطّعم

فردوس المذبوح

جلس على حجارة كبيرة من أحجار الشّاطئ التي رصفت بعناية حماية للطّريق من التّآكل ..عصفت به فوضى الأفكار حتى أرهقت قلبه وانضافت إلى تباريح الأيّام التي تضنيه ..انبعث من داخله صوت يزمجر :أنا «سعيد « الذي لا يملك من السعادة إلاّ الاسم ..تعاورتني رياح الآلام و عبثت بي عواصفها ..اهتزّت نفسه فاحتقر كل البشر وعزم على تحدّي الذّلّ والمهانة والقهر.. جعل يتمتم : نعم ..لن أستسلم ..لن أنهار ..سأخلق من الضّعف قوّة ..لن أسقط في جبّ اليأس ...جعل يراقب الزّبد البحريّ الّذي يتدفّق تحت قدميه عند تكسّر الموجات الصّغيرة على الصّخور..بدا مثقلا بالأحزان ..مرّ الوقت بطيئا في تلك اللّيلة ...جعل يداعب قطّته ..رفيقته في هذه الوحدة الموحشة ...تذكّر يوم أودعها لديه أحد الأجوار بسبب ضرورة السّفر ..سلّمها إليه في حقيبتها الفاخرة..إنّها قطّة بعينين زرقاوين وشعر رماديّ غزير تبدو نادرة الفصيلة وتأكّد من ذلك عندما سلّمه صاحبها مبلغا ماليّا هامّا لإطعامها طعاما خاصّا ..لكنّه غادر بمعيّتها ذات صباح باكر تلك المدينة بعد أن نضبت حججه المؤجّلة لتسديد معلوم كراء المنزل..

حلّ بمحض الصّدفة بهذه القرية الشاطئيّة ..كان كلّ يوم يخرج متجوّلا في أنحائها محتضنا قطّته الجميلة وقد صادف مروره وجود بعض الصّبية المطلّين من شرفة منزلهم ..لم يخف عليه إعجابهم بالقطّة..فجعل كلّ يوم يسلك نفس الطّريق الموصلة إلى كورنيش الشّاطئ ..وفي إحدى المرّات وجدهم أمام المنزل ..توقّف عندهم فداعبوا القطّة ولاعبوها شاكرين..ونمت بينه وبينهم أواصر صداقة تسلّلت خيوطها الرّفيعة إلى الأسرة بأسرها ..فحدّثهم عن بلده الشّقيق وعن أسرته الموسرة الّتي حلت بتونس منذ أعوام قليلة وعن منزلهم الفاخر في أحد الأحياء الرّاقية بالعاصمة.. وكان الحديث ذا شجون فأسهب الكلام عن شركات والده في مجال التّوريد وعن ممتلكاتهم العديدة في بلده الأصليّ ..كانت قسمات وجهه توحي ببراءة وصدق وعفويّة لا مجال للشّكّ فيها وزخرف حديثه بلكنة دخيلة تدعّم انتماءه إلى ذلك البلد ...

غادر مجلسه ومضى شاردا لا يرى إلاّ خطواته التّائهة ...وكانت المنازل قد ارتدت ستائر الظّلام وعمّها الصّمت في ذلك الوقت المتأخّر من اللّيل وكأنّها تلفظ ما في جوفها من روح ...كان وحيدا كورقة خريف تعبث بها الرّياح العاتية ...لن يعود إلى المنزل الّذي اكتراه ولم يسدّد مقابل اكترائه، لقد هدّده صاحبه بالاشتكاء به بعد أن ماطله طويلا.

انبعث خيط أمل يزيح عنه كدر نفسه ..جذب هاتفه وخاطب السّيد حامد ربّ الأسرة التي تعرّف عليها ...كان صوته مرتجفا يائسا :

-- أرجوك عم حامد ..لقد وصلت للتّوّ ..فقدت كلّ شيء ..أخذتني إغفاءة وانا في المطار أنتظر حلول طائرتي للسّفر ولمّاأفقت فوجئت باختفاء كلّ أوراقي الخاصّة ..جواز سفري والتّذكرة...أموالي..مفاتيحي..وها قد عدت إلى هنا بفضل بعض الخيّرين ..حتّى أهلي فقد سبقوني إلى بلدي فنحن سنحتفل بزواج أختي هناك...

غاص نصل كلماته في أعماق السّيّد حامد فردّ مشفقا :

-- حسنا ياسعيد ..سآتيك حالا..

-- شكرا عم حامد ...ها أنا قرب مقهى الشّاطئ..

أشرقت مهجته بفيض من السعادة وهو يشعر بأن صنّارته قد أوقعت بالصيد..

وفي هدأة اللّيل رأى سيّارة فخمة تتوقّف بجواره ...أسرع إليها وانطلقا يطويان الأرض طيّا ..واصل سعيد بكلّ لهفة :

-- غدا إن شاء الله سيراجعون كاميرا المطار لمعرفة اللّصّ الّذي اغتنم فرصة أغفاءتي ..

فردّ عليه السّيد حامد :

-- سأوصلك إلى منزل أحد أقربائي على أن تسدّد إيجاره عندما يتوفّر لك المال ...

-- شكرا عم حامد ..غدا أسدّد الإيجار بعد أن أتزوّد من رصيدي بالبنك...

كان السيّد حامد رجلا طيّبا لم تبطره النّعمة يميل إلى مدّ يد المساعدة إلى من تكبّله الظّروف العصيبة وفي آن كان صريحا يكره الخداع والمكر..وبعد مدّة سأل سعيد عمّا آل اليه البحث في المطار فأخبره بأنّ الاتّهام موجّه إلى منظّفة هناك لكنّها أنكرت الأمر بسبب عدم وضوح الملامح في الشّريط المصوّر ..وأعلمه بقرب وصول حوّالة بريديّة من والده فقد نسي أنّه قد سحب كلّ أمواله عند قرار السّفر... وتواصلت المماطلة شهرا كاملا إلى أن ضاق السّيد حامد ذرعا بالأمر أمام شكوك قريبه حول هويّة هذا الشاب الغريب المخادع..فقرر مواجهته.. لكنّ سعيدا أصبح لا يردّ على مكالماته ..فلا حجج لديه لمزيد المماطلة ...هكذا كان يتدبّر في كلّ مرّة حيلة تمكّنه من السّكن المجانيّ وحيلته هذه المرّة هي هذه القطة ..كانت طعما تصيّد به فريسته...

انتابته عديد الخواطر حول حياته التي تطوّح به في كلّ مرة في مكان بعد أن هجر منذ زمن قريته النائية في جنوب البلاد..ولم يكن يعلم أنّ السيّد حامد كان يفتح باب المنزل بمفتاح آخر .

متأكّدٌ

منذر العيني

لم تتعهّدْ نفسها منذ أن فقدت زوجها في حادث شغل فبقيت وحيدة إلاّ من الصّغيرتين ندى ومنى تنامان إلى جنبها في نفس الغرفة حيث يتبادلن اللّحظات.»ماما اليوم ستعتنين بنفسك قليلا. نديمٌ سيأتي ليفتح لك موضوعَ علاقتنا ويطلبني منك «بضحكتها التّي كسّرت فضاء الصّالة بادرتْ مُنى أمّها سماحْ بينما كانت نَدى تتكاسل بين الأغطية «إممْ يضرب الحبّ شو بيذلّ».

لم أشأْ أن أفقأ عين الكامرا حتّى تبيح ما كانت ترصده على فراش ندى وهي تمدّ يديها في غنج إيروسيّ مفضوح يغتسل من أشعّة كانت تترامى على الصّدر النّاهض والزّندين «ماما حان موعدنا هههه»

ماذا سأقول؟ كيف أخبرهما بما جرى؟ الرّجلُ وعدتهُ أن يكون هذا الأسبوع أسبوعَه؟ أبطلت كلّ شيء ووقفتُ شامخة تماما مثلما يقتضيه سنّ آمرأة في الأربعين. وأنا الّتي آختطفني أبوهما الصّادق من مراهقتي جرّاء طمع أمّي وأنا الّتي لم أكن لأرتبط به لولا مكرها «فُوزي به إنّه ثريّ» مازال أزيزها الحادّ في أذني» يعجبني زوجُكِ كيف وجدتِ نفسَكِ معه؟». دخلتْ إليهما ودون إعانة صاحب الفكرة ومالك الرّؤية العالمة «لا أريد منكما مواجهة أو صدام اليوم هنالك من سيأتي ليفتح موضوع علاقتنا». طافْ طاقْ طاقْ آشتعلت السّاحة في لمحة برقٍ. سطع غضب جوانيّ لاتَقدرُ حتّى الإعادة في تحرّكها البطيءِ أن تقتفيه . اِلتفتتا إليها اِلتفاتة واحدة وبصوت ندى جاء الردّ «موضوع علاقتنا؟ علاقة من بمن يا ماما؟ وأنا أقول مابها اليوم خانسة؟. مابال ماما؟ البارحة في غرفة الإستحمام واليوم أمام المرآة. والطّاقم الجديد والعطور المشتراة والتّسريحة النّوفالْ. واللّه آشتممت شيئا ولكن قلت ربّما من أجلنا نحن وقد عرفتْ قصّتي مع مراد وستعرف قصّة منى مع سيّد اليوم؟هاهي تدّخر وتحضّر كعاتها في ترتيب المطبخ». في مثل هذه المواقف كان لابدّ أن لا تضع الحرب أوزارها إلاّ بمشيئة هذه الأزرار اللّعينة وهي تطقطق بقهقهاتٍ تعودّتُ عليها في مثل هذه الطّقوس ههههه. بَرافْ.

حان الموعد «ما المشكلة في أن يتقدّم لي أحد لأكمل مسيرة حياةٍ ضحيّت من أجلكما حتّى أركما تنجحان وتكبران وتفرحان. منذ أكثر من عقد تركني للأعين تنهشني في كلّ مكان للعزلة تحرّك فيّ حنيني إليه بضمّاته المكبوتة .سمَحتُ لأمّي أن تدخلني متاهة المتعة المبكّرة وأنا صغيرةٌ غريرةٌ لعبةٌ بين يديه. واليوم اليوم لن أسمح لأحد حتّى وإن كنتما أنتما ندى ومنى أن تخطفا منّي هذه اللّحظات. عرفته منذ أن توفيّ أبوكما ولم أستطع أن أفارق تلك اللّحظات وهي تحتلّني بعطف حُرمت منه وبنظرة حاضنة لم أُسعف بها. اليوم اليوم بالذّات لن أسامح. لذلك أنصتا لن تنتهي القصّة سأستقبل نديم ندى وأنتما تستقبلان عُمرَ لنحدّد موعد الصّداق . والذّي فيه خير يقربه اللّه. كلّ شيء جاهز.

الأعين الجاحظة آرتسمت على ستائر الصّالة بريشة بيكاسو أو بتعريجات زبير التّركي. منتصف النّهار تَعرّج إلى بداية النّهاية أو نهاية البداية بينما حاملو الإضاءة يريدون السّندويتش المعهود وسيجارة الرّاحة بين الفاصلتين. لن نتعب أكثر في نشر هذه القضيّة عند محاكم النّفسانيين والخونة .الجسد طلاّب مشاكلَ دائما ببنادقة وخزائنه الجائزة ومخالبه الجاهزة للوثب. والألوية تجابه الموت.

«اِفعلي ما تشائين يا ماما اِفعلي ما تشائين سنتركها لك واسعةً وعريضةً ارتعي مع عُمُرِكِ هذا كيفما تشائين «. آخر جملة تلفظّت بها ندى بينما دَقّ جرس الباب نبّه الإناث إلى قطعِ آصرة هذه الكهرباء.

اَزدهرت لغةٌ أخرى بين التحيّة والإستقبال وبين التعجّب والإستفسار. بشفتين مشرئبّتين سماح:»من هذا الشّاب مع عُمر؟». وبأشفار إلى أسفل أسرّت منى إلى شقيقتها: «من هذا الكهل مع نديم ؟»

_أنت متأكّدٌ من العنوان؟

_متأكّدٌ يا أبي»

أم

عثمان بالنائلة

اِنهمك في التفكير. تذكّر فجأة جبل الديون الّذي نخر عميقا حتّى رسا على جمجمته. و أغرقته العمليّات الحسابيّة في مستنقع الأدوات المدرسيّة و الدروس الخصوصيّة ومصاريف العلاج و اِحتياجات شهر الصيام و حلويّات العيد و كسوته. و أضحى يعمل على وتيرة متزايدة محمومة. و اِستفاق على صراخ «الشاف» صالح. فرأى الدماء تتقاطر بغزارة من ساعده. و تختلط تحت قدميه مع دماء الخرفان الّتي ذبحها دون حتّى أن يذكر اسم الله عليها.

مقال

سألوه: «ممّن تخاف؟». فأجاب: «من المرض و الفقر و المتجبّر و الفواتير و الغلاء». و اِرتبك قليلا. ثمّ قال: «و أحيانا من حنق زوجتي و تعنّتها و اِلحاحها الّذي لا ينتهي». فقالوا له: «ويحك ألا تخشى اللّه؟» فقمع بوادر الإبتسامة. و قال: «إنّما كنت أحدّثكم عن آفات الحياة الدنيا».

دون ربيعوت

أراد مبارزة صورة الحاكم المستفزّة. و لمّا أعدم الوسيلة للإطاحة بالصورة اِكتفى بتهشيم البلّور الواقي.

العبور

قبضوا على جاسوس أمريكيّ. و أفرجوا عنه بعد خمس دقائق بواسطة التحويل البنكيّ. فعاد إلى وطنه محمّلا بالمعلومات و أصدق التحيّات.

السلّة

كان بلدهم يعجّ بالسيّاح و القمامة. و اِتفّق أنّ الناس ضجّوا بالشكوى. و تخلّصوا من الفضلات. فكسدت السياحة. و اِنتكس الإقتصاد. و أُتّخذ القرار سريعا بِاستيراد كميّات كبيرة من المهملات.

آباء اللهب

خلعوا باب الحافلة. هشّموا. و نهبوا. و حرقوا. و لم يلتهم السواد كلمتي «نقل» و «تونس».

حرام

كان الطريق مظلما قفرا. اِتّفقوا على نهب أوّل قادم. توقّفت سيّارة في منتصف الشارع. هرع إليها أحدهم. يتبعه بقيّتهم. هشّم بلور الباب. و فتحه بخفّة و سرعة مذهلة. و لكم السائق. و أخرجه منها. و أشبعوه ضربا. و اِستولوا على ساعته. و لم يجدوا في جيوبه إلّا ورقة. و لمّا قرؤوها على ضوء مصباح يدويّ، تبيّنوا أنّها وصيّة منتحر.

قادر بغيره

كان «سيّدنا» رجلا بدينا. يدفعه الصبية ليجتاز باب الكتّاب. هطلت أمطار غزيرة. حضر. و تخلّف الأولاد. و في اليوم الموالي جاؤوا. فأمطرهم بوابل من الشتائم. و عطس مرارا و تكرارا. و قال: «لا يقربني منكم أحد بعد اليوم». أطرق. وقف أمام الباب. و قال: «ما بالكم لا تدخلون».

الأبعاد الأربعة

كان سكّيرا. و كانت زوجته تقول: «تعسا لحظّي». و كان جاره يقول: «اللّهمّ إنّي أعوذ بك من الخبث و الخبائث». و كانت أمّه تقول: «ربّنا يهديه. و يبعد عنه رفاق السوء». و كان صاحب الحانة يقول: «حريف طيّب المعشر و هادئ». فكان يسكب كلّ هذه الكلمات في كأس الفراغ. و يتجرّعها في صمت قاتم.

أنتريتي نبّار

أمير العمري من الطب الى النقد السينمائي

تنبيرة الأنتريتي لهذا الأسبوع سأخصصها للحديث عن صديقي أمير العمري الناقد المصري الأشهر واحد المساهمين بسخاء في تاثيث الملحق الثقافي لجريدة الشارع المغاربي بمقالات جادة تبحث في العمق في واقع ومسارات السينما العربية والعالمية.

ولا شك ان متابعي الملحق الثقافي لجريدة الشارع المغاربي قد تابعوا بشغف اسهاماته الأخيرة التي خصصها للتعريف بالسينما الفلسطينية ونحن نعيش بالم على وقع العدوان الغاشم لدولة الكيان الصهيوني على شعب اعزل مسالم .

أمير العمري كاتب وصحفي وناقد سينمائي مصري تخرج في كلية الطب بجامعة عين شمس عام 1976، ثم درس الصحافة والتليفزيون في لندن في الفترة ما بين عامي 1987 و1989.

في افتتاحية العدد الأول من مجلة «السينما الجديدة» كتب أمير العمري:» ان هذه الدورية تصدر بهدف رد الاعتبار, أولا وأساسا, إلى الكتابة الجادّة عن السينما: في القضايا السينمائية, وفي النماذج السينمائية الرفيعة, في الحاضر والماضي, في محاولة لاستشراف آفاق المستقبل بعيون مفتوحة, تستلهم من التجارب المتقدمة في عصرنا, تتعامل مع ما ينتج في السينما المصرية من أفلام بدقة وتدقيق, بعيدا عن الشعارات والهتافات والدعوة إلى التدجين, التي تسري في الصحافة عموما.

أراد الناقد أمير العمري ان تكون مجلة الجمعية منبرا حقيقيا لكل ما هو جديد, خصوصا بالنسبة إلى الكتابة النقدية. فمجلة «السينما الجديدة» هي مجلة للأقلام الجديدة التي لا تجد لها مكانا في سوق عكاظ الصحفية السائدة.

وكتب أمير العمري منذ اسبوع في تدوينة نشرها على حائطه الفايسبوكي يوضح فيها نظرته للنقد السينمائي جاء فيها:» ان النقد السينمائي هو أن تمارس دورك في الاشتباك مع الاتجاهات والظواهر السينمائية المختلفة القائمة في عصرك وزمانك، وليس انعزالا عن الدنيا والواقع والاكتفاء بالكتابة المعملية المنغلقة عن (أفلام)...والنقد السينمائي يقتضي الممارسة المستمرة الدائمة، وليس الحصول على اللقب ثم الاختفاء من الساحة، كما أنه يفرض عليك التزامات أخلاقية وسياسية، ويدفعك إلى ضرورة تطوير نفسك باستمرار، بالقراءة والاطلاع والمشاهدة المكثفة والبحث والإنتاج المستمر، لا أن تكتفي بكتابة انطباعات سريعة على مواقع التواصل والحصول على مباركة المعجبين والمعجبات، فهذا ليس من النقد في شيء، وكل انسان يمكنه التعبير عن رأيه، لكن النقد عملية مركبة أكثر تعقيدا من الانطباع السطحي السريع الذي قد نقرأه أحيانا على مواقع التواصل... تريد أن تفهم ماهو النقد؟ لا تقرا كتبا تزعم أنها ستعلمك النقد، فالنقد ليس وصفة سحرية، ولا تعليمات ومباديء. صحيح أن هناك نظريات في النقد يجب أن تكون ملما بها لكن النظريات وجدت لكي نطورها ونستفيد منها لا أن نعبدها ونقدسها بل ويجب أن نخترقها أيضا، كما أن المناهج المستقاة من النقد الأدبي مثل النصية والتناص وغير ذلك، يمكن الاستفادة منها من دون الانغلاق عليها».

قابلت أمير العمري للمرة الأولى عام 1981 في مهرجان قليبية الدولي لأفلام الهواة وكنت في تلك الفترة رئيسا لحركة نوادي السينما وامثلها في هيئة المهرجان مسؤول عن النقاشات والتنشيط...

وتجاذبنا اطراف الحديث عن السينما في مصر وواقع النقد السينمائي هناك فإكتشفت أنه من جيل أصدقاء حركة نوادي السينما سمير فريد وسامي السلموني وعلي أبو شادي وهو أيضا من المنتسبين والناشطين في نادي سينما القاهرة الذي تأسس في الستينات من القرن الماضي ومن العاشقين لسينما يوسف شاهين...

وأذكر انه افردني بحوار خاص نشره في مصر تحدث فيه بالخصوص عن حركة نوادي السينما حيث قال: « منير الفلاح يرأس فيدرالية نوادي السينما التونسية التي تضم أكثر من 35 ألف عضو، أي أكبر من أي حزب سياسي، وكان لها تأثير كبير على مجمل الحركة الثقافية في تونس، وكانت تلعب دورا فارقا في ترسيخ الثقافة السينمائية هناك، ومن رحمها انبثقت مهرجانات السينما التي تقام في تونس ومنها أيام قرطاج السينمائية نفسها».

وتوطدت علاقتي بامير العمري في سنة1983 لما حضرنا مع بعض مهرجان دمشق السينمائي الدولي وكانت لنا صحبة الناقد الكويتي عبد الستار ناجي والنّاقد العراقي حكمت داوود جولات وصولات في نقاش الأفلام المشاركة والندوة الفكرية للمهرجان... وتواعدنا أربعتنا على اللقاء في دورة أيام قرطاج السينمائية لسنة 1984.

وتواصلت علاقتي بامير العمري وكان خير داعما لي في مغامرة اصداري من جديد سنة 2009 لمجلة «شاشات تونسية» حيث كان يمدني شهريا بمقال لنشره في المجلة كامل فترة صدورها ... وتجددت التجربة معه في الملحق الثقافي لجريدة الشارع المغاربي .

فشكرا لامير العمري على اسهامه السخي معنا وسعيه الدؤوب على النهوض بالنقد السينمائي في الوطن العربي.

طرائف الزّعيم (364)

لماذا كان الزعيم ينعت أحمد القديدي بـ «هاك الي يحفظ القرآن»

في طرفة اليوم ساواصل سرد الحكايات التي رواها الاستاذ احمد القديدي في كتاباته عن علاقته بالرئيس بورقيبة وكيف كان الزعيم ينسى اسمه فيطلق عليه كنية»هاك الي يحفظ القرآن»

في حديثه عن أول لقاء جمعه بالزعيم يقول الاستاذ احمد القديدي:» كان ذلك في سبتمبر 1981 وكنت اتحمل مسؤولية إدارة ورئاسة تحرير صحيفة العمل اليومية لسان الحزب الدستوري وأرافق رئيس الحكومة التونسية آنذاك في زيارة رسمية للجزائر الشقيقة...

وعند رجوعنا الى أرض الوطن اعلمني السفير عبدالمجيد القروي مدير التشريفات والمراسم بقصر قرطاج بأن السيد الرئيس يدعوني لمقابلته حالاً.. .وصلنا للقصر واتجهنا إلى مكتب بورقيبة.. دخلت إلى مكتب الرئيس، وسلمت عليه بكل الاحترام الذي نشعر به جميعا ازاء تلك الملحمة الحية من الكفاح والصبر ووجدت لديه على يمينه رئيس الحكومة الذي سبقنا فجلست على شماله.. فقال لي: «دعوتك بصفتك مدير صحيفة العمل الجريدة التي أسستها أنا عام 1934 لأسلمك رسالة تاريخية كتبتها من منفاي إلى ملك تونس محمد الأمين باشا باي عام 1952 وكانت ايذانا ببداية الثورة التونسية المسلحة» كان صوت بورقيبة هادئا ثم تصاعد تدريجيا ليتلاءم مع تعبير عينيه الزرقاوين وأضاف: لقد أرجعت مع هذه الرسالة إلى الملك وسام (الفاشة) الذي وشح به صدري (وهو وسام الافتخار أعلى الأوسمة الملكية في تونس) أعدته إلى الملك احتجاجا مني على إصلاحات المقيم العام الفرنسي (فوازار) التي وافق عليها الملك وهي مهينة للشعب التونسي ولا تعترف بحقه في الاستقلال ودعوت الملك إلى إعلان رفضه لتلك الإصلاحات المزيفة واستشهدت بتلك الآية الرائعة القوية من سورة البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) وكنت من حسن حظي أحفظ تلك الآية وهي رقم 214 من سورة البقرة فواصلت أنا من تلقاء نفسي تلاوتها والزعيم ينصت: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) وهنا سكت أنا، لأن بورقيبة هو الذي واصل تلاوة آخرها وهو: (ألا إن نصر الله قريب) وشعرت كأنما الزعيم الواثق من النصر عام 1952 يستعيد نشوة ذلك النصر المبين.

كان الرئيس بورقيبة يقرأ الآية بتلاوة فصيحة قوية مشددا على عبارات نصر الله قريب.. ثم يضع كل ثقته وعنفوانه في عبارة ألا إن نصر الله قريب.

أذكر أن الزعيم بعد ذلك عندما كان يريدني لأمر ما يطلب من محمد مزالي دعوتي وقد نسي اسمي ويدعوني بالقدادي، عوض، القديدي، إلا أنه كان يقول لمزالي:» هاك اللي يحفظ القرآن» وهو شرف لا أستحقه لأني بالصدفة تلوت الآية على الرئيس وكنت منذ حفظتها في كتاب مؤدبنا الشيخ البشير بن غانم بالقيروان أعتقد أن فيها لوحة ملحمية مرسومة بعبارات إلهية قوية توحي بشدة الحرب والبأساء والزلزال على المؤمنين الصابرين.

فنّ وفنّانون

نضال السعدي ينضم الى هند صبري في الجزء الثاني من مسلسل « البحث عن علا»

سيشارك الممثل التونسي نضال السعدي في الجزء الثاني من مسلسل البحث عن علا من بطولة هند صبري والمقرر عرضه مطلع سنة 2024 على منصة نتفليكس

ويُعد الجزء الثاني من مسلسل «البحث عن علا» استكمالاً لأحداث جزئه الأول، التي تتمحور حول رحلة الدكتورة الصيدلانية علا عبدالصبور، وهي الشخصية التي تجسدها الفنانة هند صبري، بعد انفصالها عن زوجها هشام، في محاولة منها لمواكبة تطورات الحياة، واكتشاف نفسها والبحث عن الحب، مع مراعاة المسؤوليات التي تقع على عاتقها.

ويشارك هند صبري في المسلسل الذي يخرجه هادي الباجوري عدد من الفنانين، بينهم: هاني عادل، أحمد طارق، محمود الليثي، سوسن بدر، ندى موسى، وعدد من ضيوف الشرف أبرزهم: خالد النبوي، فتحي عبد الوهاب، دينا، يسرا، وشيرين رضا.

نصر الدين السهيلي يعود للدراما الجزائرية

يعود الممثل والمخرج التونسي نصرالدين السهيلي للدراما الجزائرية كمخرج والتي حقق فيها نجاحات كبيرة ، حيث سيتولى إخراج مسلسل درامي جديد بعنوان رؤيا من تأليف رابح سليماني وسيعرض على القناة الجزائرية One.

يذكر ان نصر الدين السهيلي هو ممثل ومخرج تونسي ، أخرج الكثير من الاعمال منها أمير الصبر وحب الملوك، كما شارك في كتابة سيناريو الكثير من الأعمال الفنية منها الأخوة والزمان لحمادي عرفة ومقهى جلول لطفي بن ساسي وعماد بن حميدة،